الوجيز

في ذكر صفات ربنا القوي العزيز

تقديم الشيخ العلامة

عبد الله بن محمد الغنيمان

رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سابقاً

تأليف
ماهر بن عبد الحميد بن مقدم

الطبعة الثالثة

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

الوجيز في ذكر صفات ربنا القوي العزيز

الوجيز

في ذكر صفات ربنا القوي العزيز

حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

إلا لمن أراد طبعه وتوزيعه مجانًا
بدون حذف أو إضافة أو تغيير فله ذلك
وجزاه الله خيرًا

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَة

(١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)

للتواصل مع المؤلف

٥٠٤٨٧٧٩٩ (٩٦٥+)

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

* الفرع الرئيسي : حولي - شارع المثنى - مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤

* فرع حولي : حولي - شارع الحسن البصري ت ٢٢٦١٥٠٤٦

* فرع المصاحف : حولي - مجمع البدري ت ٢٢٦٢٩٠٧٨

* فرع الفحيحيل : البرج الأخضر - شارع الدبوس ت ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

* فرع الجهراء : الناصر مول - ت ٩٥٥٥٨٦٠٨

* فرع الرياض : المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي: ٠٠٩٦٦ ٥٥٧٧٦٥١٣٨

ص. ب: ١٠٧٥٠ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت

الساخن: ت: ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠٥٥٥٩

E-mail: z.zahby74@yahoo.com imamzahby

تقريظ
الشيخ العلامة
عبد الله بن محمد الغنيمان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وبعد...

فقد اطلعتُ على كتاب الصفات للأستاذ ماهر مقدم، فألفيته جيدًا، ولم يبدُ لي فيه ملاحظة، فأسأل الله لنا وله التوفيق.

قاله

عبد الله بن محمد الغنيمان

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

كلية الدعوة ـ الجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أسكن الإيمان قلوبنا، وأنار بالإسلام فُهومنا، وبصَّرنا معالم ديننا، فمنَّ علينا بخير دين، وأكرم رسول، وأنور زمان، فوهب لنا من لطيف لطفه ما لم نكن نُحسن أن نتمناه لأنفسنا، وهدانا لدينٍ لم تكن عقولنا تقدح إلى علومه، وحبَّب إلينا دينًا لا يقبل من الأديان غيره[1]. ورضي لنا دينًا، فلم يَبْلُنَا[2] بالشكِّ فيه، فحبَّب إلينا الإيمان، كما كَرَّهَهُ إلى غيرنا، فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

فسبحان مَنْ مَنَّ علينا بما إنْ طالَبَنا بشكره عجزنا، وإن طالبنا بحقه فيه ضعُفنا، وإن أقام علينا العدل في قبيح أفعالنا أهلكنا[3].

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يُحِبُّ ربنا ويرضى، حمدًا يوافي نعمه وأفضاله، التي لا تُعدُّ علينا، والتي سنامها أن هدانا إلى معرفته.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(٢) أي: لم يبتلينا.

(٣) من مقدمة الإمام الحافظ العالم عمر بن أحمد بن شاهين رحمه الله. انظر: «جمهرة عقائد أئمة السلف» محمد محب الدين (٣٦٨).

يا الله! ما أجمل الحديث عن الله، وما أروع الكلام عن الله، فإنه مهجة النفوس ورواح وغذاء الأرواح، والنعيم الذي يسري في الوجدان والأبدان.

«الله ما أعذب هذه الكلمة، وما أحسنه من اسم، وما أجمل المسمَّى، كلمة حلوةٌ في النطق، عذبةٌ في السمع، حبيبة إلى القلب، قريبةٌ من النفس، منقوشةٌ في الفؤاد، محفورةٌ في الضمير، ممتزجة بالدماء، باسمه نبدأ، وعليه نتوكل، وإليه نلجأ، وبعظمته نشدو، وبجلاله نشيد، وبصفاته نترنم، وعلى نبيه نصلي ونسلِّم»[1].

معرفة الله هي أعظم نعمة من الله

أيُّ نعمة يا رعاك الله أجل من أنْ عرَّفك به تعالى، فكلُّ حمد وكل ثناء وكل تمجيد وتعظيم منٌّ منه خصَّنا بها سبحانه، وحرم منها من العباد ما الله أعلم به من الأعداد، فمنه السبب ومنه المسببات.

إن مما لا يخفى على كلِّ ذي لبّ أن أجلَّ ما يُفني المرء فيه عمره هو السير إلى الله بكل وسيلة شرعية تقتضي حسن عبودية، وإن من أجلِّ السبل إلى ذلك هو: التزود بالعلم النافع، وأن أفضل العلم هو علم التوحيد الذي يتعلق بالإيمان بالله تعالى.

«فهو الركن الأول من أركان الإيمان، وأهمها على الإطلاق، وأن

(١) «الله أهل الثناء والمجد» د. ناصر بن مسفر الزهراني (٥).

أجل وأخصّ هذا الركن الأعظم، هو باب الصفات والأسماء، فهو أساس الإيمان كله، الذي يتوصل به إلى عبودية الله وحده»[1]، فبهذا العلم يترقى العبد إلى العلا في الدنيا وفي الجنة في الدرجات العلا، وأن مما لا ريب فيه أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيرًا فقَّهَهُ فيه، وأرشده إلى معرفته، والعناية به، فهو «الفقه الأكبر»[2]، وما دونه فهو الفقه الأصغر.

أهمية الموضوع

اعلم يا رعاك الله: أن أعظم العلوم وأوجبها، وأعلاها مقامًا، وأجلّها نفعًا، وأشرفها إطلاقًا، هي: العلوم المتعلقة بالله تعالى، العلم: بصفاته العلا، وأسمائه الحسنى، وأفعاله المحكمة الهدى، وكل العلوم دونها فهي وسائل وطرائق ووسائط.

فالعلم بها أوجب الواجبات، وأعظم المعارف، ولا يصح دين العبد ولا تستقرُّ قدمه على التوحيد وحقائق الإيمان إلا بها.

قال الإمام ابن القيم ﷺ: «لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب ﷻ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدِّ الجهل بربه»[3].

وقال ﷺ: «مفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسائلهم، معرفة المعبود

(١) ينظر: «مفتاح دار السعادة» (١/٦، ١٧٨).

(٢) كما سمى الإمام الجليل أبو حنيفة بن النعمان كتابه في الصفات ومسائل الاعتقاد.

(٣) «مدارج السالكين» (٣/٣٤٧).

بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تُبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها»[١].

وقال العلامة ابن سعدي ﷺ: «فإثبات صفات الله على الوجه الوارد في الكتاب والسنة هو أصل العلوم وأسُّ الإيمان، فأصول الإيمان وفروعه لا تبنى ولا تقوى إلا بإثبات الصفات»[٢].

وقال ﷺ: «وكلما قويت هذه الأمور قوي التوحيد في القلب حتى يكون في قلوب العارفين الربانيين أعظم من الجبال الرواسي»[٣].

وقال قوام أهل السنة الإمام الحافظ إسماعيل الأصبهاني رحمها الله: «أول فرضٍ فرَضَه الله على خلقه: معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله (المشتقة من صفاته) وتفسيرها، فيعظموا الله حقَّ عظمته»[٤].

وقال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ: «إن التوحيد إنما يتمُّ بمعرفة الذات وصفاتها، والأفعال وأحكامها»[٥].

ولما كان هذا العلم هو الأصل الأعظم، أوضح الله في الكتاب والسنة براهينه، ونوَّع الله أساليبه، وأكثر من ألفاظه، فجاءت عديدة متنوعة، من

---

(١) الصواعق المرسلة (١/١٥٠).
(٢) «توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (١٤٢).
(٣) المصدر السابق (١١٦).
(٤) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٢٢).
(٥) «الأمد الأقصى» (٢/٢٧٥).

جميع الوجوه، بأصرح ما يكون، ودلالتها في الكتاب والسنة عليها أعظم بكثير من دلالتها على الأحكام وشرائع الدين، بل جاء ذكرها أكثر من ذكر الجنة والنار والبعث والنشور»[1].

ولهذا «عرَّف سبحانه نفسه لعباده بأسمائه، وصفات كماله، ونعوت جلاله، وأفعاله»[2] أعظم تعريف، حتى إنك تجد ذلك جليًّا في كتاب ربنا، أنه: ما من آية ختمت إلا بذكر أسمائه، وصفاته، وأفعاله، حتى في آيات المواريث والجهاد والقصص.

«وعلى قدر المعرفة في العبد يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به: أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالاً»[3]، وإذا قويت مواد الإيمان في معرفة الله وأسمائه وصفاته استغنى العبد عن كثير من الغذاء، ووجد لها قوة تزيد على قوة الغذاء الحيواني، وعند ذلك لا تسأل عن لذة وسرور صاحب هذه الحال، فهو في جنة معجَّلة قبل جنَّة الآخرة، وفي نعيم عاجل لا يشبه أيَّ نعيم.

فاحرص يا رعاك الله أن يكون همُّك واحدًا، وهو «هذه المعرفة» وما تقتضيه من حسن العبودية، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة جميعها، وإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المحبوب المطاع المعبود[4].

---

(١) «الكافية الشافية» (٩٥، ١٣٩)، و«شرح الحموية» لابن عثيمين (٦١) بتصرف يسير.

(٢) «الصواعق المرسلة» (٦٨٤/٢).

(٣) «مدارج السالكين» (٩٦/٢).

(٤) «التبيان في أقسام القرآن» (٤٨١)، و«رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (٣٠)، و«الصواعق المرسلة» (١٥٠/١) بتصرف.

وليعلم أن كل صفة لها عبادة خاصة واجبة، ولها مطلب معلوم، وتكليف ظاهر، يراد منه الاعتقاد والعمل[1].

واعلم يا رعاك الله أن من أمعن النظر في هذا العلم المبارك سيقف على رياض من العلم بديعة، وحقائق من الحكم جسيمة، ومعارف وفوائد عجيبة، ويحصل له من الآثار والثمرات الحميدة، ما لا يمكن التعبير عنها، إلا من وفق إلى العناية بها وفهمها، على منهج أهل السنة الطائفة المنصورة.

• **خطة البحث:**

ـ بدأت بِمقدمَّة بَيَّنْتُ فيها أهميةَ الموضوع.

ـ ثم عرَّفتُ معنى الصِّفة لغة واصطلاحًا.

ـ ثم بدأت بذكر معنى الصفة لغة ثم اصطلاحًا، ثم عرّجت في تعريف القواعد والضوابط عامة، والصفات خاصَّة، وذكرت أهميتها، ثم شرعت في ذكر القواعد والضوابط للصفات.

ـ وقد قَسَّمْتُ الصِّفات بالتفصيل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الصفات الثبوتِيَّة، وهي نوعان: الذاتية، والفعلية.

فبدأت بالصِّفات الذّاتية، وقد ذكرتُ قواعد وضَوابط لهذا النوع، ثم شرعت في الكلام عن الذّات الإلٰهية.

ثم الصفات الذاتية بالتفصيل: أذكر الصِّفةَ، ثم الدَّليل الشرعي عليها، ثم

(١) «المنحة الإلٰهية في أدلة الصفات الربانية» علي بن السيد الوصيفي (٣٣٤).

في الغالب أذكر المعنى في اللغة، ثم أشرحها بشرح وسط بلا تطويل ممل، ولا إيجاز مخلّ.

ثم القسم الثاني من الصفات: وهي الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية، فهي ذاتية من جهة، وفعلية من جهة أخرى.

فبينت لذلك ومثلت بأمثلة، ثم أتيت على ذكرها بالتفصيل، فتتبعتها صفة صفة، على نحو ما يسَّر الله تعالى.

القسم الثالث من الصِّفات الثبوتيَّة، وهي: الفعلية، **وهي نوعان:** مطلقة، ومقيَّدة.

وقد ذكرتُ القواعد والضوابط لهذا القسم، ثم شرعت في الكلام عن الصفات الفعلية المطلقة بالتفصيل.

ثم انتقلت إلى النوع الثاني من الصفات الفعلية، وهي: المقيدة بنوعيها، فذكرت قواعدها، وضوابطها، وألحقت بذكر أفرادها.

منهج البحث:

أولًا: اقتصرت على ذكر الصفات الغير مُشتَقَّة من الأسماء الحسنى في مادَّة الكتاب.

ثانيًا: إنَّني لم أتطرَّق إلى الخِلافات العقديَّة التي قد حصلَتْ بين أهل السُّنَّة ومُخالفيهم من التأويلات والانحرافات، بل عرَضْتُ عقيدةَ أهل السُّنَّة المُوافِقَة للكتاب والحكمة، إذ المقصد من مادَّة الكتاب العلمية أن تصلَ إلى القارئ غضَّةً طريَّة، كما نزلَتْ جلية في الكتاب والسنَّة النبوية، لِيَعيش

القارئ في رِحاب المَعاني الجَليلة، وما تقتضي من الآثار والمَنافع الرشيدة، في حياته المَعاشِيَّة والشرعِيَّة.

ثالثًا: اكتفيتُ بذكر المعاني اللغوية الموافقة لمعنى الصفة، دون التوسع في المعاني الغير داخلة في هذا النطاق، إلا إذا استدعى الأمر للتبسيط والتقريب.

رابعًا: لم أتوسَّع في تخريج الأحاديث، بل ذكرتُ الصحيح منها، فإذا كان في الصحيحين أكتفي بذِكْرِهما، وإذا كان في غيرِهما ذكرتُ مَنْ صَحَّحَها.

وخِتامًا يا عبد الله فهذا جهدي، جهد عبدٍ ضَعيف، قصير الباع، قليل الفقه والعلم، ومع هذا فإنِّي أرجو الله ﷻ أن يقبلَه مِنِّي، على قدر نِيَّتي، وأن يجعلَه جهدًا نافعًا طَيِّبًا مبارَكًا فيه، أنفع به نفسي وإخواني المسلمين في أجَلِّ وأعظمِ مَسائل الدِّين في حق معبودِنا، وإلهنا، ومحبوبِنا، ومُرَبِّينا، وسيدِنا، الله رب العالمين.

فإنْ أحسنتُ فإنه من فَضْلِ الله عليَّ، وإن أسأْتُ فمِنْ نفسي ومن الشيطان، والله سبحانه ورسوله ﷺ منه براء.

وإنني أنصح إخواني الأعزاء العناية بباب الصفات، لأنه باب الله الأعظم الذي «حقيق بأن تنعقد عليه الخناصر، ويعضَّ عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضله، بل يجعل هو المطلب الأعظم»[1] الذي من ورائه كل خير وفضل يؤمل.

---

(١) «طريق الهجرتين» (٥٣٥).

وأسألُ الله رَبَّ العرش الكريم العظيم، أن ينفعني وقارئه في الدنيا والآخرة، وأن يرزقني، ويرزق قارئه، وناشره، وبائعَه، ومشتريه، وطابعه، والمُساهم في إخراجِه، مرافقةَ نَبِيِّنا الأمين محمد بن عبد الله ﷺ في أعالي جَنّات النَّعيم، عروس الجِنان «الفِرْدَوْس الأعلى»، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه الراجي عفو ربه

أبو عبد الرحمن

ماهر بن عبد الحميد بن مقدم

عفى الله عنه وعن والدَيْه وجميع المسلمين

الأحد ٢٩ ذو القعدة ١٤٤١هـ

الموافق ٢٠/ ٧ / ٢٠٢٠م

معنى الصفات لغة

الصفة: هي الأثر أو العلامة في الشيء، وهي الاسم الدالُّ على بعض أحوال الذات، أي: معنىً أو شيء يتعلق بالذات ويقوم بها، ليس منفصلاً عنها، وهي الأمارة والعلامة اللازمة بذات الموصوف الذي يُعرف بها، كالسواد والبياض، والعلم والجهل، والطول والقصر، وغير ذلك[1].

معنى الصفات اصطلاحًا

هي المعاني الكمال القائمة بذات ربنا ﷻ، والتي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ من أوصاف الجلال والجمال العلا، والتي تنزَّه بها عن كل النقائص والمعائب، والشبيه والمثال[2].

تعريف القواعد والضبوابط

القواعد في اللغة: جمع قاعدة، وهي الأساس، وقواعد البناء: أساسه[3].

وفي الاصطلاح: الأمر الكلي، أو الأغلبي، الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يُفهم أحكامها منه[4].

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (٩/٣٥٦)، و«القاموس المحيط» (١٠٨٠)، و«التعريفات» للجرجاني (١١٧٥)، و«مجموع الفتاوى» (٣/٣٣٥).

(٢) انظر: «الصفات الإلهية» لمحمد التميمي (٨٣)، و«الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات» د. شمس الدين الأفغاني (٢/٤١٧).

(٣) «المفردات» (٦٧٩).

(٤) ينظر: «الأشباه والنظائر» لابن السبكي (١/١١)، و«الموافقات» (٢/٨٣).

والضوابط في اللغة: جمع ضابط، وهو من الضبط، وضبط الشيء: حفظه بالحزم وعدم المفارقة، ورجل ضابط: أي: حازم[1].

وفي الاصطلاح: هو ما يجمع فروعًا عدة في بابٍ واحد، فهو أخصُّ من القاعدة[2].

وعلى هذا يفهم: أن القاعدة أعم وأشمل من الضابط، لأن القاعدة تجمع أفرادًا كثيرةً في أبواب شتى، وأما الضابط: فهو يجمع جزئيات وأفرادًا في باب واحدٍ فقط.

أهمية القواعد والضوابط في صفات الله سبحانه

إنَّ معرفة القواعد والضوابط هي من أهم المسائل وأدقِّها في باب الصفات، فإنها محكٌّ دقيق في فهم وترسيخ المعاني الصحيحة في حقِّ ربنا، وننفي عنه المعاني الخاطئة، والشبهات الضالة في هذا العلم الجليل، «فإنه مقام زلَّت فيه الأقدام، وضلَّت فيه أحلام، إلا من هداه الله إلى سواء الصراط، فإن من فهم هذه الحقائق الشريفة، والقواعد الجليلة، والضوابط الدقيقة: حصل له من العلم والمعرفة والتحقيق والإيمان والتوحيد، وانجاب عنه من الشبه والضلالة والحيرة، ما يصير به في هذا الباب من أفضل الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، ومن سادة أهل العلم والإيمان»[3].

---

(١) «لسان العرب» (١٦/٨)، و«مقاييس اللغة» (٣٨٧/٣).

(٢) «مختصر التحرير شرح الكوكب المنير» (٣٠/١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥١/٥)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (٤٦٤) بتصرف يسير.

فهذه القواعد والضوابط هي الركن الحصين في فهم هذا الباب العظيم، فهي بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، التي لا ثبات ولا استقرار إلا بها، وكلاهما يتمِّمان بعضهما بعضًا في هذا الأصل الجليل.

القواعد والضوابط العامة في صفات الله

القاعدة الأولى: (صفات الله تعالى كلُّها صِفات كَمال وجلال وجمال، منزَّهٌ فيها عن كل النقائص والمذامّ، وليس له فيها شبيه ولا مثال).

لقد اتصف ربنا العظيم بالكمال المطلق المحض من كل وجه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، أي: الصفة العليا[١]، وهذا الكمال هو أقصى وغاية ومنتهى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا كمال وراءه، ولا فوقه، بل ولا يقرب منه أو يدانيه، فما من كمال تفرضه الأذهان، ويقدِّره المقدِّرون، إلا والله أعظم من ذلك وأجلّ[٢].

وينبغي أن يُعلم أن صفات ربنا العلا دائرة بين كمالين جليلين:

الأول: الجلال الذي لا يُسامى، أي: أن له صفات الجلال، وهي: صفات العظمة، والكبرياء، والمجد، والقهر، والعلو...

والثاني: الجمال الذي لا يُدانى، وهي: صفات الجمال، من الرحمة، والإحسان، والفضل، والإكرام...[٣].

وهناك صفات يجتمع فيها هذان النوعان الكماليان، مثل: صفة

---

(١) «تفسير السمعاني» (١٨١/٣)، وقال القرطبي: «الوصف الأعلى». «أحكام القرآن» (١٢٥/١٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧١/٦). و«فتح الرحيم الملك» (٧ ـ ٢٣).

(٣) ينظر: «تيسير الكريم المنان» (٩٤٧)، و«توضيح الكافية الشافية» (١١٧)، و«فتح الرحيم الملك» (٣٧). و«اللآلئ البهية» (٤١١/١). و«شرح الطحاوية» (٥٥٢/١) لصالح آل الشيخ.

الألوهية، والربوبية، والجبروت[1]، والعزة، وغيرها.

«وهذا الكمال العالي منزَّهٌ فيه تعالى من كل نقص وعيبٍ وشرّ، وأن يكون له فيه: شبيه، أو عديل، أو شريك، فليس لله سبحانه مكافئ أحدٌ من خلقه يساميه، أو يساويه، وليس له نِدٌّ في ذلك ولا ضِدّ»[2].

* ضابط: (لا يجوز أن يُعتقد أن الله تعالى قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضِدِّه).

يجب أن يعتقد اعتقادًا جازمًا راسخًا بأن الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال، منعوتًا بنعوت الجلال، محمودًا على أفعاله الحسان التمام، فكماله سبحانه لا يتناهى ولا ينقطع بآخِر ولا يحدُّ بأول.

وعلى هذا لا يجوز أن يعتقد أن الله قد اتصف بصفة من صفات الكمال بعد أن كان فاقدًا لها في زمن من الأزمان.

ولذلك فإن الله تعالى كثيرًا ما يدلِّلُ على أنه موصوف بالكمال أزلاً وأمدًا في مواضع عديدة من كتابه، ومن ذلك: بلفظ «كان» قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، فكان لا تدلُّ في وصف ربنا على اختصاص ذلك في الزمن الماضي فقط، وإنما جاءت لتدلَّ على تحقق صفاته على الدوام، في كل

(١) الجبروت من معانيه العظيم والعالي، والممتنع عن النل، وغير ذلك، وهذه المعاني من صفات الجلال، وهو كذلك: المصلح لأمور الخلق، والمصرف فيما فيه صلاحهم، فيجبر الكسير، ويغني الفقير، وييسر على العسير...، وهذه المعاني تدلُّ على الجمال والإحسان. انظر كتابنا: «التعاليق العلا» (٣٢٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/١٣٠) (٦/١٣٩)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٧٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣).

الأزمان: الماضي، والحاضر، والمستقبل، فهي مسلوبة الزمن في حق ربنا سبحانه[1].

ولهذا فإن صفات ربنا لا يجوز عليه أضدادها، لأنها كما تقدم كاملة في كل أحوالها، وأزمانها.

قال الإمام أحمد ﷺ: «إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: أنه كان لا يتكلم حتى خلق الكمال، ولا نقول: أنه كان لا يعلم حتى خلق الكلام، ولا نقول: أنه كان لا يعلم حتى خلق علمًا، ولا أنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة»[2].

❁ **القاعدة الثانية: (أن ما وجب لله تعالى من الصفات الكمال، لا يُحصيه عدّ، ولا يحيط به حصر، ولا يحصر بحد، فلا تبلغه العبارات، ولا يضبط بالإشارات)**[3].

من أوجه كمال صفات الله سبحانه: أنَّ أداة الحصر والنهاية والغاية منفية عنه من كل وجه، وبيان ذلك في ثلاثة ضوابط:

❁ **الضابط الأول**: أن صفاته سبحانه لا تتناهى في كثرة أنواعها، وأحوالها، وأصنافها، فكيف بعددها وأفرادها!

❁ **الضابط الثاني**: أنه لا نهاية لها في سعة معانيها ودلالاتها على

---

(١) ينظر في معنى (كان) «البحر المحيط في التفسير» (٥/٤٨٧)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/٤٣٧)، و«مجموع الفتاوى» لابن عثيمين (٨/١٧٢).

(٢) «الرد على الجهمية» (١٣٩).

(٣) «الأسنى» (١٢٧)، وانظر: «طريق الهجرتين» (٤٠٦).

كماله المقدس، «بحيث أن جميع الخلائق من أولهم إلى آخرهم لا يقدرون على الإحاطة أو التصور بصفة واحدة منها، بل يتعذر عليهم كلهم أن يحيطوا بمعنى واحد من معاني تلك الصفة[1]، فما ظنك بباقي المعاني، أو بباقي صفاته كلها!

فالأمر أجلُّ وأعزّ وأعظم مما يخطر بالبال، أو يعبر عنه بمقال»[2].

فسبحانه من ربٍّ عظيم، الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره...[3].

● **القاعدة الثالثة: (صفات الله تعالى كل ألفاظها ومعانيها توقيفي).**

صفات الله تعالى بكل أنواعِها وأقسامها وأفرادها توقيفي؛ أي: أنَّ مرجعَ إثباتها هو الكتاب والسنة، فلا تُؤْخَذ بالرأي، ولا بالاجتِهاد ولا بِالقِياس، وهذا يشمل إثبات ألفاظها كما جاءت، وكذلك فهم وشرح معانيها، فكلاهما سواء، لأنه لا يجوز أن تفسَّر بغير مدلولها الشرعي الذي جاء به الوحي المنزَّل على النبي الأمين، وعلى معهود ومقتضى اللغة الموافق لهما.

---

(١) فإذا كانت صفة الكلام وهي فرد من صفاته لا غاية ولا نهاية لها. كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، وكلماته هي: الكلمات الكونية التي تتعاقب في كل لحظة ووقت، والشرعية: التي أنزلها على رسله بالصدق، والجزائية: التي يحكم بها بالحق للخلق. انظر: «تفسير السعدي» (٤٨٩، ٦٥١)، و«الحق الواضح» (٤٢)، و«الكافية» (٣٧).

(٢) انظر: «شفاء العليل» (٢/٧٤٧). و«تفسير الكريم المنان» (٣٣٥). و«فتح الرحيم» (٧، ٢٩، ٧٩).

(٣) «اعتقاد» إمام الدنيا عبد العزيز الماجشون ﷺ. انظر: «الجامع في عقائد أهل السنة والأثر» (١٣٨).

قال إمام الدنيا أحمد بن حنبل ﷺ: «نعبد الله بصفاته كما وصف بها نفسه، ولا نتعدَّى القرآن والحديث»[١].

قال شيخ السنة الإمام الحافظ أبو نصر السجزي ﷺ: «وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شروحها لا يجوز إلا بالتوقيف»[٢].

ومن أبين الأدلة وأصرحها على أن صفات ربنا سبحانه معانيها توقيفية: تفسير الصحابة ومن بعدهم لصفة الاستواء: «بالعلو، والارتفاع، والصعود».

وكذلك تأسّيهم في فعل وقول النبي ﷺ في إثبات معاني الصفات، إما: بالإشارة بالأصبع إلى السماء، أو بالإشارة إلى العينين، والسمع، وكذلك في قبض اليدين، والضحك، وغير ذلك الكثير[٣]، كما ستجده في ثنايا هذا الكتاب.

والذي يدلُّ دلالةً جلية أنه يجب أن تفهم الصفات وتثبت على مراد الشارع الحكيم كما فهمها الرعيل الأول في القرون الثلاثة المفضّلة[٤].

ضابط مهم: وهو: «أنَّ كلَّ ما رُوِيَ موقوفًا عن الصحابة في بابِ الصِّفات فحكمُه حكمُ المرفوع».

---

(١) «الإبانة الكبرى» (٣٢٧/٧).

(٢) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (١٧٨).

(٣) انظر هذه قاعدة «مشروعية إثبات الصفات مع الإشارة إليها» ص ٤١.

(٤) من أصرح الأدلة قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فقول سلف الأمة قاطبة هو أن «الله على العرش وعلمه معهم»، قال الإمام أحمد: «هذه السنة»، وقال ابن عبد البر: «... علماء الصحابة والتابعين الذين حُملت عنهم التأويل في القرآن قالوا: هو على العرش وعلمه في كل مكان». انظر: «التمهيد» (١٣٨/٧).

لأن الصحابة رضوان الله عليهم كلُّهم عُدول، وعلى هذا: فكلُّ ما نقل عنهم في باب الغَيْبِيّات، وبالأخصِّ في الصِّفات، فهو في حُكْمِ الرَّفع؛ أي: أنه من قول النبي ﷺ، لأنَّه لا مَجالَ للاجتهاد والرَّأي في هذا البابِ العَظيم.

قال الإمام الجَليل الآجري رحمه الله: «إنَّ أهلَ الحقِّ يَصفون الله ﷻ بِما وصف به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه ﷺ، وبما وصفه به الصَّحابة رضي الله عنهم»(١).

ومن أمثلة ما رُوِيَ عن الصحابة في باب الصِّفات: «الكرسيُّ»، فقد ثبت عن ابن عَبّاس رضي الله عنهما وعن أبي موسى رضي الله عنه، أنَّهما قالا في معنى الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: «الكرسيُّ موضعُ القَدَمَيْن»(٢).

وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: «خلقَ الله تعالى أربعة أشياء بيده...، ثم قال لِسائر الخلق: كُنْ فيكون»(٣).

❁ القاعدة الرابعة: (الواجبُ إجراءُ نُصوص الصِّفات على ظاهرِها، على الحَقيقة)(٤).

هذه القاعدة من أعظم القواعد التي بَنى عليها أهلُ السنة والجماعة في فَهْم النُّصوص عامة، والصفات خاصة، أي: أن النصوص يجبُ أن تُفَسَّر على حسب ما يَقتضيه ظاهر اللفظ (وإن لم يُفهم المعنى)، ولا يجوز العُدولُ عن ذلك إلّا بِدَليل (صريح) واضح جَلِيٍّ يجب الرجوع إليه، وهذا

---

(١) «الشريعة» (٢٩١).

(٢) انظر تخريجه عند صفة (القدم والرجل).

(٣) انظر تخريجه عند صفة (اليدان).

(٤) انظر هذه القاعدة في: «الحقيقة والمجاز» (٢٠/٤٤١)، و«التسعينية» (٢/٥٤٦)، و«شرح السنة للبغوي» (١/١٧٠)، و«التبصرة في أصول الدين» (١٥٣)، و«أضواء البيان» (٣/١٠٠)، و«القواعد المثلى» (١٧٠)، و«منهج الاستدلال» (١/٣٩٣)، و«قواعد الترجيح عند المفسرين» للحربي (١/١٣٧) (٢/٣٨٧).

أصلٌ أصيل يجب أن يُحملَ عليه خطاب الشارع الحكيم، وخاصة في باب الأسماء والصِّفات، حتى لا يقع العبد في التأويل الفاسِد، وما يترتب عليه من هدم أهمِّ المَقاصِد، وأجل المَطالب.

وعلى هذا فنقول: الله مُتَّصِف بالحياة على الحَقيقة[1]، والسمع على الحَقيقة، واليدين على الحقيقة، والعينين على الحقيقة.

القاعدة الخامسة: (الصفات معانيها معلومة غير مجهولة، وكيفيتها وكنهها[2] مجهولة غير معقولة)[3].

هذه القاعدة الجليلة من أهمِّ القواعد والركائز في هذا الباب العظيم، فهي سفينة النَّجاة إلى سلوك أقوم الطرق، كما اقْتَفاهُ الرَّعيلُ الأول، من السلف الصالح في القرون المفضّلة، ومفهوم هذه القاعدة:

أن كلَّ الصفات التي جاءت عن الشارع الحكيم مفهومة ومعلومة المعاني، لأن الله تعالى خاطبنا بلسان عربي مبين، وأمرنا بتدبر معانيه ولم يستثنِ نوعًا من الآيات يمتنع فهمها ومعرفة معناها، بل ذلك يشمل كل آياته، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال عزَّ شأنه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وهذه الوظيفة ـ أي: التفكر والتدبر ـ زائدة على مجرَّد العلم

---

(١) سيأتي في القاعدة السادسة عشرة صحة هذه المقولة عن السلف قاطبة.

(٢) الكنه: حقيقة الشيء وجوهره. «المعجم الوسيط» (٨٣٧).

(٣) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى» (٣/٢٠٧)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٣/١٦٧)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/١٣٢)، و«الصواعق المرسلة» (١/٢١٠)، و«القواعد المثلى» (١٧٣).

بالمعنى الأصلي، لأنه هو الأصل في التنزيل، وأشرف ما فيه، لأن مقتضاه زيادة الإيمان، والعمل والعبودية الظاهرة والباطنة لله، ولهذا أُمِر كل العباد على مختلف مفاهيمهم بتدبره والتفكُّر فيه، ومن ذلك صفاته العلا.

على أنه ينبغي أن يُعلم أنه كما أمرنا بفهم وتعقُّل معاني صفات ربنا، أنه قد نهينا كذلك عن التكلف في معرفة كيفية وحقيقة صفاته تعالى، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فالله تعالى لم يأمرنا بالبحث عن ذلك لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

قال الإمام الحافظ المفسِّر أبو عبد الله ابن أبي زمنين ﷺ: «واعلم أنَّ أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علمًا، والعجز عمَّا لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيِّه»[1].

والضابط في ذلك: «(أن تعلم حقًّا يقينًا أن كل ما تصور في همك ووهمك من كيفية أو تشبيه فالله سبحانه بخلافه وغيره)»[2]، ولذلك توافر عن الأئمة في تأصيل وتحقيق هذا المفهوم الصحيح في غاية البيان.

فقد ثبت عن الإمام ربيعة الرأي (شيخ الإمام مالك) وكذلك عن الإمام مالك في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قالوا: «الاستواء

(١) «أصول السنة» (٥١).

(٢) انظر: كلام الإمام عمرو بن عثمان المكي «مجموع الفتاوى» (٥/٦٣).

معلوم»، وفي لفظ: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم»، يعني: في اللغة...»، ثم قال: «والاستواء في كلام العرب هو: العلو والاستقرار»[٢].

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله: «ومذهب مالك أن كل حديث منها[٣] معلوم المعنى، ولذلك قال للذي سأله: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة»[٤].

ومعنى: (الصفات معانيها معلومة)؛ أي: أن معانيها مفهومة في أصل المعنى اللُّغَوي، وفي الشرع الحكيم، ولذلك وردت محكمة متقنة واضحة الدلالة، ولهذا فسرها الشارع بأساليب متعددة، وبأوجه متنوعة، إما بذكر الصفة صراحة، أو ذكرها بالمصدر المؤكّد لها، أو بالفعل الذي هو حكمها، أو بالرسم كالإشارة إلى جهة العلو، وغير ذلك الكثير[٥]، فإن من رحمة الله تعالى علينا أن جعلَ نُصوص الصفات في غاية الإحكام، يفهمُها كلُّ الأنام، فلا تشكل على أحد منهم على مَرِّ الزَّمان، بِخلاف آيات الأحكام، قد تشكل على بعض الناس، فلا يفهمها إلّا الأعلام.

---

(١) انظر هذه الآثار الصحيحة في: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٨٧٣، ٨٧٤)، و«الإبانة» لابن بطة العكبري (١٦٣/٣)، و«العلو» للذهبي (٤١٧)، وصححه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣٩/٥)، وفي «بيان تلبيس الجهمية» (١٩٠/١)، وكذلك ابن حجر في الفتح (٤١٧/١٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢١٩/٧ ـ ٢٢٠).

(٣) يعني أحاديث الصفات كما دلَّ عليه السياق السابق واللاحق.

(٤) «تحفة الأحوذي» (١٦٦/٣).

(٥) انظر: «المنحة الإلٰهية» (٣٣٤).

ومعنى: (كيفيتها مجهولة غير معقولة): الكيفية من الكيف، وهو السؤال عن الهَيئة والصُّورة، وطلب حقيقة الشيء وكُنْهه، وهذا في حَقِّ رَبِّنا العظيم مُحالٌ، «لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف»[1]، لأنَّ الشيء لا تدرك كيفيته إلّا بِمُشاهدته، أو بِمُشاهدة مثيله، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق مُنْتَفِيَة في كيفية صِفات الله تعالى، فتكون الكيفية مجهولة بالنسبة لنا لا نعلمُها[2].

❁ مسألة مُهِمَّة:

كونُنا لا نعلم كيفية صِفات رَبِّنا سبحانه، هذا لا يعني أنَّها ليس لها كيفية، بل لها كيفية اختص بعلمِها ﷻ، ولهذا يجب أن يُعْلَمَ أنَّ لِصِفات رَبِّنا الجَليل كيفية تَليق به، وقد قطع الأطماع عنا في معرفتها، كما جاء عن السَّلَف في قولهم: «أَمِرُّوها كما جاءَت بِلا كَيْفٍ»[3].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ينزلُ كيفَ شاء بِعِلمه، وقُدرتِه، أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْمًا»[4].

❁ القاعدة السادسة: (الله موصوف بالإثبات وموصوف بالنفي)[5].

الكمال المطلق الثابت لربنا الجليل لا يتحقق إلا بإثبات ركنين:

---

(١) فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته، امتنع أن تعلم كيفية الصفة. انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٣٩٩).

(٢) ينظر: «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٩٨).

(٣) انظر هذه الرِّوايات عن الأئمة الأعلام في: «الشريعة» للآجري (٧٢٠). والدارقطني في كتابه «الصفات» (٦٧)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٣/١٠٢٨)، و«العُلو» للذهبي (٣٨٤).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٣/٥٠٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/٢٤٢).

(٥) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/٣٥)، (٨/١٤٧)، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/٢٠٥) (٥/٢١٣)، و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/١٢٢)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/٤٧٥).

الأول: إثبات الصفات الكمالية، مثل: صفة العلم، والقدرة، والسمع، والوجه... وهذا الركن هو المقصود الأعظم من التوحيد، لأنه جاء لإثبات الصفات الحميدة، والأفعال البديعة، والأقوال والأوامر والنواهي البليغة.

الثاني: نفي النقائص، أي: تنزيه الله تعالى وتقديسه عن كل النقائص والمذام، ونفي عمّا لا يليق بجلاله، أو ما ينافي كماله.

وقد جمع الله تعالى بين صفاته الثبوتية والمنفية في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإنما جمع الله بينهما لأنه لا يتم كمال الموصوف إلا بنفي صفات النقص، وإثبات صفات الكمال، ولهذا ينبغي أن يعلم أن الضابط في صفات الله المنفية:

الأول: (أنها ليس نفيًا محضًا صرفًا، بل لا بد أن تتضمن لإثبات كمال ضد المنفي عنه سبحانه).

أي: أن كل صفة نفاها الله عن نفسه متضمة لشيئين:

أحدهما: انتفاء تلك الصفة (أي: المنفية).

الثاني: ثبوت كمال ضدِّها.

وهذا بخلاف الإنسان، فقد ينفي عنه شيئًا لضعفه أو عجزه، فقد ينفي عنه الظلم والبغي لا لعدله وإنما لهوانه وضعفه... أو لعدم قابليته له، كما قيل: «الجدار لا يظلم»، فمثلاً: نفي عنه سبحانه (الموت): لكمال حياته. ونفي (النسيان) لكمال علمه وحفظه، ونفي (الظلم) عنه تعالى: يتضمن كمال العدل والحق، ونفي (الإعياء والتعب): لكمال قدرته، وقوته، ونفي (الصاحبة والولد): لكمال غناه وأحديته، وعلى هذا تجري

سائر الصفات المنفية[1].

الضابط الثاني: (أن النفي جاء ليس أصلاً في معرفة الله تعالى)، أي: أنه جاء لتتميم وتكميل وحفظ وحمى الصفات الثبوتية من كل شائبة، أو عيب، أو نقص، أو ذم من الظنون السيئة والأقوال الشنيعة من أهل الباطل[2].

۞ القاعدة السابعة: (نعوت الكمال لله تعالى ثابتة له من نفسه «غير مقيدة بشيء، ولا مكتسبة من جهة أحد»[3] فلا تتوقف على غيره، ولا تستمد من سواه)[4].

إن من كمال ربنا ﷻ المطلق في ذاته، وأوصافه، وأفعاله أنه «لا تعلق له بغيره»[5] بحال، فهو سبحانه لا يكمل بغيره، ولا يحتاج إلى سواه، ولا يستعين بغيره في فعل[6]، ولا في أيِّ شأن، أقام ملكه بفعله بنفسه وحده لا شريك له، فلم يتخذ وليًّا ولا معينًا من أحد، قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

---

(١) ينظر: «منهاج السنة النبوية» (٣/١٨٣). و«مجموع الفتاوى» (١٧/١١٢). و«الصواعق المرسلة» (٤/١٣٦٩، ١٤٤٣). و«تقريب التدمرية» (٤٧، ٥٠).

(٢) يرجع إلى: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/١٧٦، ٣٥١). و«منهاج السنة النبوية» (٨/٣٩)، و«الكافية الشافية» (١١٥)، و«الحق الواضح» (٧، ١٣)، و«القواعد المثلى» (١٣٠)، و«شرح الواسطية (١/١٤١) لابن عثيمين.

(٣) «تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد» لأبي إسحاق إبراهيم البخاري (١/٣٤١). و«الأسنى» (٥٠٣).

(٤) وبمعنى آخر (الكمال لله سبحانه واجبٌ له «من ذاته لذاته لا يكمل بغيره»). ينظر: «شرح مختصر الروضة» للطوفي (١/٢٥٢). و«طريق الهجرتين» (٢٣). و«درء تعارض العقل والنقل» (٤/١٤).

(٥) «المقصد الأسنى» (١٢٨).

(٦) «موافقة صحيح المنقول» (٤/١٤).

أما العباد «فنحن وصفاتنا وأفعالنا (بل في كل شأن من شؤوننا) مقرون بالحاجة إلى الغير، والحاجة لنا أمر ذاتي لا يمكن أن يخلو عنه، وهو سبحانه الغني الكامل: في ذاته، وصفاته، وأفعاله، أمر ذاتي لا يمكن أن يخلو عنه.

فإذا كانت ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وما اتصفنا به من الكمال من العلم والقدرة وغير ذلك هو مقرون بالحاجة والحدوث»[1].

وهذا غاية النقص، لأن صفاتهم لا تكمل إلا بغيرهم من أنواع التكميل من جلب المنافع والمصالح، ودفع المضار والمساوئ، وبالجملة: فإن ربنا الكامل المكمِّل لغيره، فهو (القيوم) القائم بنفسه المقيم لغيره[2].

۞ القاعدة الثامنة: (صفات الله العلا لا يقع في معانيها الترادف المطلق بل لكل صفة خصوصية تميزها عن غيرها).

من كمال ربنا سبحانه في صفاته أنها مع كثرتها وتعددها في ألفاظها بحيث لا تضبط بالعدد، ولا تحدُّ بحد، أنها جاءت متنوعة، متباينة ومتغايرة في معانيها، ودلالاتها، فوق نطاق ما يتصوره العقل.

ولهذا قد تأتي بعض الصفات يقرب بعضها بعضًا في المعنى، لكن لا تأتي بالترادف المطلق المحض، والترادف في اللغة هو: التتابع[3]، وفي الاصطلاح: «اتفاق المعنى واختلاف اللفظ»[4]، ولذا «فإن من صفات العلا قد تكون مشتركة في الأصل (والاشتقاق)، أي: لها جنس

(١) «الرسالة الكمالية فيما يجب لله من صفات الكمال» (٥٢).
(٢) انظر كتابنا: «التعاليق العلا» (١٠١).
(٣) «مقاييس اللغة» (٣٧٧).
(٤) «التعريفات» (١٧٧).

ويدخل فيها صفات أخرى.

ومثال ذلك: صفة الغضب، والأسف، وهو من جنس الغضب، لكن فيه معنى زائد وهو: شدة الغضب.

وكذلك: صفة البُغض وهي جنس، ومنه: الكراهية، والمقت، فالمقت من جنس البُغض، لكنه يأتي بمعنى البُغض الشديد.

فالبُغض والغضب جنس لكن لهم مراتب ومعانٍ مختلفة متعددة.

ومثل ما تكلم الأئمة كشيخ الإسلام وغيره في الصفات التي هي من جنس الحركة: كالإتيان، والمجيء، والنزول»[1] والهبوط، والتدلي، والدنو...

وكذلك العلو منه: الاستواء على العرش، والفوقية، والعندية[2].

«وخلاصة الأمر: أن هناك بعض الصفات قد يقرب بعضها من البعض، لكن لا يُقال: إن معنى صفة أثبتها الله لنفسه هو معنى صفة أخرى بالترادف المطلق، لكن يقال: هي من جنسها»[3].

ولكن تتميز كل واحدة منها بخصوصية تفيد زيادة في المعنى كما تقدم.

وبالجملة: إن صفاته سبحانه «كل واحدٍ منها لا تسدُّ مسَدَّ الأخرى، ولا تنوب منابها»[4] في معاني الكمال لله تعالى.

---

(١) ينظر: «اللآلئ البهية شرح العقيدة الواسطية» لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (١/٣٨١ ـ ٣٨٢).

(٢) ومن ذلك الأسماء الحسنى الدالة على صفة واحدة وإن كانت في أصل الاشتقاق واحد، مثل: القادر، القدير، المقتدر، وكذلك: العلي، الأعلى، المتعال، وغير ذلك، فإن لكل اسم معنى غير الاسم الآخر.

(٣) «اللآلئ البهية» (١/٣٨٢).

(٤) «مختصر المعتمد في أصول الدين» للقاضي أبي يعلى (١٨٢).

۞ القاعدة التاسعة: (جمع ما أطلقه على نفسه سبحانه من صفاته العلا (جاء) بأكمل معنى ولفظٍ مما لم يطلقه)[1].

كل ما جاء في أوصاف ربنا تعالى فإنه جاء على أتمِّ وأكمل المعاني، وكذلك في الألفاظ والمباني «فله تعالى من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمَّه»[2]، فالعليم والخبير: أكمل من الفقيه والعاقل والعارف، لأن المعرفة تقتضي تقديم الأسباب التي يتوصل بها إلى علم الشيء.

والكريم والجواد: أكمل من السخي، لأن السخاوة موضوعة في باب الرخاوة واللين. والقوي المتين: أكمل من الجلد، لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد.

والرحيم الرؤوف: أكمل من الشفيق والرقيق، والحليم والصبور: أكمل من الوقور والرزين، والمحبة والود: أكمل من العشق والغرام ونحو ذلك، فإن مسمى المحبة: أشرف وأكمل من هذه المسميات[3]، وهكذا باقي صفاته وأسمائه وأفعاله لا تحمل على العقول والمقاييس[4].

۞ القاعدة العاشرة: (الصفات في نصوص الكتاب والسنة جاءت بالإثبات المفصل والنَّفي المجمل)[5].

ومعنى الإثبات مُفَصَّلًا: تعيين الصفات وتحديدها، في ذِكْر كل صفة

---

(١) «طريق الهجرتين» (٥٩٥).

(٢) «الحق الواضح» (١٠٨).

(٣) ينظر: «شأن الدعاء» (١١١)، و«بدائع الفوائد» (١/١٥٢)، و«طريق الهجرتين» (٥٩٥).

(٤) «الرسالة الوافية» (١٤٥) لأبي عمرو عثمان الداني.

(٥) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفَتاوى» (٢/٤٧٨) (٣/٣٥)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/١٦٣)، و«الصواعق المرسلة» (٤/١٣٦٩).

معينة مخصصة، لا مجملة في لفظ عام، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ١٣]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ...﴾ [سورة الإخلاص]، وهكذا.

وأما النفي المُجْمَل، فإن المُراد منه: أن ينفى عن الله تعالى العُيوب والنقائص على سبيل الإجمال، دون ذِكْر الصفة المُعَيَّنة، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ونحوها من الآيات الدالَّة على نفي ما لا يليق بالله نَفْيًا مطلقًا، مثل: «نفي المُماثلة» و«نفي المساماة»، ولم ينف المُماثلة في شيء معين كأن يقول: «لا سمي له في علمِه، أو في قدرته، وهكذا».

وأما سبب مَجيء صفات الإثبات بالتفصيل: لأنَّها هي الأصل، والمقصود الأعظم، فإنَّ المدحَ والثَّناء يكون غالِبًا في الإثبات، أما النَّفي فيأتي وسيلة وتتميمًا لهذا الأصل[1].

القاعدة الحادية عشرة: (صفات الرب كلها جاءت بالكمال المطلق على باب واحدٍ، فلا يجوز التفريق بينها المؤدي إلى التناقض)[2]:

من محاسن منهج السلف القويم، أنهم بنوا عقيدتهم على قواعد راسخة، وأسس ثابتة لا تنخرم بأيِّ حين، لأنهم اقتفوا بما جاء بالوحي الحكيم.

وهذه القاعدة الجليلة تأصِّل وتحجُّ بالحُجج الدامغة على من يفرِّق بين إثبات صفة ونفي أختها بأيِّ دعوى باطلة كانت، فإنها تدخل في قوله تعالى

(١) انظر: «شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٢٥٧)، و«توضيح الكافية» له (١١٦).
(٢) ينظر في معنى القاعدة: «مجموع الفتاوى» (٣/١٧) (٥/٣٥١)، و«توضيح الكافية الشافية» (٨٣).

في ذمِّ اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

ولقد جاءت الشريعة الحكيمة بأصول جامعة وهو: (الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات)، فالشيء يعطى حكم نظيره، وعلى هذا «فلا يجوز التفريق بين المتماثلين، فتثبت له إحدى الصفتين وتنفي الأخرى، وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق»[١] بينهما.

ولهذا يجب أن تثبت صفات الرب كلها، ذاتية كانت أو فعلية، ولا يجوز التفريق بين أيِّ نوعٍ منها «لا في لفظها، ولا في ثبوت معناها»[٢] لأنها كلها جاءت من مشكاة واحدة.

قال شيخ البخاري عبد الله بن الزبير الحميدي رحمه الله: «... لا نقول غير هذا[٣] على التسليم والرضا بما جاء في القرآن والحديث، ولا نستوحش أن نقول بهما»[٤].

فمن أثبت إرادة الله، وقدرته، وسمعه، وبصره...، يلزمه كذلك أن يثبت: وجه الله، ويديه، وعينيه، وعجبه، وضحكه... فكلها ثابتة لله الواحد على وجه الكمال الذي انفرد به عن كل الأنام.

القاعدة الثانية عشرة: (القول في صفات الله كالقول في ذاته)[٥].

هذه القاعدة الجَليلة تنصُّ على أنَّ الكلام في الصفات، فرعٌ على

---

(١) «شرح العقيدة الأصبهانية» (٣٧).

(٢) «جلاء الأفهام» (٢٧٥).

(٣) في ذكر حديث: «إن الله خلق آدم بيديه».

(٤) أخرجه ابن منده في «التوحيد» (٩٠٣).

(٥) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٧٤)، و«مجموع الفَتاوى» (١٦/٤٢٢)، «والإبانة الكبرى» (٦/١٧٢)..

الكلام في الذَّات، يحتذى حذوُه، ويتبع فيه مثالُه، فكما أنَّ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاتِه، ولا في صِفاته، ولا في أفعالِه، فإذا كان له ذات حقيقية لا تُماثِلُ الذَّوات، فالذَّات متَّصِفة بصِفات حقيقية لا تُماثِل صِفات سائر الذَّوات، لأن صِفاته تعالى الجليلة، تبعٌ لِذاته العَلِيَّة.

۞ **القاعدة الثالثة عشرة: (الصفات أشمل وأوسعُ وأعم من باب الأسماء)**[١].

صفات الله تعالى أوسع، وأكثر من أسمائه الحُسنى، لا العكس، وذلك لأنَّ كلَّ اسمٍ متضمنٌ لصفة، وليس بالعكس، فمن أسمائه (الرحمن)، متضمِّن لصفة الرحمة، ومن أسمائه (العزيز) متضمن لصفة العِزَّة...، أما صِفاته، فإنه تعالى موصوف بـ(المجيء) و(الكلام) و(الإرادة) و(الإتيان)، و(الأخذ)، و(الإمساك)، و(الاستواء على العرش)، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحْصَى، ولا يُسَمَّى بالجائي، ولا المتكلم، ولا المريد، والآخذ، والممسك، والمستوي، ولأن من الصِّفات ما يتعلَّق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أنَّ أقوالَه لا مُنْتَهى لها، وإذا كانت أسماؤه لا حصر لها ولا حدَّ لها، فمن باب أولى صفاته لا حدَّ لها ولا نهاية لها[٢].

۞ **القاعدة الرابعة عشرة: (أوصاف الكمال لله تعالى وصفٌ لازم لا يطرأ عليها التغيير أو التفاوت أو التضادُّ لا في الأزل ولا في الآباد)**[٣].

كمال ربنا ﷻ جاء على طرائق عديدة وبديعة، كلَّت الألسن والخواطر

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «بدائع الفوائد» (١/١٣٤).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٣/٤٣٣) و«شرح القواعد المثلى» (١٢٢)، و«التعليق على الطحاوية» (٤١٣) لابن عثيمين.

(٣) «أسرار التأويل وأنوار التنزيل» للإمام فخر الدين الرازي (٢١٦) بتصرف كبير.

والأفكار عن وصفه أو الإحاطة به، فكماله لا يشوبه أي وجه من أوجه النقصان على ممر الأحوال والأزمان، ومن ذلك: أنها لا يقع فيها التغيير أو الاختلاف أو التنافر أو التضاد.

فهو تعالى لا تتغير أوصافه ونعوته بزيادة أو بخلاف ذلك على أيِّ وجه كان، بخلاف سائر الأنام التي يعتريهم التغيير والزوال في صفاتهم وأحوالهم، ويشوبها الأختلاف والتضاد بلا نكران، ومن ذلك: أنها تتغير من القوة بعد الضعف، أو ضعفٍ ثم قوة، ومن فقر بعد الغنى، أو عكس ذلك، وبين عزٍّ وذل وهوان، وعلم وجهل ونسيان.

أما ربنا عزَّ شأنه: «فلم يكن ضعيفًا فقوي، ولا ناقصًا فتمّ، ولا جاهلاً فعلم، فلم يزل قويًّا عاليًا كبيرًا متعاليًا، لم تأت طرفة عين قط إلا وهو الله لم يزل ربًّا، ولا يزال أبدًا كذلك فيما كان، وكذلك فيما بقي يكون، وهو كذلك الآن، لم يستحدث علمًا بعد أن لم يكن يعلم، علمه بالغيوب قبل أن تكون كعلمه بها بعدما كانت، ولا قوة بعد قوة لم تكن فيه، ولم يتغير عن حالٍ إلى حال بزيادة أو نقصان، لأنه لم يبق من الملك والعظمة شيء إلا وهو فيه، ولن يزيد أبدًا عن شيء كان عليه، فهو الواحد بكل شيء، المتوحد بكل شيء»[1].

* **القاعدة الخامسة عشرة: (يوصف ربنا من كل نوعٍ بأكمل وأكبر ذلك النوع على الإطلاق، على وجه لا يستلزم نقصًا ولا تمثيلاً)**[2].

أنواع صفات ونعوت ربنا لا تُستقصى بالعد، وهي كذلك لا تُحاط

(١) انظر: كلام الإمام الأوحد عبد العزيز بن الماجشون ﷺ «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (١٤٦، ١٤٨).

(٢) انظر: «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٤٧)، و«طريق الهجرتين» (٥٩٤).

ولا تُحدّ بالكمال والكبر والسعة في كل واحدةٍ منها، «فهو تعالى أكبر في كل صفة من صفاته، كما هو أكبر من جميع صفاته، وذاته، وأفعاله»[1]، ولذلك شرع أن نقول: «الله أكبر» في شعائر الدين، والمعنى: «الله أكبر وأعظم وأجلّ من كل شيء ذاتًا، وقدرًا، ومعنى، وعزة وجلالة، يقال: إنها أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال»[2]، فكل اسم أو صفة أو فعل يتضمن تفضيله على غيره من أمور الكمالات.

وبيان ذلك: أنَّه يوصف سبحانه بالإرادة بأكملها وأكبرها وأوسعها، وهي: الحكمة في حصول كل ما يريد بإرادته، وبإرادته اليسر لا العسر، وإرادته الإحسان وإتمام الخير والإنعام، وعدم إرادته للشر والضر للإنس أو الجان، وكذلك نفوذها في كل الأكوان.

وكذلك يوصف بالكلام: يَصِفُ نفسه بأعلى وأكمل أنواعه: بالصدق، والعدل، والحق، الذي تنزَّه فيه عن الكذب، وإخلاف الوعد، وأنها لا تتناهى بغير عد.

وبالمحبة: وصف نفسه تعالى بأشرفها، وأجلِّها، فقال عن أوليائه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فمحبته تعالى لأصفيائه ليس لحاجة، من جلب منفعة أو دفع مضرة، بل من محض فضله.

وشهادته تعالى هي أكبر الشهادات وأتمها وأصدقها؛ لأنها عن كمال علم ورؤية وخبرة، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩].

---

(١) ينظر: «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٤٥، ١٤٤٧).

(٢) «الأسنى» (٢٥٢)، و«الصواعق المرسلة» (٤/١٣٧٩).

ووصف نفسه بالفعل بأكمل صوره، وغاياته، وإتقانه، ففعله: عن حكمة باهرة، ومصلحة نافعة، وعلى سنن الهدى والإنصاف، منزّه فيه عن العبث والباطل والفساد، والشمول والكبر في أفعاله العظام التي بها أوجد الأكوان وأجراها على خير نظام.

واتصف بالحلم والصبر بأكمل وأوسع ما يكون، الذي وسع أهل الكفر والعصيان، فهو تعالى يمهل العاصين، ويتأنى ولا يعجل عليهم «حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل»[1].

ويوصف بأعلى الستر وتمامه، فهو يستر عن المذنبين الشاردين عن طريقه «حتى يتوهم الغافل أنه ليس يبصر ولا يعلم»[2] لأنه سبحانه يحب «أن يظهر الجميل، ويستر القبيح»[3].

ووصف نفسه بالرحمة، والحكمة، والقوة، بأكمل الصيغ، وأبلغها: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

«وكذلك يوصف بالانتقام والإهلاك بأكمل الكمال، وهو: أنه لا يخاف عاقبة فعله ذلك من أعدائه، بخلاف المخلوق فإنه إذا انتقم من عدوه يخاف عاقبة ذلك.

وكذلك شهادته[4] وبُغضه، ومقته، وبأسه، وتنكيله: أكبره، ومنتهاه، وأعلاه: قال تعالى: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، وقال

(١) «شرح أسماء الله الحسنى» لابن برجان (٢/٢٤٤).
(٢) «تفسير البروسوي» (٤/٣٣٦).
(٣) «المقصد الأسنى» (٧٦).
(٤) هي أكبر الشهادات ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩].

سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]»[١]. وهذا ساحلٌ لا نهاية له

* القاعدة السادسة عشرة: (جواز الإخبار عن الله تعالى بما ليس من صِفاته).

توحيد الأسماء والصفات يتعلَّق به ثلاثة مَباحث:

١ ـ الأسماء. ٢ ـ الصفات. ٣ ـ الإخبار عن الله تعالى.

فالأول والثاني توقيفي، أما الثالث: فليس توقيفِيًّا، بمعنى: أنه يجوز أن يخبر عن الله بما لم يأت بالكتاب، ولا في السُّنَّة، وعلى هذا «فالأخبار أوسع من باب الأسماء والصِّفات»[٢].

* الشروط الصحيحة في الإخبار عن الله تعالى:

(١) أن يكون باسم حسن.

(٢) أو باسم ليس بسيئ، أي: باسم لا ينافي الحسن، ولا يجب أن يكون حسنًا[٣].

وجملة الشروط: أن يأتي الخبر بصحة المعنى، ووضوحه وسلامته، ووجود الحاجة والمنفعة في ذكره[٤]، كلفظ (الشيء) و(الموجود)، و(القديم)، و(القائم بنفسه)، وغيرها من الألفاظ التي يخبر به عن الله تعالى، ولا يدخل في أسمائه، ولا في صفاته[٥]، فلا يُدعى ولا يُتوسّل بها إلى الله تعالى في الدنيا، كقول الداعي: يا موجود، يا شيء، يا قديم.

---

(١) ينظر: «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٤٥، ١٤٤٧).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/٢٩٧)، و«بدائع الفوائد» (١/٢٨٤).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٢).

(٤) انظر: «العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية» (١/٧٢).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٢)، (٩/٣٠١)، و«مدارج الساكين» (٣/٤١٥).

* ما ورد في السنةِ من باب الإخبار عن الله تعالى[1]:

(١) الإخبار عن الله تعالى بأنه (شخص)[2].

(٢) الإخبار عن الله تعالى بأنه (شيء)[3].

(٣) (الكامل) أو (الكمال).

(٤) (الشريف)[4].

* ما جاء عن السلف من باب الإخبار عن الله تعالى:

من أمثلة ذلك:

١ ـ الله فوق العرش (بِذاته). نطق أهلُ السنة والجَماعة بهذا القول في إثبات استواء الله تعالى على عرشِه لَمّا قالت المُعَطِّلَة: استواؤه على عرشه من باب المجاز لا الحقيقة[5].

٢ ـ الحدّ لله تعالى. ٣ ـ البينونة. ٤ ـ الحقيقة.

قال عبد الله بن المُبارك رحمه الله: «نعرفُ رَبَّنا عز وجل فوقَ سبع سموات

---

(١) «الاحتجاج بالآثار السَّلفيَّة على إثبات الصفات الإلَهية» (١١٤)، و«صفات الله الواردة في الكتاب والسنة (٢٣٠، ٢٣٨).

(٢) قال ﷺ: «ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحبَّ إليه العذر من الله...» البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩].

(٤) كما في أثر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير (الصمد) قال: «السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه...» أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٩٨) وأثبته ابن تيمية (٦/٧٢) وحسنه أ.د حكمت ياسين «التفسير الصحيح» (٤/٦٨١)، وحكمه حكم المرفوع لأنه لا يقال بالرأي، والله أعلم.

(٥) انظر هذه الآثار في: «العلو للعلي الغفار» (٢٣٥)، و«الاحتجاج بالآثار السلفية» (١١٥).

على العَرْش، بائِنًا من خلقه (بحدّ)، ولا نقولُ كما قالت الجهمية: هاهنا، وأشار بيده إلى الأرض»[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: «ثبتَ عن أئمَّة السلف أنَّهم قالوا: (لله حدٌّ)، وأن ذلك لا يعلمه غيره، وأنه مبايِن لخلقِه، وفي ذلك لأهلِ السُّنَّة مُصنّفات»[2].

٤ ـ على الحقيقة.

هذه المَقولة تواتَرت أيضًا عند أئمة الهُدى، وذلك في رَدِّهم على أهلِ الأهواء والبدع الذين أَوَّلُوا الصفات عن حَقيقتِها، وادَّعَوْا فيها المَجاز، وبهذه الشبهة الباطِلَة والتي هي أوهنُ من بيت العنكبوت ـ نَفَوْا عن الله تعالى أغلبَ الصفات.

وأمثلة رُدود أهل السنة بهذه المقولة كثيرة لا تُحْصَى، نذكرُ بعضًا منها:

قال شيخ المفسِّرين الطبري رحمه الله: «فإنْ قالَ لنا قائل: فما الصَّواب من القول في مَعاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء بعضُها في كتاب الله عز وجل ووَحْيِه، وجاء ببعضها رسولُ الله ﷺ؟ قيل: الصواب هذا القول عندنا: أنْ نثبتَ حقائِقَها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه»[3].

قال الإمام أبو عمر الطلمنكي المالكي رحمه الله: «وقال أهل السنة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: إنَّ الاستواء من الله على عرشِه على الحَقيقة لا على المَجاز»[4].

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢٢٠).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٣/٤٩١)، وانظر: (١/٤٤٣).

(٣) «التبصير في معالم الدِّين» (١٤١).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢/٣٦٤).

وقال الإمام ابن عبد البَرِّ رحمه الله: «أهلُ السنةِ مُجْمِعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحَقيقة لا على المَجاز، إلّا أنَّهم لا يُكيفون شيئًا من ذلك»[1].

❁ القاعدة السابعة عشرة: (صفاتُ الله تعالى تتفاضل فيما بَيْنَها)[2].

من الأصول المُقَرَّرَة عند أهل السنة والجماعة: أن أسماءَ الله تعالى الحسنى وصفاته العُلا تتفاضَل فيما بينها، ولا يقتضي هذا التَّفاضُل نقصًا فيها، بل كل فردٍ منها يدلُّ على أقصى ما يمكن من الأكمليَّة المُطْلَقة، وهذه الأفضلية اختصَّ بها رَبُّ البَرِيَّة لوجهٍ من وجوه الأفضلية، التي لا يعلمُها إلّا هو سبحانه، من ذلك (الرحمة)، قال ﷺ: «**لَمّا قضى الله الخلقَ كتب في كتابه، فهو عنده فوق العَرْش: إنَّ رحمتي غَلَبَتْ غَضَبي**»[3].

وجاء في دُعاء النبي ﷺ في السُّجود: «**اللهم إنِّي أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِك، وبِمُعافاتك من عُقوبتِك، وأعوذُ بكَ منكَ...**»[4]. «ومعلوم أنَّ المُستعاذ به أفضلُ من المُستَعاذ منه»[5].

بل إنَّ التفاضلَ يقع في الصفة الواحدة، كما في صفة اليدَيْن في الحديث: «**يمينُ الله ملآى لا يَغيضُها نفقةٌ، سَحّاء الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يَمينِه، وبيده الأخرى القبض،**

(١) «التمهيد» (٧/١٣٥).

(٢) «بدائع الفوائد» (١/١٦٧).

(٣) وفي رواية: «سبقت غضبي». البخاري (٣١٩٤). ومسلم (٢٧٥١).

(٤) مسلم (٤٨٦).

(٥) «جواب أهل العلم والإيمان» (٩٠).

يرفعُ ويخفِضُ»[1].

وقولنا (صفات الله تتفاضَل فيما بينَها)؛ أي: في المعنى والمَدْلول، أما من حيث نِسبتُها إلى الباري جلَّ شأنُه فواحدة، إذْ كلٌّ منها يدلُّ على الكمال والجَمال[2].

۞ **القاعدة الثامنة عشرة: (دلالَة الكتاب والسُّنَّة على ثُبوت الصفة: ثلاث طرق)**[3].

«**الطريق الأول**: دلالة الأسماء عليها، لأن كلَّ اسم متضمِّن لِصفة، مثل الغفور: متضمن للمغفرة، والسميع: متضمن للسَّمْع، ونحو ذلك.

الطريق الثاني: التصريح بالصِّفة؛ أي: أن ينصّ عليها، مثل: الوجه، واليدين، والعينين، والبطش، ومثل: الانتقام.

الطريق الثالث: التصريح بفعلٍ أو وصف دالٍّ عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السَّماء الدُّنيا، والمَجيء لِلفَصْل بين العِباد يوم القيامة»[4].

وإضافة على ما سبق يمكن أن نُضيفَ في إثبات الصفة وتحقيقها في سنة المصطفى «ثلاثة أقسام: إمّا بالقول، أو الفعل، أو بالإقرار:

---

(١) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣). قال ابن تيمية ﷺ: «فبَيَّن النبي ﷺ أنَّ الفضلَ بيده اليُمْنى، والعدل بيده الأخرى، ومعلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين، فالفضل أعلى من العَدْل، وهو سبحانه كل رحمةٍ منه فضلٌ، وكل نقمة منه عدلٌ، ورحمته أفضلُ من نقمتِه». «جواب أهل العلم» (٩٢).

(٢) «القواعد الكليَّة للأسماء والصفات» (٢٥٩).

(٣) «شرح القواعد المثلى» (١٥٥)، و«شرح العقيدة الواسطية» (١/٢٦٣)، و«فتاوى العقيدة» (١/١٤٤ - ١٤٥) لابن عثيمين.

(٤) المصادر السابقة.

أ) إما بالقول: فكثير، مثل قوله ﷺ في يمينه: «لا ومُقَلِّب القُلوب»[(١)].

ب) وإما بالفعل: فهو أقلّ من القول، مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبَلاغ، وهذا في حَجَّة الوداع في عرفة، (خطب الناس وقال: «ألا هَلْ بَلَّغت؟» قالوا: نعم، ثلاث مَرّات، قال: «اللهم اشْهَدْ»، يرفع إصبعه إلى السَّماء وينكتها إلى النّاس)[(٢)]، فرفع إصبعه إلى السَّماء، هذا وصف الله تعالى بالعُلُوِّ عن طريق الفعل.

وأحيانًا يذكر الرسول ﷺ الصفةَ من صفات الله بالقول، ويؤكدُها بالفعل، وذلك حينما تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، (فوضعَ إبهامَه على أُذُنِه اليُمْنى، والتي تَليها على عينه)[(٣)].

وهذا إثبات للسمع والبصر بالقول، والفعل. وعلى هذا: إنَّ إثبات الرسول ﷺ لِلصِّفات يكون بالقول، ويكون بالفعل، مجتمعين ومنفردين.

(أ) وإمّا بالإقرار: فهو قليل بالنسبة لِما قبله، مثل إقرار الجارية التي سألها: «أين الله؟» فقالت: في السماء، فأقرَّها، وقال: «أَعْتِقْها»[(٤)].

وكإقراره الحبر من اليهود الذي جاء وقال للرسول ﷺ: (إنّنا نجدُ أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والثرى على إصبع...) إلى آخر الحديث، فضحك النبي ﷺ تصديقًا لقوله[(٥)]، وهذا إقرار»[(٦)].

(١) البخاري (٦٦٢٨).
(٢) مسلم (١٢١٨).
(٣) «صحيح أبي داود» (٤٧٣٨).
(٤) مسلم (٥٣٧).
(٥) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٦) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/١٨٧ - ١٧٨).

القاعدة التاسعة عشرة: (ليس كل ما يضيفه الله تعالى إلى نفسه صفة من صفاته العلا).

الإضافة التي تنسب إلى الله سبحانه نوعان:

الأول: إضافة ذوات، الثاني: إضافة صفات.

النوع الأول: إضافة ملك وتشريف، وهو ما يضيفه الله تعالى إلى نفسه من المخلوقات المنفصلة عنه: كـ«بيت الله» و«ناقة الله»، و«عبد الله»، و«عبد الرحمن»، فهذه الإضافة تفيد تشريفه وتكريمه بما امتاز به ذلك المضاف من الأوصاف الفاضلة.

وكذلك: إضافة مُلك من جهة العموم الذي يشترك فيها جميع المخلوقات، مثل: «خلق الله».

النوع الثاني: إضافة صفة إلى الموصوف، وهو كل ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من معانٍ جلال وأوصاف كمال تقتضي قيامها به، واتصافه بها، لا تنفصل عنه بأيِّ حال، مثل: «وجهه» و«أصابعه» و«ساقه» و«سمعه»[1].

القاعدة العشرون: (جَواز الحلف بصِفات الله تعالى، والاستعاذَة بها).

دلَّت الأدلة السنية من الكتاب والسنة النبوية على جَواز الحَلْف بصِفات الله الجليلة، والاستعاذة بها، سواء كانت صفات ذاتيَّة، أو فعليَّة.

فمن الأدلَّة: قول إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، والعِزَّة صفة ذاتية، وفعلية[2].

---

(١) انظر: «نقض عثمان الدارمي على المريسي» (٣١٨)، و«مجموع الفتاوى» (٩/٢٩٠)، (١٧/١٥١)، و«توضيح الكافية الشافية» (٣٥ - ٤٢).

(٢) انظر: كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها» (١٣٥).

وفي حديث الإفك، وفيه: «... فقام أسيد بن الحضير ﷺ فقال: كذبت لعمر الله، لنقتُلَنَّه...»[1]، قال البيهقي ﷺ: «فحلفَ كلُّ واحدٍ منهما ـ أي: سعد بن عُبادة وأسيد بن الحضير ـ بحياة الله وبِبَقائه، والنبي ﷺ يسمع»[2]. وحياته سبحانه وبقاؤه من الصفات الذاتية[3].

ومن الاستعاذة بصِفاته تعالى كما تقدم في دُعاء النبي ﷺ في السجود: «**اللهم إني أعوذ برِضاك من سخطك، وبِمُعافاتك من عقوبتك...**» وهذه استعاذة بالصفات الفِعْلية.

ومن الاستعاذة بصفاته تعالى الذّاتية والفعلية معاً، صفة الكلام، كما في الحديث: «**أما إنَّكَ لو قلتَ حينَ أمْسَيْت: أعوذُ بكلمات الله التامّات من شَرِّ ما خَلَقَ**»[4].

۞ **القاعدة الحادية والعشرون: «مشروعية إثبات الصفات مع الإشارة إليها بِما هو محسوس معهود».**

ثبت في وقائع كثيرة في سنة خير البريَّة ﷺ القولية، والفعلية، والتقريرية، على إثبات الصفات العَلِيَّة، مع الإشارة إليها بالأمور الحِسِّيَّة المشاهدة الجليّة، «وذلك لِبيان إثبات حقيقة الصفة لله سبحانه»[5]، فإنَّ في الإشارة مع الإيضاح بالكلام، فيه زيادة في ترسيخ المعاني في الأفهام، وإن ذلك ليس فيه تشبيهًا ولا تَمْثيلًا، بل دلَّ على أنه سنة ينبغي أن يقتدى

(١) البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) «الاعتقاد» (٨٣)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٣٦٩/١).
(٣) وقد بوَّبَ الإمام البخاري ﷺ في صحيحه «باب الحلف بعِزَّة الله، وصِفاته، وكلامه...».
(٤) مسلم (٢٧٠٩).
(٥) «الاحتجاج بالآثار السلفية» (٩٤).

بها من خير الأنام ﷺ.

«فرسول الله كان أعلم الناس بِتَفاضل الأسماء والصفات وحقائقها، وكان أفصح الناس في التعبير عنها، وإيضاحها، وكشفها بكل طريق كما يفعله بإشارته، وحاله، من باب تحقيق الصفة، لا من باب التشبيه، والتَّمْثيل»(١)(٢).

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «يأخذُ الجَبّارُ سمواته وأرضه بيده» وقبض بيده فجعلَ يقبضها ويبسطها «ثم يقول: أنا الجَبّارُ، أينَ الجَبّارون؟ أين المتكبِّرون؟!»، قال: (ويتميل رسولُ الله ﷺ عن يَمينه وعن يَساره، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحركُ من أسفل شيءٍ منه، حتى إني أقولُ: أساقطٌ هو بِرسول الله؟!)(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «ولَمّا أخبرهم رسولُ الله ﷺ، جعلَ يقبض يديه ويبسطهما، تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا لها، كما قرأ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ووضع يديه على عينيه وأُذُنيه، تحقيقًا لِصفة السمع والبصر، وأنَّهما حقيقة لا مَجاز»(٤)(٥)

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٤/١٤٢٠).
وقد نقلت بعضَ ذلك من فعل النبي ﷺ في القاعدة الثامنة عشرة: (دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة طرق)، فارجع إليه غير مأمور.

(٢) ومن الآثار الدالّة على ذلك: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: قال هكذا، يعني: (أنه أخرج طرف الخنصر) انظر تخريجه في: صفة (الخنصر).

(٣) مسلم (٢٧٨٨).

(٤) «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٩٤٨).

(٥) وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رفع رسولُ الله ﷺ رأسه إلى السماء إلا قال: «يا مُصَرِّف القُلوبِ ثَبِّت قلبي على طاعَتِكَ». رواه أحمد في المسند (٩٤٢٠)، وصحح إسنادَه محققو المسند (١٥/٢٤٦).
ورفعه ﷺ رأسَه إلى السماء تحقيقًا، وتأكيدًا لإثبات صفة العُلُوّ الذاتية لِرَبِّنا سبحانه.

❁ القاعدة الثانية والعشرون: (تنقسم صِفاتُ رَبِّنا الجليل باعتبارات متعددة، ويندرج تحتها أنواع وأفراد عديدة).

من كمال ربنا الأعلى أن صفاته جاءت باعتبارات متعددة كثيرة، كل واحدٍ منها يدلُّ على الكمال المطلق، فما ظنك باجتماع تلك الأقسام والأنواع والأجناس، فالأمر أكبر من أن يتصور أو أن يعبر.

ـ القسم الأول: من حيث الثبوت والانتفاء:

تنقسم إلى نوعين: صفات ثبوتية، وصفات منفية:

❁ النوع الأول: الصفات الثبوتية: وهي الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، وهي كلها صفات كمال، ومجد، وحمد، وأكثر ما أخبر الله به من صفاته هو: الصفات الثبوتية، فلا تعدُّ أفرادها ولا تُحصى معانيها.

❁ النوع الثاني: الصفات المنفيَّة: وهي الصفات التي جاءت في النصوص في نفي النقائص والعيوب عن الله تعالى، وهذا النفي ليس نفيًا محضًا، بمعنى: أنها لم تجئ لمجرَّد النفي، بل لا بدَّ أن تتضمن كمالاً، لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن كمالاً ضدَّ هذا النفي، مثل: نفي الكذب، لكمال صدقه، ونفي النسيان: لكمال علمه، وحفظه، ونفي الظهير: لكمال غناه، وكمال ملكه وسلطانه...

ـ القسم الثاني: من حيث قيامها بالله تعالى:

تنقسم إلى نوعين: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

* **النوع الأول: الصفات الذاتية**: وهي التي لم يزل الله ولا يزال الله متصفًا بها في كل الأحوال والأزمنة لا تنفكُّ عنه بأيِّ أوان.

* **النوع الثاني: الصفات الفعلية**: وتسمى كذلك الصفات الاختيارية، لأنها تقع باختياره، ومشيئته، وإرادته متى شاء، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، ويدخل في أفعاله: أقواله سبحانه، فأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها.

وهناك **نوعٌ ثالث** يجمع بينهما: ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر، كصفة الكلام، فأصل الكلام من الصفات الذاتية، وباعتبار آحاده وأفراده فعلي، فكلامه لموسى، قبل كلامه لنبينا محمد ﷺ، وهذا يدلُّ على أنه يقع باختياره ومشيئته متى أراد.

ـ **القسم الثالث**: باعتبار الاشتراك والاختصاص:

وهي نوعان: **الأول**: صفات لا يتصف بها إلا الله وحده، **والثاني**: صفات يمكن أن يتصف بها المخلوق،

فمثال الأول: صفة الألوهية، والوحدانية، والبقاء، والكبرياء. والنوع الثاني: مثل: العلم، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والجمال... مع التفاوت والتفاضل في الاتصاف بين الخالق والمخلوق.

ـ **القسم الرابع**: صفات خبرية، وصفات عقلية:

* **الخبرية**: هي الصفات التي لا تعلم إلا من الشارع، مع أن العقل السليم لا يعارضها، مثل: وجهه سبحانه، ويديه، وأصابعه، وساقه، وعينيه،

واستوائه على عرشه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة.

* **الصفات العقلية الفطرية:** مثل حياة الله، ومشيئته، وملكه، وقوته، وعزته، وعلياؤه، وكرمه، وغناه، وصدقه، وغلبته...[1].

(١) ينظر: «الفقه الأكبر» (٢٥)، و«مجموع الفتاوى» (٦/٧١، ٢١٧) (١٣/١٦٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٩٦)، و«إبطال التأويلات» (٦٨٦)، و«الحق الواضح المبين» (١٠١)، و«القواعد المثلى» (٢١)، و«تقريب التدمرية» (١٦). و«التعليق على الطحاوية» لابن عثيمين (٢٨١، ٤٣٣)، و«الصفات الإلهية» د. محمد أمان، و«القواعد الكلية» للبريكان (٨٨ - ٩٢)، و«العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية» د. سلطان العميري (١٣٨).

«ذاتُ الله» سبحانه العَلِيَّة

إنَّ الإيمانَ بالله ﷻ إنَّما يعني الإيمانَ بالذّات الجَليلة المقدَّسة الواجبة الوجود، وجودًا حقيقيًّا، والإيمان بصِفاته العُلا، وأسمائه الحسنى معًا، وعندما يقول المؤمن: آمنتُ بالله تعالى إنَّما يعني هذا الإيمان الشامل، أي: الإيمان بِذات لا تشبهُ الذَّوات، مُتَّصِفة (بجميع) صِفات الكمال المُطلَق، التي لا تُعدّ، ولا تحدّ، ولا تُحصى، الذي لا يُشاركه فيها أحدٌ، فلا تشبه ذاتُه ذَواتَ خلقِه، ولا تشبه صِفاتُه صِفات خلقِه، بل لِصفاته [وذاتِه] حَقائق، ولِصفات خلقِه حقائق[1][2].

فـ«ذات الله ﷻ موصوفة بالعلم (والحقيقة)، غير مُدْرَكة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في الحياة الدُّنيوية، وهو موجودٌ بِحَقائق الإيمان على الإيقان، بلا إحاطة إدراك بها، بل هو أعلمُ سبحانه بِذاتِه، فهو موصوف غير مجهولٍ، وموجود غير مدرك، ومرئي غير مُحاط به، لِقربه كأنك تراه، يسمع ويَرى، وهو العليّ الأعلى، وعلى العرش استوى ﷻ، ظاهرٌ في ملكه وقدرته، وقد حجب عن الخلق كُنْهَ ذاتِه العُلا، ودلَّهم عليه بآياته (الكبرى)، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تكيفه[3].

فالله ﷻ لم يكلف أحدًا من عِباده معرفةَ كُنْهِ ذاته المُقدَّسة وكيفيتها، وقطع سبيلَ الوُصول إليها، حيث حجب ﷻ علمَ كيفية ذاته عن العِباد، وحالَ بينهم وبين معرفة كُنهها، لأنه ﷻ أكبر من أن يُحاطَ به علمًا، وأجلّ، وأعظم، ولأن القُوى البَشريَّة عاجزة عن تحمل عظمة ذلك[4].

---

(١) وإلى هذا المعني يُشير رسول الهدى ﷺ: «لا أحصي ثَناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسِك». مسلم (٤٨٦).

(٢) «الصفات الإلَهية في الكتاب والسنة» للدكتور محمد بن أسامة الجامي (٦٩، ٣٤١).

(٣) «التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد»، تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق الأصفهاني (٢٦٠). وانظر: «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/١٧١).

(٤) «الصواعق المُرسَلة» (٤/٤٢٧)، و«مدارج السالكين» (٣/٣٥٣).

الصفات الثبوتية

هذا القسم الأول من صِفات رَبِّنا العظيم، وهي الصفات الثبوتية، وهي: الصفات الذاتية، والفعلية، وقبل ذِكْر أفرادِها نذكر بعضَ القواعد والضوابط لها.

قد تقدم معناها: أنها هي الصفات التي وصف الله تعالى بِها نفسَه، ووصفه بها رسوله ﷺ من أوصاف الكمال والعُلا، وهي: صفات المجد، والثَّناء، والمدح، والحمد، والعُلو، والعَظَمَة، والجَلال، وغيرها الذي لا يُحْصَى، فيعلم أن له فيها الكمال المُطلَق الذي يمكن التعبيرُ عن عَظَمَتِه، وكُنْهِه، وأن له من ذلك الكمال غايته، ومُنْتَهاه، وأكمله، وهذا النوع هو المقصود الأعظم من التوحيد الذي جاء به النبيون والمرسلون، ولِهذا جاءت في الغالب بالتفصيل، لأنه كلَّما كثر الإخبار عنها، وتنوَّعَت دلالَتُها، ظهر من كَمال الموصوف بها ما هو أكثر، ما لم يكن معلومًا من قبل [1].

(١) انظر: «توضيح الكافية الشافية» (١١٥)، و«الحق الواضح» (٧)، و«شرح القواعد المثلى» (١٢٤، ١٣٤)، و«تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦، ٣٣).

القواعد والضوابط

القاعدة الأولى: (الصفات الثبوية صِفات مَدْحٍ وثناء وكمال، فكُلَّما كثرت وتنوَّعَت دلالتها ظهر من كَمال الموصوف بها ما هو أكثر)[1].

الصفات الثبوتية بنوعَيْها الذاتية والفعلية تدلُّ على المدح، والثناء، والكمال المطلَق من كلِّ وجهٍ، ولِهذا جاءت في الكتاب والسنة بألفاظ كثيرة، وأساليب متنوعة وعديدة، وعلى أوجه صريحة بديعة، لأنها أصل الأصول، ورأس الدين، ودلالتها في الكتاب والسنة أعظم بكثير من دلالتها على الأحكام[2]، بل في مسائل أمهات الدين كيوم القيامة، والبعث، والجنة، والنار، كما سيأتي عند ذِكْرها بالتفصيل، «ولهذا كانت أكثر بكثير من الصفات السلبيَّة (أي: المنفية) كما هو معلوم»[3] لِتَضَمُّنِها معاني وجودية وحقيقية جَليلة تدلُّ على كمالَيْن لا يتناهَيَان لِرَبِّنا سبحانه، الأول: من جهة عددها، وأنواعها، من الكثرة التي لا تُحْصَى[4]. والثاني: من حيث دلالتها على المعاني الواسعة، بحيث لا يستطيع أحدٌ إحصاءَ واحد منها، أما الصفات المنفيَّة فعددها محصور[5].

ـ **الضابط الأول: الصفات الذاتية: (هي الصفات التي لم يزل ولا**

---

(١) «القواعد المثلى» (٢٤). و«التعليق على مواضع من شرح العقيدة الطحاوية» (٣٨٢) لابن عثيمين.

(٢) ينظر: «توضيح الكافية الشافية» (١٣٩).

(٣) «القواعد المثلى» (٢٤).

(٤) لأن كل اسم يتضمنُ صفة لا العكس. وأسماؤه تعالى لا تُحْصى، فما ظَنُّك بصِفاته العُلا.

(٥) وقد أحصيت غالبها في مؤلف قد سميته «الصفات المنفية في الكتاب والسنة النبوية».

يزال يتصف الله سبحانه بها).

فهي مُلازمة لِذاته العُلا، دائمة بدوامه، لا تنفكُّ عنه، ولم يخلُ منها سبحانه طرفة عين، بأيِّ حالٍ من الأحوال.

ـ **الضابط الثاني**: (أنه ليس لها تعلق بِمَشيئته، وإرادته).

فالله لم يزل له يَدَان، ووجْه، وعَيْنَان، فهذه الصفات ليس لها تعلق بأي حال بالمشيئة والإرادة[1].

۞ **القاعدة الثانية: (ثبوت الكمال لله يستلزم نفي نقيضه)**[2]:

مفهوم هذه القاعدة: أنَّ كل صفة جاءت عن الله تعالى فإنها تدلُّ على أمرين: **الأول**: ثبوت هذه الصفة لفظًا ومعنىً. **الثاني**: نفي عنها نقيضها من النقائص والمعايب.

وأمثلة هذه القاعدة: أن ثبوت الحياة له تعالى يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وثبوت العينين يستلزم نفي العور، وثبوت العلو يسلتزم نفي أن يكون الله محاط داخل العالم وهكذا.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و«مجموع الفتاوى» (٦٨/٦)، و«الإبانة الكبرى» (١٧٢/٦)، و«الكواشف الجلية» (٢٥٨)، و«شرح الواسطية» لابن السعدي (٣٢٨/١)، وكذلك لابن عثيمين (١٨٣/١).

(٢) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى» (٧١/٦)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/٤)، و«الحجة في بيان المحجة» (١٤٢/٢)، و«الصواعق المرسلة» (١٤٧/١) (٩١٤/٣).

القسم الأول: الصفات الذاتية

(١) صفة الكمال (الوَجْهُ) ذو الجلال والإكرام

❁ الأدلة: ١) قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

٢) وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

٣) قال ﷺ: «... **إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وَجْهَ الله، إلّا ازددت به درجة، ورفعة..**»[(١)].

٤) أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا دخلَ المسجدَ قال: «**أعوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسُلْطانه القديم من الشَّيطان الرَّجيم**»[(٢)].

❁ الشرح: جاءت الأدلَّة الوفيرة في الكتاب والسنة النبوية في إثبات صفة الوجه الذّاتية، والتي لا تنفكُّ عن الله تعالى بأيِّ حالٍ، موصوف بها على الدَّيمُومِيَّة.

وصف ربُّنا العظيم وَجْهَهُ في الكتاب والسنة بعدة أوصاف جلال وجمال وكمال، والتي تدُلُّ على أن وجهه سبحانه هو: أحسن الوجوه، وأجمل الوجوه، وأنور وأبهى الوجوه على الإطلاق.

أولاً: بالجلال، ثانيًا: الإكرام، ثالثًا: بالبقاء وعدم الهلاك، رابعًا:

---

(١) البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) «صحيح أبي داود» (٤٦٦).

الكريم، خامسًا: بالنور، سادسًا: بأن له حجب[1]، سابعًا: بالسُّبُحات.

ووصف وجهه سبحانه بوصفين: بـ«ذي الجلال والإكرام» الذي لا يستحقُّ هذه الصفة غير وجهه سبحانه كما في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[2].

* الأول: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ أي: ١) أنه صاحب العظمة والهيبة، والكبرياء، الذي له الجلال الباهر، والسلطان والمجد الكامل. ٢) وهو المستحق أن يجل ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه.

* الثاني: ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: وهو: (١) سعة الفضل والكرم الواسع، والجود العالي، الذي يكرم من يستحق الإكرام من عباده، فيكرم: أنبياءه، وأهل طاعته، أ) في رفع درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ب) وبأن يحلهم في دار كرامته.

(٢) وهو أهلٌ لأن يكرم سبحانه: أ) فلا يُجحد ولا يُكفر به، ب) بأن يكرمه أولياؤه بتمجيده، ومحبته، والثناء عليه، فالله تعالى هو: المُكْرِم، وهو: المُكْرَم سبحانه[3].

وفي وصف وجه ربنا الأعلى بالجلال والإكرام يجمعان غاية ومنتهى

---

(١) قال عبد الله بن عمر ﷺ: «احتجب الله من خلقه بأربع: بنار، وظلمة، ونور، وظلمة» رواه الدارمي في «نقضه على المريسي» (٢٢٠) وصحح إسناده المحقق.

(٢) انظر: «كتاب التوحيد» و«إثبات صِفات الرَّبّ ﷻ»، لإمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة (١/٢٤، ٥١). وانظر: «الاعتقاد» للإمام البيهقي (٨٩).

(٣) ينظر: «شأن الدعاء» (٩١)، و«التوحيد» لابن منده (٢/٢٠٢)، و«تفسير أسماء الله الحسنى» (٦٢)، و«الحجة في بيان المحجة» (١/١٥٠)، و«تفسير السعدي» (٨٣٠، ٩٤٦)، و«شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٣٠).

الكمال له سبحانه: «فالجلال: فيه معنى الكمال في العظمة والكبرياء، وفي الإكرام: معنى الكمال في الحسن، والبهاء، والجمال»[1].

* **ثالثًا: بالبقاء**، ويُستفاد من تخصيص البقاء لوجه الله ﷻ، وهلاك ما دونه من المخلوقات، أمران:

الأول: بقاء الله ﷻ، لأنه إذا بقيت صفة من صفات الله الذاتية، فالله ﷻ باق.

الثاني: أن يُقال هنا خصص الوجه؛ لِجَلاله، وإكرامه، وعظمته، وتشريفه بذلك، لكون المخلوقات تقصد وَجْهَ العظيم، فيكون هذا أبلغ في نفس المخلوق[2].

* **رابعًا: الكريم**: كما في استعاذته ﷺ عند دخول المسجد، والكريم هو: الجامع لكل المحاسن، والفضائل، والمنافع، المنزه عن كل النقائص والمعايب ﷻ[3].

* **خامسًا: بالنور العظيم**: الذي: به أشرقت وأنورت له الدنيا والآخرة «فاستنارت به العوالم كلها، فبنور وجهه أشرقت الظلمات، واستنار به العرش، والكرسي، والسبع الطباق، وجميع الأكوان»[4].

كان من دعاء عبد الله بن عباس ﷺ: «اللهم إني أسألك بنور وجهك

---

(١) «شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (١٠١) بتصرف.

(٢) «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» لِمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (١/٤٠٥).

(٣) انظر كتابنا: «التعاليق العلا في شرح أسماء الله وصفاته العلا» (١١٦).

(٤) «الحق الواضح» (٩٣).

الذي أشرقت له السموات والأرض، أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك»[1].

وفي دعاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة»[2].

* **سادسًا: الحجب**: والتي منها: النور، والنار، ورداء الكبرياء.

حجاب وجهه الأعلى ﷺ

احتجب وَجْهُ ربّنا العظيم عن خَلْقه بحجابين: **الأول**: بالنور، **الثاني**: بالكبرياء، **فمن الأول**: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَنام، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفض القسطَ ويرفعُه، يرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النَّهار، وعمل النَّهار قبل عمل الليل، حِجابُه النُّور**»، وفي رواية: «النار»، «**لو كَشَفَه لأحرقت سُبُحات وَجْهِه ما انتهى إليه بصرُه**»[3].

قوله: (**حجابه**) أصله: المنع، والسّتر، وهذا الحجاب هو: المانع من إدراك العباد له سبحانه، وجاء وصف هذا الحجاب أنه (نور) أو (نار)[4]، وأنه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٥١٦) وصححه محقق الكتاب أ.د. سعد بن ناصر الشري (٢٥٩/١٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٠٣٦)، وحسن إسناده محقق الكتاب (١٢٨٠/٢).

(٣) مسلم (١٧٩).

(٤) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «...فإن تردد الراوي في (لفظ: النار، والنور). لا يمنع ذلك. فإن مثل هذه النار الصافية، التي كلم بها موسى، يقال لها: (نارٌ، ونورٌ) كما سمى الله نار المصباح: نورًا. بخلاف النار المظلمة، كـ(نار جهنم)، فتلك لا تسمى (نورًا)». «مجموع الفتاوى» (٣٨٧/٦)، و«مختصر الصواعق» (١٩٤/٢).

لو كشف هذا الحجاب «لأحرق نور وجهه ما يدركه من خلقه»[1] من في السماوات والأرض.

* سابعًا: السُّبُحَاتُ: والسُّبُحاتُ: جمع سُبحة، وهي: جمال الوجه، وبهاؤه، وحُسنه، وجلاله، ونوره[2].

فدلَّ على أن السبحات: صفة لوجهه سبحانه، وأن الإحراق يكون لجميع ما يدركه نوره[3].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله: «إن لوجه ربنا ﷻ من النور، والضياء، والبهاء، ما لو كشف حجابه، لأحرقت سُبُحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الباقية[4].

فدَلَّ على أنه ﷻ محتجب عن الخلق بحُجُبٍ عظيمة من النُّور، لا يعلم قدرها إلا الله تعالى. وهذا يدلُّ على أنه لا يمكن لأحد أن يتصور كيفية صِفات الله تعالى أبدًا، لأنه إذا كانت الحُجُب العظيمة، وهي حُجُب ليست كالسموات والأرض، بل هي أوسع منهما، لو كشفها الله تعالى لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فسُبحان الله العظيم! عظمة عظيمة! ما يدركها الإنسان لا تفكيرًا، ولا تصويرًا[5]. فما الظن بِجَلال ذلك الوجه الكريم، وعظمته،

---

(١) «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (٣٢٦).

(٢) شرح النووي لِصحيح مسلم (١٨/٢)، والنهاية (٣٣٢/٢)، و«مجموع الفَتاوى» (٦/١٠)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (١٩٠/٢)، و«كتاب رد الإمام الدارمي على بشر المريسي» (٧٥٢/٢).

(٣) «إبطال التأويلات» (٣٢٨).

(٤) «كتاب التوحيد» (١٠٨/١).

(٥) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢٨٢/١).

وكبريائه، وكماله، وجلاله[1].

۞ الاحتجاب الثاني: الكبرياء:

قال رسول الله ﷺ: «... **جنتان من فضةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رِداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[2].

وقد أخبر النبي ﷺ: بأن الله تعالى وجهًا يقبل به على وجه المصلي له[3].

قال ﷺ: «إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهنَّ ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ....، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده»[4].

۞ النَّظر إلى وجه الله تبارك وتعالى هو أعظمُ وأعلى نعيمٍ في الجِنان ۞

النظر إلى وجه ربنا الأعلى هي أفضل كرامة التي أكرم الله بها أولياءه يوم القيامة[5]، عن صُهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦]، قال ﷺ: الحسنى: الجنة،

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١٠٨٢/٣).

(٢) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٧٩، ٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

(٣) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (٨٨/١).

(٤) «صحيح الترمذي» (٢٨٦٣).

(٥) «اعتقاد الحافظ الإمام الجليل عبد العزيز بن الماجشون ﷺ» بواسطة «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (١٤٠).

والزيادة: نظرهم إلى وجهه ﷻ ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بعد نظرهم إليه، وقال ﷺ: «**إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، ودخلَ أهلُ النّار النّارَ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّة، إنَّ لكم عندَ الله موعدًا يريدُ أنْ يُنْجِزَكموه، قال: فيقال: ما هو؟ ألَمْ يُبيِّض وجوهَنا، ويُثقل موازيننا، وأدخلنا الجنة، وأجارَنا من النّار؟! قال: فيُكشَفُ الحجابُ، فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى فينظرون إليه**» ثم قال ﷺ: «**والذي نفسي بِيَدِهِ ما أعْطاهم الله في الجنة شيئًا هو أحبَ إليهم، ولا أقرّ لأعينهم من النَّظَرِ إلى وجه الله تبارك وتَعالى**»[(١)].

ولهذا فإن أهل الجنة ينتظرون كل جمعة حتى ينالوا شرف رؤية وجهه الأعلى سبحانه، كما في حديث جبريل ﷺ الذي فيه: (... هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة: «يوم المزيد»...) ثم قال: (فيتجلى لهم ربهم ﷻ حتى ينظر إلى وجهه...، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه، ولذلك دعي «يوم المزيد»)[(٢)].

ولذلك كان سيد الأولين والآخرين يسأل رَبَّ العالمين أن يرزُقَه التَّلَذُّذ في النظر إلى وجهه الجميل، الذي لا أجملَ، ولا أبهى، ولا أحسن ولا

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٥) وصحح إسنادهم محقق الكتاب الشيخ أبو مالك الرياشي (٣٥١ ـ ٣٥٥) وأخرجه ابن أبي منده في «التوحيد» (٤٥١)، وعثمان الدارمي في «الرَّدّ على الجهمية» (١٧٥)، وفي «الرَّدّ على المريسي» (٢٢٨)، وأصله في مسلم (١٨١).

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٥/٣) رقم (٣٧٦١).

أكمل منه على الإطلاق.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يدعو يقول: «...**وأسألك لَذَّةَ النَّظَر إلى وجهك، والشَّوقَ إلى لِقائك**»(١).

قال إمام الأئمة ابن خُزَيْمة رحمه الله: «ففي مسألة النبي ﷺ رَبّه لَذَّة النظر إلى وجهه أبين بيان، وأوضح وضوح أن لله ﷻ وجهًا يتلَذَّذ بالنظر إليه، مَنْ مَنَّ الله ﷻ عليه، وتفضَّلَ بالنَّظر إلى وجهِه»(٢).

وبالختام: اعلم يا رعاك الله أن وجه ربنا الموصوف بالجلال والإكرام لا يمكن الإحاطة به وصفًا، ولا يمكن التصور به فكرًا، فكل ما دار في بالك فالله تعالى أجلّ وأجمل وأعلى مما في ذلك.

(٢) صفة الكمال (اليَدَانِ) الكريمتان العظيمتان

أجمع أهلُ السُّنة والجَماعة على الإيمان بأنَّ لِرَبِّنا سبحانه يدين مبسوطتين بالخيرات ينفق بهما كيف شاء «بهما ملكوت كل شيء»(٣)، لا تشبه أيدي المخلوقين، تَليقان بِكَماله وجلاله كمثل باقي صِفاته العلية، وهما «اثنتان، لا زيادة فيهما، ولا نقص فيهما، لأن المحصور بعدد يتعيَّن ألا يزيد عليه ولا ينقص، وهذا ما أجمع عليه السَّلَف بِدلالة القرآن والسنة عليه»(٤).

---

(١) «صحيح النسائي» (١٣٠٤).

(٢) «كتاب التوحيد» (١/٣٠).

(٣) من كلام الإمام عبد العزيز المكي الكناني في رده على الجهمية، بواسطة «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٩٧١).

(٤) «تفسير سورة المائدة» لابن عثيمين (٤/٣١٤).

❁ الأدلة: ١) قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢) وقال عز شأنه: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]

٣) قال رسول الله ﷺ: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سَحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفقَ منذ أن خلقَ السموات والأرض، فإنه لم يغض (أي: لم ينقص) ما في يده**»[(١)].

٤) وقال ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبزة واحدة يتكفؤها[(٢)] الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة**»[(٣)].

❁ الشَّرْح: اليَدان من الصفات الذّاتية الخبرية، والتي لا تعلم إلا من الشارع الحكيم، وهما يدان كريمتان يقبض السموات السبع بإحدى يديه ويطويها كما يُطوى السجل على أسطر الكتاب، حتى تكون في كفّه كخردلة في كفِّ العبد، والأرضون السبع: قبضة اليد الأخرى، وأن إحدى يديه الكريمتين: للجود والفضل، بها يقسم الأرزاق، ويجزل العطايا، ويمنُّ بفضله على من يشاء من عباده، وباليد الأخرى: القسط والعدل والميزان، يخفض من يشاء ويرفع من يشاء عدلاً منه وحكمة لا إله إلا هو العزيز الحكيم[(٤)].

وقد جاءت اليدان موصوفتان بعدة أوصاف كمال على الحقيقة، والذي

---

(١) البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣). وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يَبسط يده بالليل لِيَتوبَ مُسيءُ النَهار، ويبسط يدَه بالنَهار لِيتوبَ مسيء الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مَغْرِبها». مسلم (٢٧٦٠).

(٢) أي: يقلبها بين يديه الكريمتين حتى تستوي.

(٣) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٤) ينظر: «إعلام الموقعين» (٤/٤٠٣)، و«زاد المعاد» (٣/٦٨٢)، و«شفاء العليل» (١/٣٣٠)، و«والصواعق المرسلة» (٣/١١١٥).

يدلُّ على عظم شأنهما وجلال قدرهما، فمن ذلك: القبض، والبسط، والطي، والرفع، والإمساك، والهمز، والتقليب، والكتابة بالخط، والمسح، والحيثيات وغير ذلك من الأوصاف، وأن لها أصابع وأنامل، وكف متعلقة بها، فسبحانه من رب عظيم ما أعظمه، وما أكمله.

وقد ذكر الله لنا ما قاله اليهود في حَقِّه حينما وصفوه بالبخل، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فدعى الله عليهم بجنس مقالتهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾، فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقًا عليهم، فكانوا أبخلَ الناس، وأقلهم إحسانًا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ[1] يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مِمّا أراد، فيداه تعالى سَحَّاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرار[2].

وفي هذا فائدة، وهي: أن الافتراء على الله والقول عليه في أسمائه وصفاته، وانتقاص عظمته سبحانه يوجب اللعن، وهكذا من يقول في الله وعلى الله بغير علم، وينتقص الرب وعظمته، أو يتهكم بشيء من صفاته[3].

وفي الحديث الثاني: يبين رسولنا ﷺ عظمة يديه سبحانه، وكمال قدرته، وعلو جبروته أن هذه الأرض العظيمة يقلبها بين يديه يوم القيامة حتى تستوي، فتكون ممدودة مبسوطة بعد أن كانت مكورة فيجعلها «يوم القيامة فتكون من أحسن الأطعمة، بل من الأطعمة التي لم نرى مثلها»[4]، نزلاً

---

(١) قال شيخ الإسلام ﷺ: «معنى بسطهما: بذل الجود وسعة العطاء». «مجموع الفتاوى» (٦/٣٦٣).

(٢) «تفسير السعدي» (٢٣٨).

(٣) «شرح عقيدة عبد الغني المقدسي» أ.د. عبد الرزاق البدر (١٣٥).

(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٦).

مكرمًا لأوليائه في الجنة.

ومن الأدلة على عظم يديّ ربنا ﷻ: ما جاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (ما السمواتُ السبع، والأرضون السبع وما فيهما في يد الله ﷻ، إلا كخردلة في يد أحدكم)[1].

الأشياء التي خلقها الله بيده تعالى

مِن كَمال قدرة الله تعالى أنه إذا أراد أن يخلقَ شيئًا قال له «كن» فيكون، كما أراد، لا يتخلَّف، ولا يتأخَّر، إلّا أنه خصّ سبحانه بعضَ المخلوقات أنه باشر خلقها بيديه الكريمتين، تشريفًا لها، وتعظيمًا لِشَأنها، فمنها:

أولًا: آدم عليه السلام: كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].

وفي حديث الشَّفاعة العظيم وفيه: «... **فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيدِه، ونفخَ فيك من رُوحِه**»[2].

ثانيًا: **التوراة**: ففي حديث المحاجّة بين آدم وموسى عليهما السلام، قال ﷺ: «**احتجَّ آدم موسى، فقال له موسى: يا آدم! أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجْتَنا من الجنة. فقال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بِكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده...**»[3].

ثالثًا: **العرش**: عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: «**خلقَ الله أربعة أشياء**

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (١١٤٤) وحسنه محقق الكتاب (٢/١٩٥).

(٢) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) البخاري (٦٦١٣)، ومسلم (٦٥٢).

بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنات عدنٍ، ثم قال لِسائر الخلق: كن فيكون»[1].

❁ رابعًا: القلم: قال ﷺ: «أول ما خلق الله تعالى القلم فأخذه بيمينه»[2].

❁ خامسًا: كتابًا موضوعًا عنده سبحانه: قال رسول الله ﷺ قال: «لَمّا قضى الله الخلقَ، كتبَ في كِتابِه بيده على نَفْسِه، فهو عنده فوقَ العرش: إنَّ رحمتي غَلَبَتْ غَضَبي»[3].

❁ سادسًا: أعلى الجَنَّة: كما في سُؤال موسى عليه السلام لِرَبِّه ﷻ عن أعلى أهل الجنة منزلة: «...، قال: رَبِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردْتُ، غرسْتُ كرامتهم بيديّ، وختَمْتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تَسْمَعْ أذنٌ، ولم يَخطُرْ على قلبِ بَشَرٍ»[4].

(٣) صفة (اليَمِين) الجليلة

❁ الأدِلَّة: ١) قال رَبُّ العالمين: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

٢) قال ﷺ: «يَمينُ الله ملآى لا يغيضُها نفقة..»[5].

---

(١) رواه الدارمي في «الرَّدّ على المريسي» (١/٢٦١). والآجري في كتابه «الشريعة» (١٩١)، وقال الألباني في «مختصر العلو» للذهبي: إسناده صحيح على شرط مسلم (١٠٥). وهذا الأثر موقوف. لكن حكمه حكم المرفوع، لأنه من الغَيْبِيّات التي لا تعلم إلّا عن طريق الشارع الحكيم.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٦)، وهناك عدة ألفاظ ذكرها ابن أبي عاصم (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨) وصححها جميعها الألباني. وكما في الأثر السابق: (خلق الله أربعة أشياء: - فذكر منها - القلم).

(٣) البخاري (٣١٩٤). ومسلم (٢٧٥١)، وصحيح الترمذي (٢٨٠٨).

(٤) مسلم (١٨٩).

(٥) البخاري (٧٤١٩). ومسلم (٩٩٣).

❁ **الشَّرْح**: أطلق الله سبحانه على إحدى يديه لفظَ اليَمين، وكذلك النبي الأمين ﷺ، و«جعل الله تعالى الطَيَّ للسموات لا القبض، لأن السَّماء أوسع من الأرض، وأشد، وأعظم، وطيُّها أبلغ في القدرة، وقد شبَّه الله تعالى هذا الطيَّ بقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فهذه السموات العظيمة يَطويها بِيَمينه، كطي السجل للكتب»(١).

❁ كلتا يديّ رَبِّنا تعالى يمين مباركة ❁

من كمال يدي ربنا سبحانه أنَّ كلاهما يُمن، وخير، وبركة، وأنهما سواء في الكمال والشرف والفضل، لا فرق بينهما، ولا نقص في واحدةٍ منهما البتة.

١) قال ﷺ: **«إنَّ المُقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يَمين...»**(٢).

٢) قال رسول الله ﷺ: **«لَمّا خلقَ الله آدمَ، ونفخَ فيه من رُوحه، فقال الله له، ويداهُ مقبوضَتان: اختر أيَّهما شئت، فقال: اخترت يمين رَبِّي، وكلتا يديْ رَبِّي يمين مباركة...»**(٣)(٤).

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).

(٢) مسلم (١٨٢٧).

(٣) صحيح الترمذي (٣٣٦٨).

(٤) «تفسير سورة المائدة» (٤/٣١٦)، و«القول المفيد» لابن عثيمين (٢/٥٣٤).
وقال العلامة صالح الفوزان: «قوله: (وكلتا يديه يمين) فهي شمال لكنها ليست كشمال المخلوق، فشماله يمين، خلاف المخلوق فإن شماله لا تكون يمينًا، وإنما هذا خاصٌّ بالله تعالى، بأن كلتا يديه يمين، فله يد يمين، وله شمال...». «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢/٣٣١).
وقد ضعَّفَ الألباني رواية الشِّمال، بقوله: « إنَّ رواية «بِشِماله» شاذَّة». «مجلة الأصالة» (٤/٦٨) نقلًا من «الصفات الواردة» (٤٢٦).

«مسألة: هل هاتان اليدان توصَفان بأنهما يمينًا وشِمالًا؟

الجواب: فيهما قولان: منهم مَن قال: لا، وأنكر لفظ الشِّمال الوارد في صحيح مسلم، ومنهم من قال: بلى، وكل منهم له شبهة، لكن الصواب: إنها تثبت، وأن معنى قول النبي ﷺ: «اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين» يعني: اليمن والبركة والتساوي، لأن المخلوق الذي له يمين ويسار، أو يمين وشِمال تختلف اليمين والشمال، تختلف بالقوة حتى بالقوة الجسمية، ولكن لا تختلف يدا الله، وأريد التثنية ـ فكلتاهما يمين، وهذا هو الصحيح، فإننا نثبت الشمال لله، لكن لا على أنها ناقصة عن اليمين، بل كلتاهما يمين، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة»[1].

وقال الإمام العلامة ابن باز ﷺ: «فالله توصف يداه باليمن والشمال من حيث الاسم كما في الحديث، وكلتاهما يمن مباركة من حيث الشرف والفضل...»[2].

(٤) صفة الكمال (الكَفّ) الجليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷺ: «**ما تصدَّق أحدٌ بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطَّيِّب، إلا أخذها الرحمن بيَمينه، وإن كانت تمرة، فتربو[3] في كَفِّ الرحمن حتى تكون أعظمَ من الجِبال...**»[4].

---

(١) «تفسير سورة المائدة» (٤/٣١٦)، و«القول المفيد» لابن عثيمين (٢/٥٣٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٥/١٢٦).

(٣) أي: تنمو وتزداد وتَتضاعَف.

(٤) مسلم (١٠١٤). وجاء عنه ﷺ أنه قال: «إنَّ الله تعالى أخذَ ذُرِيَّة آدم من ظهورهم فأشهدهم على=

❁ **الشَّرْح**: في الحديث المتقدم بِشارة عظيمة وكريمة لِكُلِّ منفق، وإن كانت نفقته في غاية الصِّغَر والقِلَّة، فإنها تضاعف وتنمو حتى تكون أكبرَ من أعظم مخلوقات الله البديعة، وهي: الجبال، وقوله: (فتربو في كَفِّ) هو على الكيفية التي لا يعلمُها إلا هو سبحانه، وإنْ كُنّا نؤمن بذلك على الحَقيقة وعلى ظاهر النص.

وفي تخصيص ذِكْر (الرحمن) دون غيره من الأسماء: لبيان هذه المُضاعفة من موجبات رحمة الله تعالى لِخَلْقه، وإلّا كان العدل والجَزاء أن يكون بمثله، لكن لِرَحمة الله تعالى الواسعة أنه يقبلها ويُنمِّيها لِعبده المتصدِّق أضعافًا مضاعفة.

(٥) صفة الكمال (الأَصَابِع) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: ١) ففي الصحيحين: «أنَّ يهودِيًّا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: (يا أبا القاسم! (إن الله يُمسكُ السموات على إصَبع، والأرضين على إصبَع، والجبال على إصبَع، والخلائق على إصبَع، ثم يقول: أنا الملك)، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدتْ نَواجِذُه، ثم قرأ: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي لفظ: «**فضحكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا وتصديقًا**»(١).

٢) قال ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن**

= **أنفسِهم، ثم فاض بهم في كَفَّيه...**». رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٦٨). وصحح إسناده الألباني (٧٤). وقال ﷺ: «رأيتُ رَبِّي في أحسن صورة... فرأيْته وضعَ كَفَّه بين كتفي، حتى وجدتُ أنامِلَه في صَدري». صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

(١) صحيح البُخاري (٤٨١١، ٧٤١٤). ومسلم (٢٧٨٦).

كقلبٍ واحد»[1].

❁ **الشَّرْح**: تقدمَ حديثُ عبد الله بن مسعود ﷺ الذي أخبر فيه اليهودي عن إثبات وعظمة أصابع رَبِّنا الجليلة «وهذا من العلم الموروث عن الأنبياء المتلَقَّى عن الوحي من الله تعالى، ولهذا صدَّقَه رسولُ الله، بل وأعجبه ذلك وسُرَّ به، ولهذا ضحك حتى بَدَتْ نواجِذُه تصديقًا له»[2].

ولهذا قرأ ﷺ الآية، تأييدًا له[3].

وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على أن مسائل التوحيد، والإيمان، والتي منها الأسماء والصِّفات متفقة على ذلك في جميع الأديان.

ودلت هذه الصفة الجليلة على عظمة صِفات رَبِّنا، وأنها لا تُشبه صفات أحد من خلقه، وإن تشابهت المُسَمَّيات عند الإطلاق، أما عند الاختصاص فإن الحقائق والكيفيات تختلف عنهم من جميع الوجوه والاعتبارات «فإن جميع بني آدمَ منذ خلق الله تعالى آدمَ إلى أن ينفخ في الصُّور، لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سمواته، أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانِهم كانوا غير قادرين على ذلك، ولا مستطيعين له، بل عاجزين عنه»[4].

وإذا كانت السموات مع عظمتها وسعتها يجعلها الله على أصبع من

---

(١) مسلم (٢٦٥٤).

(٢) «شرح كتاب التوحيد» من صحيح البُخاري» للعلامة عبد الله الغنيمان (١/٢٢٦).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩١).

(٤) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/١٩٤).

أصابعه...، فما الظن باليد الكريمة التي هي صفة من صفات ذاته[1].

ولهذا يقول بيده سبحانه: «أنا الملك»: «أي أنه تعالى يهزُّهن استخفافًا لهذه المخلوقات، واستِصْغارًا لها، أمام عظمة الله تعالى، وقوته ﷻ، وقد جاء مصرحًا بذلك في الرِّوايات الأخرى»[2].

«وهذا الإمساك يكون قبل تبديل الله تعالى الأرض غير الأرض، لأن الإمساكَ على الأصابع غير القبض على الشيء...»[3].

واعلم رَعاكَ الله تعالى أن الله قادرٌ على أن يضعَ كل أنواع المخلوقات التي ذكرت في الحديث على إصبَعٍ واحد، لكن لِحِكمة عَلِيَّة اختص بها سبحانه.

وفي الحديث (أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين) من أصابعه الجليلة، وهذا ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماسّ لها، ولا أنها في جوفه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، لم يقتضِ أن يكون السحاب مماسًّا للسماء والأرض، ونظائر ذلك كثيرة[4].

ولذلك يجب أن يبقى الحديث على ظاهره، ويقال: إن البينية التي تكون القلوب بين أصابع الرحمن هي بينية حقيقية لا يلزم منها المماسة،

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١٠٨٣/٣).

(٢) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (٥١٧/٢).

(٣) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١٨٥/١).

(٤) «مجموع الفَتاوى» (٤٥/٣).

ولا يلزم أن تكون هذه البينية مشابهة لبينية المخلوق[1] والله أعلم بذلك.

وقوله ﷺ: (يقلبها)؛ أي: الله تعالى، وإضافة التقليبِ إلى الله سبحانه حقيقة، والفائدة من هذا أن الرسول ﷺ بَيَّن أن تقليب هذه القلوب يسيرٌ على الله ﷻ كالشيء الذي بين أصابعه[2].

(٦) صفة الكمال (الأَنامِل) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال ﷺ: «... **فإذا بِرَبِّي** ﷻ (يعني: أنه رأى الله تعالى في المنام، ورؤيا الأنبياء حق) **في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قال: يا محمد! فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رَبّ، قال: يا محمد! فيمَ يختصم الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أدري يا رب، فرأيتُه وضعَ كفَّه بين كتفي، حتى وجدت بردَ أناملِه في صدري...**»[3].

❁ **الشَّرْح**: وصف نبيّنا ﷺ أن لِرَبِّنا أنامل، والأنامل هي: أطراف الأصابع، والعبد المؤمن لا يستوحشُ ولا يختلج في فُؤاده أي معنًى يخرج هذا الوصف عن ظاهره، لأن نبيّنا أطلقَ ذلك على رَبِّنا، فهو أعلم الورى، بربِّه ﷻ، فينبغي الامتثالُ، والتصديق بما أخبر من الهدى، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

وقد تقدم بيانه أن ما أطلقه تعالى على نفسه، من أوصافٍ لا تشترك مع غيره عند الإطلاق إلّا في المسمَّيات، وعند الإضافة والتقييد يفترِقان،

(١) «شرح العقيدة التدمرية» لابن عثيمين (٢٣٥).
(٢) «شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (٢٥٧).
(٣) صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

بمعنى: أنَّ ما أُضيف إليه سبحانه يليق بِجَلاله، وكماله، وما أُضيف إلى غيره من المَخلوقين يليق بِنَقْصهم، وضعفهم.

(٧) صفة الكمال (الإِبْهَام وَالْخِنْصِر) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: عن أنس بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: «هكذا» (**وضع إبهامه على قريب من طرف أنملتِه، فساخ الجبل، وخرَّ موسى صَعِقًا**).

وفي لفظ: (**وأمسك بطرَفِ إبهامِه على أنملة إصبعه اليُمْنى**).

قال حميد لِثابت: تقول هكذا؟ فوكزه، قال: (يقول رسول الله ﷺ، ويقوله أنس، فأكتمه أنا!).

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: (**أخرج طرف خنصره**)، «فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ فضرب صدرَه ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد، يخبر به أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ، وتقول: وما تريد إلى هذا؟»[(١)].

❁ **اللغة**: **الإبهام**: بالكسر: الإصبع العظمى[(٢)]. **الخنصر**: الإصبع الصغرى أو الوُسطى[(٣)]

---

(١) رواه بن أبي العاصم في «السنة» (١/٢١٠)، وصححه الألباني (٤٨٠ ـ ٤٨١). وفي صحيح الترمذي (٣٠٧٤). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٢٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، وصحح إسنادَه الضِّياء المقدسي في المختارة (٥/٥٤).

(٢) «الصحاح» (١١٤).

(٣) «القاموس المحيط» (٤٠٠).

۞ **الشَّرْح**: تقدَّمَ في الحديث إثبات صفة الكمال: الإبهام، والخنصر، وقد فَسَّرَ النبي ﷺ الآية في سورة الأعراف في تَجَلِّي رَبِّنا العظيم للجبل، حينما سأل موسى عليه السلام رؤية ربِّه سبحانه.

وقول الرّاوي: وأمسك بطرف إبهامه على طرف إصبعه اليمنى فساخَ الجبل، حكاية عن فعل النبي ﷺ بعد تِلاوة الآية «إشارة لِبَيان قلة التَّجَلِّي»(١).

أي: ما تجلى منه سبحانه إلّا هذا القدر القليل، وهذا يدلُّ على أنه تعالى لا يُحاطُ به علمًا، ولا يُحْصَى ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه سبحانه بِما يستحقُّه من الكَمال والجَلال.

وفي الإشارة بإصبعه النبي ﷺ لهذه الصفة تحقيقًا وتأكيدًا في إثباتها على الحَقيقة، وليس من باب التشبيه والتَّمْثيل.

وانظر رعاكَ الله إلى موقفِ هذا التابعي الجَليل الشديد في حماية جانب التَّوحيد، في إثبات صِفات رَبِّنا المَجيد، الذي هو أوجب الواجبات على العبيد، وأنه ينبغي أن يزجر بالقول، والفعل كل من يَخْتَلِجُ في قلبه شيءٌ من ذلك، في هذا الباب العَظيم.

وقوله رحمه الله: «يقوله ﷺ، ويقوله أنس، وأكتمه!»: فيه بَيان على تعظيم الإسناد، والآثار في أخذ الأخبار عن الصّادق المصدوق والأصحاب، خاصة في هذا الباب، ولِهذا **زَجَرَه بالقول**: «من أنت يا حُميد، وما أنت يا حميد؟»، **وبالفعل**: «فوكزَه»، «فضرب صدرَه ضربةً شديدة»؛ وفيه أكبر

(١) «تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي» لِلْمُباركفوري (١٧/٨).

دلالة على أهميَّة ذِكْر صِفات رَبِّنا العظيم وتذاكرها، والتحدث بها وعدم كتمانها، حتى أمام العامَّة.

إن الإشارة الحِسِّيَّة في تحقيق الصفات العلِيَّة من هديه ﷺ[1]، وقد فهم ذلك الأصحابُ، وكذلك أئمة الهُدى، فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله، أن الإمام أحمد حَدَّثَه فقال: «ثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الله عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله يُمسك السموات على إصبَع...**» الحديث. قال أبي رحمه الله: «جعل يحيى يُشير بأصابعه، وأراني أبي كيفَ يشير بإصبعه، يضع إصبعًا، إصبعًا، حتى أتى على آخرها»[2].

(٨) صفة الكمال (القَدَم والرِّجْل) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال رسول الله ﷺ: «**تحاجَّت الجنةُ والنّار... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رِجْلَه، فتقول: قط، قط، قط، فهنالِك تمتلئُ، ويُزْوَى**[3] **بعضُها إلى بعضٍ، ولا يظلم الله تعالى مِن خلقِه أحدًا، وأما الجنة، فإنَّ الله تعالى يُنْشِئُ لها خلْقًا**».

وفي رواية: «**حتى يضع رب العزة فيها قدمه...**»[4].

❁ **الشَّرْح**: ثبتت هذه الصِّفة في الكتاب كما في آية الكُرْسي ﴿وَسِعَ

---

(١) انظر القاعدة السابعة عشر.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه في «السُّنَّة» (٤٨٩)، وصحَّحَ إسنادَه محقِّقُ الكتاب د. سعيد القَحْطاني (١/٢٦٤).

(٣) أي: يلتئم بعضُها على بعضٍ.

(٤) وفي رواية: «... وأما النّار، فلا تمتلِئُ حتّى يضعَ فيها رَبُّ العالمين قَدَمَه» انظر هذه الروايات في صحيح البخاري (٤٨٤٨، ٤٨٥)، ومسلم (٢٨٤٨).

﴿كُرْسِيُّهُ﴾ فقد ثبت عن ابن عباس ﷺ وأبي موسى الأشعري ﷺ: «الكرسي موضع القدمين»[1].

وهذان الأثران حكمُهما حكمُ المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه لا مَجالَ للرَّأي فيه، وعلى هذا «فإنَّ الله تعالى له قدمين»[2] يليقان بكماله الأعلى.

وفي الأحاديث المتقدمة جاءت بلفظ (قَدمه) و(رِجله) وكلاهما عبارة عن شيء واحد صفة لله تعالى حقيقية على ما يَليق بِجَلاله، وعَظَمَتِه.

وفي قول النبي ﷺ عن النار: (ويُزوى بعضها إلى بعض)، يعني: ينضم بعضها إلى بعض، فتصغر جهنَّم، من عظم قدم الباري ﷻ، بعد أن يضع عليها قدمه، وتصير مملوءة بعد ذلك بأهلِها، فإن وضعَ الله سبحانه فيها قدمه هو الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون بعد ذلك الانزِواء[3].

قوله: «حتى يضع فيها قدمه»، و«في»: هنا تفيد العلو، ولا تفيد الظرفية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فإذا وضع الله تعالى عليها قدمه ضاقت وانضم بعضها إلى بعض، وانسدَّ فراغها»[4].

وختامًا: ينبغي أن يعلم عدة مسائل مهمة في هذه الصفة الجليلة:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٨٢٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «مختصر العلو للذَّهبي» (١٥٢)، وقال الأزهري ﷺ: (هذا الرواية اتفق أهل الرواية على صحتها) «تهذيب اللغة» (٥٤/١٠)، وأثر أبي موسى أخرجه أحمد في «السنة» (٥٨٨)، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (١٢٤).

(٢) «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية» لعبد الرحمن البراك (١٧٣).

(٣) انظر: «شرح الواسطية» لابن السّعدي (٣٨٢/٢) وخليل الهراس (٣٨٣/٢) وابن عثيمين (٣٨٥/٢).

(٤) «المنحة الإلٰهية» (٦٨٢).

«**الأول**: أنهما قدمان (اثنتان).

الثاني: أنهما على الكرسي فوق السموات (السبع)[1].

الثالث: أن إحداهما: يمنى، والثانية يقال عنها: أخرى[2].

الرابع: أن الله تعالى يضع إحداهما في النار بعد أن يلقي فيها كل المعذبين.

الخامس: أنه ينبغي أن لا يتوهم متوهم أن قدم الرب تدخل في جهنم، بل المقصود كما في الروايات العلو كما في قوله: (حتى يضع رب العزة عليها). وقوله: (فيها قدمه)، «(في) و(على) معناهما واحد هنا، أي: بمعنى (على)، أي: عليها»[3].

(٩) صفة الكمال (السَّاق) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢][4].

---

(١) كما في أثر عبد الله بن مسعود الذي له حكم الرفع: (... وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام. وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٥) وحسنه محقق الكتاب أحمد القفيلي (٧٧).

(٢) انظر: «دراسة اعتقاد أهل الحديث من خلال أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي». رسالة ماجستير لأشرف عبد المنعم (٦٢١).

(٣) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٨٥).

(٤) وقال ﷺ: «... وينزل الله ﷻ في ظُلَلٍ من الغَمام من العرش إلى الكرسي...، فيتمثَّل الرَّبُّ تبارك وتعالى، فيأتيهم يقول: ما لكم لا تنطلقون. كما انطلق النّاس؟ قال: فيقولون: إنَّ لنا إلهًا ما رأيْناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيْتُموه؟ فيقولون: إنَّ بيننا وبينه علامة إذا رأيناه عرفْناه، فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقِهِ». أخرجه الطبراني في الكبير (٩/٤١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٩٠) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٢٩).

❁ **الشَّرْح**: جاءت لفظة (السّاق) في القرآن مجردةً عن الإضافة، والتقييد، وإنما فَسَّرَتْها السنة المطهَّرة، والتي هي بيان للقرآن مبينة لِما أجمل فيه: بأنّها ساق لله تعالى صفة ذاتية عليّة، قد جعلها الله سبحانه علامة بينه وبين خلقه يوم القيامة كما بقوله ﷺ: «**يكشف ربّنا عن ساقه**» فالهاء ضمير يعود عليه سبحانه.

وعلى هذا فمعنى (السّاق) في الآية: «أي يكشف ربنا ﷻ عن ساقٍ عظيمة، جلّت عظمتها، وتعالى شأنها أن يكون لها نَظير، أو مثيل، أو شبيه، فتنكير (ساق) في الآية للتّعظيم، والتّفخيم»[1].

(١٠) صفة الكمال (العَيْنَيْن) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: ١) قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: ٣٧][2].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور** (وأشار إلى عينيه)، **وإنَّ المسيحَ الدَّجّال أعور العين اليُمْنَى...**»[3].

٣) وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾: «فوضعَ إبهامَه على أُذُنه، والتي تليها على عينيه»، وقال ﷺ: (رأيت رسولَ الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه)[4].

❁ **الشَّرْح**: يوصف ربنا سبحانه بصفة العين الجليلة كما جاء في

---

(١) «فتح القدير» (٥/٢٧٨) للشوكاني.

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

(٣) وفي رواية: «إنَّ الله ليس بأعور، إلّا أنَّ المسيح الدَّجّال أعور». البخاري (٣٤٣٩، ٧١٣١، ٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٤) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٧٢٨).

الآيات التي تقدمت، وقد ثبت بالسنة الشريفة أنهما عينان اثنتان كما سيأتي، يرى ويبصر بهما سبحانه كل شيء، بل يبصر بعينيه دبيب النملة السوداء، على الصخرة السوداء، في الليلة الظلماء، في كل اللحظات.

ولهذا أشارَ النبي ﷺ في الحديث الثاني، فوضع إبهامَه الشريفة على أُذُنه، والتي تليها في عينيه، تأكيدًا، وتحقيقًا لهذه الصفة الكريمة.

قال ابن القيم رحمه الله: «وضع إبهامه على أذنه وعينه: رفعًا لتوهم متوهم أن السمع والبصر غير العينين المعلومتين»[1].

قال الإمام الحافظ البيهقي رحمه الله: «والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر: تحقيق الوصف لله ﷻ بالسمع والبصر، وأشار إلى محلي السمع والبصر منًّا لإثبات صفة السمع والبصر لله...»[2].

وبهذا الفهم السَّليم، فعل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث «أشارَ بيده إلى عينيه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]»[3].

وقد دَلَّت السنةُ على أصرح وأفصح وأدلّ ما يكون في المعنى على أنَّ لِرَبِّنا العظيم عينان جَليلتان كما في قوله ﷺ: «إنَّ الله ليس بأعور».

قال شيخ الإسلام أبو عمرو الداني رحمه الله بعد أن ذكر الحديث: «فأثبت له العينين»[4].

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٦٧) تحقيق سيد بن إبراهيم عمران.

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/٥٠٧).

(٣) رواه اللالكائي (٣/٤١١)، وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، قال: «بعين الله». أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٤٥).

(٤) «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة» (١٢٣).

قال إمام أهل السُّنَّة أبو سعيد الدارمي ﷺ: «الأعور ضد البصير بالعينين، وقد قال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور، وإن ربكم ليسَ بأعْوَر»، بيانه: أنه ذو عَينين خلاف الأَعْوَر»[1].

إذ إن الأعْوَر في اللغة: هو من فقد إحدى عينيه[2].

ومجيء هذه اللفظة «لأنَّ مخلوقات الله تعالى المعروفة لدى العرب: الإنسان، وكذلك: الحيوان، كلها لها عينان، فوضعت العرب هذا الاسم (الأعور) لِمَنْ فقد إحدى العينين، فهو خاص بذلك، وليس العَوَر هو ذَهاب البصر»[3].

فـ«هما عينان يبصر بهما سبحانه ما تحت الثَّرَى، وما تحت الأرض السابعة السُّفْلَى، وما في السموات العُلا وما بينَهما، لا يغيب عن بَصره شيء من ذلك، ولا يخفى، يرى ما في جوف البحار، ولُجَجِها، كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه»[4]. في العلا.

قال الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري ﷺ في بيان معتقد أهل الحديث: «وأن له عينين، كما في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]»[5].

---

(١) «رد الدارمي على بشر المريسي» (١/٣٠٥).

(٢) قال في القاموس: العَوَرُ: ذهاب حِسّ إحدى العينين. «القاموس المحيط» (٩٢٦)، وانظر: «لسان العرب» (٤/٦١٢).

(٣) «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (١/٤٢٣).

(٤) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/١٩٦).

(٥) «مقالات الإسلاميين» (١/٢٨٥).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك: إلّا ما قاله الله عَزَّ وَجَلَّ، أو جاءت به الرِّواية عن رسول الله ﷺ، فنقول: وجه بلا كَيْف، ويدان، وعينان بلا كيف»[1].

※ **قاعدة مهمة: (يجب إثبات حقيقة الصفة وإثبات لوازمها معًا)**[2].

وتطبيقًا لهذه القاعدة يقال: أنه كما يجب أن تثبت صفة العين على ظاهرها، وهو: أن الله تعالى يرى ويبصر بعينيه الكريمتين، أنه يجب أن يثبت كذلك لوازم هذه الصفة، وهو: العناية، والحفظ، والكلاءة، كما جاء عن السلف في ذلك، واللازم: معنى زائد على حقيقة الصفة، وهذا من كمال أوصاف ونعوت ربنا كلها.

كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

قال إمام وشيخ المفسرين الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين»[3]، فأثبت رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة الصفة بقوله: «فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك»، ثم ذكر لازمها: «ونحن نحوطك ونحفظك...».

---

(١) المصدر السابق (١/٢٩٠).

(٢) سيأتي عند القسم الثاني من الصفات الفعلية، وهي الصفات الفعلية المقيدة شرح مفصل لهذه القاعدة، وهي القاعدة الرابعة.

(٣) انظر: «التفسير» (٧/١٣٩، ١٦٤)، وانظر: «تفسير البغوي» (٧/٣٩٤، ٤٢٩). و«معاني القرآن» للزجاج (٥/٦٨، ٨٨)، وابن كثير (٤/٣١٥، ٣٤٣).

(١١) صفة الكمال (الإِحَاطَة) الجليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ٢٦][١].

❁ **اللغة:** الإحاطة هي: الاستيلاء على الشيء وضم جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلص ولا الفرار منه[٢].

❁ **الشرح:** الله سبحانه هو المحيط: الذي أحاط بكلِّ شيء: علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وقد أحصى بكل شيء عددًا، وقد أحاط بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئتُه وقدرتُه بجميع الموجودات، إيجادًا وتدبيرًا، وعينًا ومعنًا، فدانت له جميع الموجودات[٣].

وهو سبحانه المحيط أي: جامع الكافرين[٤]، ومُحِلٌّ بهم عقوبته[٥].

ومن إحاطته بهم في الدُّنيا: إبطالُ كيدِهم الدنيوي، ونصرته لأوليائه عليهم[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) وقال عز شأنه: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

(٢) ينظر: «اشتقاق أسماء الله» (٤٦). و«المفردات» (٢٦٥).

(٣) «تفسير السَّعدي» (٩٤٧)، و«شرح أسماء الله» لابن برجان الإشبيلي (١٤٢/٢)، و«شأن الدعاء» (١٠٢)، و«الاعتقاد» للبيهقي (٦٨)، و«الأنباء» (٦٦٠/١).

(٤) ثبت عن مجاهد انظر: التفسير الصحيح (١١٥/١).

(٥) ثبت عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، المصدر السابق.

(٦) قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

(١٢) صفة الكمال (رُؤْيَة الله) جلَّ جلاله

إنَّ رؤية الله ﷻ في الدّار الآخرة، هي أشرف المسائل، وأسمى المَراتِب، وأغلى الأماني، وأعلى النَّعيم والهنى في جنات الله تعالى العُلا.

«فهي الغاية التي شمَّر إليها المُشمرون، وتنافس فيها المُتَنافِسون، وتسابق إليها المُتَسابِقون، ولِمِثْلها فليعمل العامِلُون، إذا نالها أهلُ الجنَّة، نسُوا ما هم فيه من النَّعيم، وحرمانها والحجاب عنها لأهل الجحيم، أشد عليهم من عَذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمُرْسَلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القُرون»[1].

۞ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

٢) عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: كنا جُلوسًا عند النبي ﷺ، إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنَّكم سَتَرَوْنَ رَبَّكم عيانًا، كما ترون هذا القمر، لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا**»[2].

---

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٣٦١).

(٢) صحيح البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

وعن صُهيب ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّة الجنةَ، وأهل النّار النّارَ، نادى مُنادٍ: يا أهل الجنّة، إنَّ لكم عند الله موعِدًا، ويريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألَمْ يُثقل موازينَنا، ويُبيّض وجوهَنا، ويُدخلنا الجنةَ، ويزحزحنا عن النار؟! فيُكشف الحِجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبّ إليهم من النَّظَر إلى رَبِّهم ﷻ، ولا أقرّ لأعينهم، وهي الزيادة» صحيح ابن ماجه (١٨٧). مسلم (١٨١).

۞ **الشَّرْح**: إنَّ رؤية الله تعالى في يوم القيامة قد أجمع عليها أهلُ السُّنّة والجماعة، ورؤيته سبحانه في الآخرة تكون في مكانَيْن:

الأول: «في عَرْصَات يوم القِيامة.

الثاني: تكون بعد دخول الجَنَّة»[1].

وكلتا الرؤيتين بغير إحاطة ولا كيفية[2].

فالأولى: رؤية هيبة، وإجلال، واختبار[3].

والثانية: رؤية حبرة وتنعيم، ليس لسرورها ونعيمها مثيل، رزقَنا الله تعالى وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم ـ آمين ـ.

وقد فسر سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ الذي ليس بعد تفسيره تفسير، قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بأن الحُسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الأعلى سبحانه، ومن الأدلة السنية في رؤية رَبِّنا الواردة في الدارة الأخروية قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فجمعَ سبحانه لأوليائه من النَّعيم كما في الآية التي تقدَّمَت: جمال الظاهر والباطن، فزيَّن وجوههم بالنَّضْرَة، وبواطنَهم بالنَّظَر إليه، فلا أجمل لِبَواطنهم، ولا أنعم، ولا أحلى من النظر إليه[4].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (١/٣٨٤).

(٢) ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٠٣).

(٣) سيأتي مزيد من البيان في صفة (التجلي).

(٤) «التبيان في أقسام القرآن» (١٩٨).

مسألة جليلة

إن رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة تتفاوت على قدر أعمالهم في الدنيا، قال شيخ الإسلام ﷺ: «رؤية الله سبحانه هي أعلى مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، وإن كانوا في الرؤية على درجات على قدر قربهم من الله، ومعرفتهم به»(١).

ويدلُّ على ذلك: أنه جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «سارعوا إلى الجُمع، فإن الله ينزل لأهل الجنة كل جمعة في كثيب من كافور أبيض، فيكونون في القرب منه على قدر تسارعهم إلى الجمع في الدنيا»(٢).

وقد أخبر ﷺ كما تقدم في الأحاديث أن المؤمنين سيَرَوْن الله تعالى حقيقة رؤية عين «**إنكم سترون ربَّكم عِيَانًا**»، قوله: (عِيَانًا): بكسر العين؛ أي: رؤية حقيقية لا خَفاء فيها، وقوله: «**كما ترون القمر**»: أشار إليه زيادة في البَيان، والتأكيد، والتحقيق، على أن المؤمنين يرون ربَّهم تعالى رؤية حقيقية بالأبصار، وقوله: «**لا تُضامُّون في رؤيته**»: تضامُّون: بفتح التاء، وضمها، والمعنى: لا يضر بعضهم بعضًا في رؤية الله تعالى، فيراه بعضُهم، ويحجب عن رؤيته آخرون منهم، بل يراه كل المؤمنين رؤية واضحة، كوضح الشمس والقمر.

وقوله في الحديث الآخر: «**لا تُضارّون**»، أي: لا تضرون أحدًا، ولا يضركم بمنازعة، ولا مُضايقة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٤٨٥).

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٥٩٣)، والذهبي في «العلو» (١٤٣)، وقال موقوف حسن، وقال في «مختصر العلو»: إسناده جيد (٥١)، وهذا الموقوف له حكم الرفع لأنه لا يقال بالاجتهاد والرأي لأنه من الغيب.

وقوله: «كما ترون هذا القمر»: الإشارة إلى القمر تلك الليلة التي هي ليلة البدر، والقمر فيها أتمّ وأوضح ما يكون، فشبَّه ﷺ رؤية المؤمنين رَبّهم برؤيتهم القمر في تلك الليلة في تمامه واستوائه ووضوحه...، وهذا يدلُّ على أنَّ رؤية الله ﷻ رؤية عيانية، جليَّة، لا لبس فيها، ولا خَفاء[1].

(١٣) صفة الكمال (الصُّورَة) الجليلة

۞ **الأدلة: ١)** حديثا أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ، وفيهما: «...**فيأتيهم الجَبّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مَرَّة، فيقول: أنا رَبُّكم! فيقولون: أنت رَبُّنا...**».

وفي رواية: «...**أتاهم ربُّ العالمين ﷻ في أدنى صورة من التي رأوْه فيها...**» إلى أن قال ﷺ: «**ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوَّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة...**».

وفي لفظ: «**فيأتيهم الله تعالى** (أي: في المرة الثانية) **في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...**»[2].

٢) في حديث اختصام الملأ الأعلى في رؤية النبي ﷺ لله تعالى في المنام: «**إنِّي نعست فاستثقلت نومًا فرأيتُ رَبِّي في أحسن صورة**»[3].

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٣٦٧ - ٣٧٣).

(٢) البخاري (٦٥٧٣، ٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣).

(٣) وفي لفظ: «أتاني الليلة رَبِّي تبارك وتعالى في أحسن صورة». صحيح الترمذي (٣٢٣٣، ٣٢٣٤، ٣٢٣٥)، وفي كتاب «السنة» لابن أبي العاصم (٣٨٨).

❁ **اللغة**: تطلق الصورة على: شكل الشيء، وحقيقته، وهيئته، وعلى صِفته[1].

❁ **الشرح**: يوصف رَبّنا العظيم بالصورة، لأنه لا بُدَّ لكل قائم بنفسه من صورة يكون عليها، ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يكون عليها[2].

فيجب على كل مسلمٍ الإيمان بها على (ظاهرها)، ولا يقال فيها: كيف؟، ولِمَ؟ بل نستقبل بالتَّسْليم، والتصديق، وترك النَّظَر[3]، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه، لا كالصور، كما أن له ذاتًا لا كالذَّوات[4].

قال الإمام الجليل محمد ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإِلْفُ لتلك لِمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية، ولا حَدّ»[5].

دلت الأحاديث المتقدمة على جملة من الفوائد:

«**أولها**: أن الصورة التي عرفه الناس فيها كانت لرؤية منهم متقدمة حين يصعق الناس في أول مواقف يوم القيامة يوم تشرق الأرض بنور ربها، وهي غير الصورة التي أنكروه فيها قبل المرور على الصراط.

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٣٩١)، و«القاموس المحيط» (٧٦١).

(٢) من كلام شيخ الإسلام في «نقض التأسيس» مخطوط، نقلاً من «شرح كتاب التوحيد» (٢/٤١) للغنيمان.

(٣) «الشريعة» للآجري (٣١٥).

(٤) انظر: «إبطال التأويلات» (١/٨١).

(٥) «تأويل مختلف الحديث» (٢٦١).

الثاني: أن لله تعالى صورًا يأتي فيها، وبعضها أدنى من بعض.

الثالث: أن الله سبحانه يتحول من صورة إلى صورة، إذا شاء وكيف شاء سبحانه.

وهذا كله دالٌّ على كماله المطلق، وأنه ذو القدرة التامة، والحكمة البالغة، فلا يُسأل عما يفعل[1].

الرابع: وأما صورة الله التي هي صورته (على الوجه الأكمل) فلا يراه إلا أهل الجنة»[2].

(١٤) صفة الكمال (الكبرياء) الجَليلة

۞ **الأدلة: ١)** قال ربُّ العالمين: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

٢) قال ﷺ فيما يحكيه عن ربه تعالى: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»[3].

٣) وفي حديث الشفاعة: «... **فيقول (أي: الله) وعزتي، وجلالي، وكبريائي، وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**»[4][5].

---

(١) فهذا جبريل عليه السلام وهو من خلق الله أقدره الله على أن يتحول من صورة إلى صورة، فقد كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وقد رآه ﷺ في صورته الحقيقية وقد سدَّ الأفق وله جناحان، وأتى مريم بشرًا سويًا، فالله سبحانه أعظم وأكمل وأقدر، فهو (الفعال لما يريد).

(٢) «هداية الحيران بما ثبت في صورة الرحمن» منصور السماري (١٢).

(٣) «صحيح أبي داود» (٤٠٩٠)، وفي رواية: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته» مسلم (٢٦٢٠).

(٤) صحيح البخاري (٧٥١٠)، وصحيح مسلم (١٩٣).

(٥) وكما كان ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة». «صحيح النسائي» (١١٣١).

❁ **اللغة: الكبرياء**: يطلق على عدة معانٍ جلال علا:

الأول: التجبر والعظمة والعلو. **الثاني**: الامتناع والترفع عن الانقياد. **الثالث**: الملك والسلطان، قال تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨]، يعني: الملك. **الرابع**: كمال الذات، وكمال الوجود[1].

❁ **الشرح**: الكبرياء من أوصاف الله العظيمة التي اختص بها وحده دون أحدٍ من البرية، فله الكبرياء العلا: في ذاته المقدسة العلية، وصفاته العظيمة، ونعوته الجليلة، وأفعاله الحميدة.

فهو سبحانه البليغ الكبرياء، والعظمة، والجلالة بغير نهاية، فلا كبرياء في الأرض ولا في السماء سواه، له الملك والسلطان الذي حوى كل الأكوان، الذي ليس له زوال ولا انتقال، فهو المنيع عن كل العيوب و النقائص، الذي تنزه عن كل المساوئ، المترفع على كل شيء دونه، متمكن منه من جميع وجوهه، فأينما يَفِرُّ إنما يفرُّ في ملك الله، فذلت لكبريائه كل الكائنات، وتصاغر دون جلاله كل الجبابرة والعتاة، وتعالى ذكره وعظمته في قلوب الأولياء، له دوام وكمال الوجود في الأزل والآباد بغير انتهاء، فظهرت آثار كبريائه في أقطار أرضه وسمائه فمن نازعه فيهما عذبه في ناره بغير نهاية، فكبرياؤه سبحانه وصفٌ لا يقادر قدره، ولا يبلغ أحد كنهه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فتاهت الألباب في جلاله، وكبر عن التصور صفاته، وعجزت العقول عن وصف كماله، ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧][2].

---

(١) ينظر: «المفردات» (٦٩٦). و«النهاية» (٧٨٨). و«مقاييس اللغة» (٥/١٥٣). و«القاموس المحيط» (١١١٠)، و«تفسير السمعاني» (٥/٤١٠).

(٢) انظر كتابنا: «التعاليق العلا في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلا» (٣٠١ ـ ٣٠٤، ٤١٩ ـ ٤٢٢).

وينبغي أن يُعلم أن (الرداء) و(الإزار) اللَذَيْن جاءا بالنصوص ليسا من صفاته تعالى، وإنما المراد بذلك: أن الله متصف بهما، أي: العظمة والكبرياء لا ينازعه أحدٌ منهما، كما أن الإزار والرداء يختصان بلابسهما، لا ينازعه فيهما أحد، وكذلك أيضًا: أن الكبرياء حجاب يمنع رؤية الله تعالى، كما أن الرداء يمنع من رؤية ما يستر به[1].

ثم بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الفهم الصحيح الواجب فهمه في هذا الباب الجَليل فقال: «وليس ظاهر هذا الحديث أن لله تعالى إزارًا ورِداءً من جنس الأزر والأردية التي يَلْبَسُها الناس مِمّا يُصنع من الجُلود والكِتّان والقطن وغيره، بل هذا الحديث نص في نفي هذا المعنى الفاسد، فإنه لو قيل عن بعض العِباد: إن العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، لكان إخباره بذلك عن العظمة والكِبرياء الذين ليسا من جنس ما يُلبس من الثِّياب، فإذا كان المعنى الفاسد لا يظهر من وصف المخلوق، لأن تركيبه في اللفظ يمنع ذلك، وبين المعنى المُراد، فكيف يدعى أن هذا المعنى ظاهر اللَّفْظ في حَقِّ الله تعالى، فإنَّ كل من يفهم الخِطاب، ويعرف اللغة، يعلم أنَّ الرسول ﷺ لم يخبر عن رَبِّه بلبس الأكسية والثياب، ولا أحد مِمّن يفهم الخِطاب يدعي في قوله ﷺ في خالد بن الوليد: «إنه سيف الله» أن خالدًا حديد، ولا في قوله ﷺ: «إنّا وجدْناه بحرًا»: أن ظاهره أن الفرس ماء كثير، ونحو ذلك»[2].

(١) ينظر: «معالم السنن» للخطابي (٤/١٩٦)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٦/٢٧٠).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٦/٢٧١).

(١٥) صفة الكمال (الفَوْقِيَّة) الجليلة

❁ الأدلة: ١) قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

٢) وقال عز شأنه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

٣) عن ابن مسعود ﷺ قال: (إن العبد ليهمُّ بالأمر من التجارة أو الإمارة، حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات...)[1].

❁ اللغة: الفوقية: من ظُروف الأمكنة المُقابل للتحت، وتستعمل في المَكان، والزمان، والمنزلة، والشرف، وغير ذلك، منها:

الأول: باعتبار العُلُوّ في الذات: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ولهذا قابله سبحانه بقوله: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

والثاني: زيادة الفضيلة، والرُّتبة، والمنزلة، وغير ذلك.

والثالث: باعتبار القهر والغلبة[2].

❁ الشرح: يوصف ربّنا ﷻ بالفوقية العليَّة المطلقة من كل وجهٍ واعتبار، فله سبحانه فوقية:

(١) العلو والارتفاع: فربنا تعالى في أرفع الأماكن وأعلى عليين، قد استوى على عرشه بذاته، فوق سمواته، وهو مع ذلك: علمه محيطٌ بجميع

---

(١) أخرجه اللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» رقم (١٠٦٠)، وقال الذهبي: إسناده قوي، «العلو للعلي الغفار» رقم (٩٠) و(٦١)، ورواه الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٨٠)، وحسنه بدر البدر (ص٤٦).

(٢) انظر: «عمدة الحفاظ» (٣/٢٥٧).

خلقه، يعلم ما نأى كما يعلم ما دنا، ويعلم الخطرة والهمة، وهو بالنظر الأعلى[1].

(٢) وفوقية القدر، والصِّفات: فهو موصوف بكل صِفات الكَمال، لا تفوته صفةٌ واحدة منها، ولا يطيق أحدٌ من العِباد واحدة منها.

(٣) وله فوقية الغلبة والقهر: فهو الغالب الذي لا يُغْلَب، والقاهر الذي لا يُقهر، الذي دانَتْ له كلُّ الكائنات بأسرِها، فلا يتحرك منهم متحرك، ولا سكن ساكن إلّا بإذنه[2].

(١) «الإبانة الكبرى» (٢/٤٤٢).

(٢) ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١/٦٩٥)، و«الصواعق المرسلة» (١/٢٢٠)، و«فتح الرحيم الملك» (٢٩).

القسم الثاني
الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية

هذا القسم الجليل فيه لون ونوعٌ آخر من أوجه وطرائق الكمال في أوصاف ربنا وبلوغ نهايتها وغايتها على العلا.

القاعدة: (هي الصفات التي تقوم وتتعلق بذاته العلا باعتبارين: صفات ملازمة، وصفات غير ملازمة).

مفهوم هذه القاعدة: أن هذا القسم من الصفات يجتمع في الصفة الواحدة نوعين من التعلق: **الأول**: صفات ملازمة لذاته لا تنفكُّ عنه بحال موصوف بهذا التعلق على الدوام.

والثاني: صفات غير ملازمة لذاته، بمعنى: أنها تقوم بذاته بمشيئته وإرادته، أي: يجتمع في الصفة الواحدة تعلق ذاتي من جهة، وتعلق فعلي من جهة أخرى، تتحدد بحسب الأسباب المتعلقة بها.

فمثلاً: صفتا السمع والنظر «فقد ثبت من الآيات القرآنية والسنة النبوية أن صفة السمع صفة ذاتية، وصفة فعلية من ناحية عمومها وخصوصها، من حيث العموم: ذاتية، فالله تعالى يسمع جميع أصوات المخلوقات سمعًا عامًّا، ومن حيث الخصوص صفة فعلية: أنه تعالى يسمع خواصَّ عباده سمعًا خاصًّا[1]، وهذا السمع يتعلق بمشيئته[2].

(١) أي: حال قيامهم بعبوديته: في الصلاة، وفي الدعاء، وتلاوة القرآن، كما جاء في السنة والقرآن.
(٢) انظر: «المنحة الربانية» (٦٢٥)، و«شرح أسماء الله» أ.د. الرضواني (٣١٩).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «... والسمع الذي بمعنى سماع الأصوات من صفاته الذاتية، فإنه ملازم لذاته لم يزل ولا يزال سميعًا...، والسمع بمعنى: الاستجابة من صفاته الفعلية، لأن الاستجابة تتعلق بمشيئته: إن شاء استجاب لمن حمده، وإن شاء لم يستجب»[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والمقصود هنا أنه على هذا الأصل إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده، وكان ذلك بمشيئته وقدرته، إذ كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته، وبذلك صاروا يرون، ويسمع كلامهم، وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات، كقوله: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم...**»[2]، وكذلك في الاستماع: «**ما أَذِنَ اللهُ لشيء كَأَذَنِهِ لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهر به**»[3]، فهذا تخصيص بالأذن وهو الاستماع لبعض الأصوات دون بعض...»[4].

قال العلامة المحقق عبد الله الغنيمان حفظه الله: «والمقصود بالنظر المنفي نظر خاص يتضمن الإحسان والرحمة»[5].

ومفهوم المخالفة: «أن الله ينظر إلى بعض خلقه دون بعض نظرة تعطف ورحمة وقربة فهو من باب الخصوص وهو وصف فعل»[6].

وأما كوصف الذات: فمعلوم أن الله تعالى لا يغيب عن بصره أي شيء.

---

(١) «تفسير سورة البقرة» (٢/٦٠).

(٢) مسلم (١٠٧).

(٣) سيأتي عند قسم الصفات الفعلية المطلقة صفة الأذن رقم (٢٧) التخريج ومزيد من الشرح والبيان في كونها فعلية

(٤) وله كلام نفيس جدا يراجع: «مجموع الفتاوى» (١٣/١٣٣)، وانظر: (٦/٢٢٧)، و«الرد على المنطقيين» (٤٦٥)

(٥) «شرح كتاب التوحيد» (٢/٤٩٢).

(٦) انظر: «أسماء الله» ا.د. الرضواني (٣٢٧).

(١) صفة الكمال (الكَلَام) الجَليلة

۞ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

٢) قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه»[١].

۞ اللغة: الكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير ويدلُّ على نطقٍ مفهم[٢]. ويشمل اللفظ والمعنى، ولا يكون إلا حرفًا وصوتًا[٣].

۞ الشرح: صفة الكلام من أعظم صفات ربنا العلا، وهي من مقتضيات ربوبيته، وألوهيَّته الحقة سبحانه: "فكلماته هي التي أوجد بها خلقه، وأمره، وذلك حقيقة ملكه، وربوبيته، وألوهيَّته، وهو لا يكون إلا ربًّا ملكًا إلهاً، لا إله إلا هو"[٤]، فبها أنزلت الكتب، وشرعت الشرائع، على جميع الخلائق "وكلامه سبحانه بلا واسطة أعظم ما يعطاه العبد يوم القيامة من النعيم، بعد النظر إلى وجهه الكريم، فسماع كلامه تعالى هو أشرف ما في الجنة، وحقيقة لذتها، ورأس نعيمها"[٥].

والقرآن كلام الله، وكلّم الله، وكلمات الله، وكلمة الله، وهو كيفما تصرف وأينما توجه، متلوًا إذا تلاه التالون، ومحفوظًا إذا حفظه الحافظون

---

(١) البخاري (٦٥٣٩) (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) «مقاييس اللغة» (٧٩٠)، و«القاموس المحيط» (١١٤٤)، و«مختار الصحاح» (٣١٢).

(٣) «لسان العرب» (٥٢٢/١٢)، و«المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع» خالد الجعيد (٤٥٣).

(٤) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم (٣٦٦).

(٥) «جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات» د. وليد العلي (١٦٩٧/٣).

في الصدور، أو مكتوبًا في السطور: كلام الله غير مخلوق[1]، فالقرآن كلام الله، تكلم به سبحانه بحروفه، ومعانيه بصوت نفسه، فأسمعه جبريل، وبذلك انعقد إجماع علماء الأمة في كل العصور[2].

وصفة الكلام الجليلة من الصفات الذاتية، ومن الصفات الفعلية[3]، من حيث ١) صفة ذات: باعتبار الأصل، أي: أن الله تعالى موصوف بها في الأزل، وفي الأبد، لأنه لم يأتِ عليه وقتٌ من الأوقات وهو لا يتكلم، فهي ملازمة لذاته العلية في كل حالٍ، وآنٍ.

٢) وصفة فعلية: أي: أنه يتجدد كلامه على حسب مشيئته وإرادته، «وقد جمع الإمام أحمد ﷺ بين كون الكلام صفة ذاتية وفعلية لله تعالى في آنٍ واحد بقوله: «لم يزل الله متكلمًا عالمًا غفورًا»[4]، فماثل صفة الكلام بصفة العلم وصفة المغفرة معًا، وذلك من ناحية التعلق بالذات، فصفة العلم ذاتية، أما صفة المغفرة فهي صفة فعلية متجددة، فالأولى متعلقة بذات الله تعالى، والثانية متعلقة بمشيئة الله، وهكذا صفة الكلام متعلقة بذات الله، ومتعلقة بمشيئته في آن واحد»[5].

فهو سبحانه يتكلم بما شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، على حسب ما تقتضيه حكمته[6]، ومعنى (بما شاء): يعني باعتبار الكلام، إن شاء تكلَّم بأمر

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» (١٠/١٤٧)، و«كتاب الاعتقاد» لابن أبي يعلى (٤٩)، و«توضيح الكافية» (٤٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/٥٨٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/٢١٩).

(٤) «كتاب العرش» للذهبي (١/٢٥٩).

(٥) «المنحة الإلهية» (٥٣٤).

(٦) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٧٨، ٥٠٢)، و«شرح الواسطية» لابن باز (٢/٣٢٧).

كوني، مثل قوله تعالى للسموات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، أو تكلم بأمر شرعي، مثل كلامه لرسوله ﷺ في فرض خمسين صلاة، ومعنى (متى شاء): أي باعتبار الزمن، أي يتكلم سبحانه في أيِّ وقتٍ شاء، سواء كان في الأزل، وفي المستقبل، أو في الحاضر، في الليل وفي النهار.

ويتكلم سبحانه بما شاء بالكيفية التي يريدها من اللغات، إن شاء تكلم بالعربية، وإن شاء بالعبرانية، وإن شاء بالسريانية أو غيرها، فهو تعالى يعلم الألسن كلها، ويتكلم بما شاء منها.

(كما يشاء): أي على الكيفية التي يشاؤها سبحانه: إما بصوت عالٍ، أو بصوت منخفض[1].

كلام الله كله جمال وجلال وبلاغة وإحكام

من المعلوم أنه «لا يكون الكلام مقبولاً إلا إذا كان جامعًا لعدة خصال: الصدق المنافي للكذب، العلم المنافي للجهل، الحسن والجمال المنافي للنقص والعيب، وذلك مع صدق المقاصد، والغايات المنافية لما يضادها...، وهذا كله في كلام الله تعالى»[2].

فكلام ربنا تعالى هو أحسن الكلام على الإطلاق، لا يشبه كلام المخلوقين من كل وجه واعتبار، فهو أصدق الكلام، وأجمله، وألطفه، فكلماته كلها عدل، وصدق، وعدلٌ في الأحكام، وفي الأوامر والنواهي،

(١) انظر: «نقض عثمان الدارمي على بشر المريسي» (٣٢٨)، و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٣٦)، و«شرح الواسطية» (٢/٢٧٥) لابن عثيمين. وانظر: «الحق الواضح» (٤٣)، و«توضيح الكافية» (٣٦).

(٢) «المنحة الإلهية» (٥٤٤).

والمواعظ، وأصدق في الأخبار في الماضي، والحاضر، والاستقبال، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥][(١)].

فصفة الكلام متعلقاتها عامة جليلة، يتكلم بها سبحانه بما يتعلق بذاته، وصفاته، وأفعاله، وبما يتعلق بجميع مخلوقاته، بالأحكام القدرية الكونية، والأحكام الشرعية، والأحكام الجزائية.

وكلماته تعالى لا نهاية لقدره، ولا لصفته، ولا لعدده، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال عز شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، فأخبر تعالى أن كل شيء ينفد إلا كلمات الرب، فلا تفنى ولا تنفد ولا تنقطع، وليس لها بداية، كما أن ليس لها نهاية؛ لأن صفته العظيمة.

وسماع كلامه تعالى نوعان:

النوع الأول: بلا واسطة، كما سمعه موسى، وجبريل وغيره، ويكلم عباده يوم القيامة في الموقف، وفي الجنة، **النوع الثاني**: بواسطة، فيسمع كلامه من المبلغ عنه، كما سمع الأنبياء الوحي من جبرائيل تبليغًا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي[(٢)].

---

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٥٠٤)، و«الحق الواضح» (٤٢)، و«توضيح الكافية» (٣٠).

(٢) «شفاء العليل» (١/٣٣١)، و«الصواعق المرسلة» (٢/٤٣١)، و«طريق الهجرتين» (٢٣٥). و«الحق المبين» (٤٢).

وقد نوَّع الله هذه الصفة في الإطلاق تنويعًا بديعًا:

الأول: الكلام والتكليم، وتقدَّم ذكر الأدلة. **الثاني**: القول، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]، **الثالث**: النداء، **الرابع**: النجاء[1]، قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

الخامس: الصوت، قال ﷺ: «**يقول الله ﷻ: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج ذريتك بعثًا إلى النار**»[2].

والسادس: الحرف، كما في حديث جبريل عليه السلام: «**أبشر بنورين أوتيتهن لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**»[3].

والسابع: السلام، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وكذلك: «عهده، وإذنه، ووصيته، وحكمه، وإنباؤه، وإخباره، وشهادته»[4].

(٢) صفة الكمال (ذي الطول) الجَليلة

الأدِلَّة: قال ﷻ: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ١٥].

قال ﷺ: «**إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيئكم**

---

(١) الفرق بين النداء والمناجات: أن المناداة: تكون للبعيد، والمناجاة: تكون للقريب.

(٢) البخاري (٧٤٨٣). وقال ﷺ: «... ثم يناديهم (أي: الله) بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرُب» صحيح الأدب المفرد (٧٤٦). قال البخاري رحمه الله: «فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله يُسمع من بَعُد، كما يُسمع من قرُب» خلق أفعال العباد (٤٧٣).

(٣) مسلم (٨٠٦).

(٤) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٧١).

لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل...»[1].

❁ **اللغة: طول**: يدلُّ على فضل وامتداد في الشيء، ويطلق على القدرة، يقال: «إن فلانًا لذو طول»، أي: ذو قدرة، والطول: الفضل، يقال: «طال فلان علينا طولاً»، إذا أفضل عليهم[2].

وثبت عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «ذي الطول»، يقول: ذي السعة والغنى[3].

وبالجملة: إن الطول هو: القدرة، والسعة، والغنى، والتفضل، والإكرام، والإنعام، وهذه الأقوال كلها صحيحة في حق الله تعالى[4].

ومعنى دي: أي: صاحب.

❁ **الشرح**: لله تعالى الطول بكل وجهٍ وعلى كل أحد، فهو المنعم القادر الغني المنان المؤتي كل خير، المتفضل بكل نعمة، الذي طال إنعامه على الخلق، ودام دوام الحق[5].

وطوله وفضله تعالى قد أوسع جميع البرية في الدنيا والدار الأخروية، وطوله بالنعم الدنيوية على أهل الدنيا ظاهر، قد عمَّ به المؤمن والكافر.

وما يتطول به سبحانه في الأخرى على أنبيائه وأوليائه الذي هو الطول

---

(١) «صحيح ابن ماجه» (٣٠٢٤).

(٢) ينظر: «كتاب العين» (٦٧/٣)، و«مقاييس اللغة» (٥٤١)، و«اشتقاق أسماء الله» (١٩٣).

(٣) «التفسير الصحيح» (٢٥٢/٤).

(٤) انظر: «الأمد الأقصى» (٤٤٤/١).

(٥) «الأمد الأقصى» (٤٤٥/١).

الأعلى، أعظم من أن يُحدّ أو يُحصى، وكل مؤمن بالله تعالى فلا يعدم فضله وطوله في الأخرى، فينال منه العصاة، ما لم يخطر على حصاة (أي: العقل)[1].

«وذي الطول: إذا قلنا: إن معناه: ذي الغنى الواسع فهو من صفات الذات»[2] لأن هذه المعاني ملازمة لذاته لا تنفك عنه بأي حال «وإذا قلنا: إنها بمعنى الإنعام الواسع فهي من صفات الأفعال»[3] وهذا يقوم ويتعلق بمشيئته وإرادته وقدرته، والله تعالى أعلم.

(٣) صفة الكمال (رَفِيعُ الدَّرَجَات) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷻ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

❁ **اللغة:** رفيع: الرفعة تُقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا عَلَّيتها عن مَقَرِّها[4] وتارة في الذِّكْر[5]، وتارة في المنزلة إذا شرفتها[6].

الدرجات: جمع درجة، وتطلق على الرفعة، والمنزلة الحسية، وهي عبارة عن: مكان فوق مكان، وكذلك على الرفعة المعنوية، وهي المكانة، أي: الثناء والمدح[7].

---

(١) «الأنباء في شرح حقائق الصفات» (١/٥٢٠ ـ ٥٢٢).

(٢) «شرح سورة غافر» لابن عثيمين (٩/١٤٤).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

(٦) كما في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦]. «المفردات» (٣٦٠).

(٧) «عمدة الحفاظ» (٢/٨)، «والأمد الأقصى» (١/٤٣٥).

وجمع الدرجات: إيذان بكثرة العظمة في الصفات، ومجدها التي لا تحصر[1].

❁ **الشَّرْح**: وصف ربنا نفسه وأثنى عليها بهذه الصفة الكريمة، وهي من صفات الجلال والجمال على الإطلاق، «فهو سبحانه الرفيع المرتفع (في ذاته)، وهو الرافع»[2] لغيره، وهذان الوصفان يندرج تحتهما من المعاني الكمال العلا الكثيرة، والقاعدة في تفسير كتاب الله تعالى أنه «إذا احتملَ اللفظ عِدَّةَ معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجَميع، حمل على الجَميع»[3].

وربنا سبحانه ذو الدرجات الرفيعة العالية «لرفعته وارتفاعه، وعلوِّ شأنه وكماله»[4] من جميع الوجوه والاعتبارات على الإطلاق، فهو:

(١) رفيع الصفات، والقدر، والشأن، فلا أرفع منه قَدْرًا، ولا أكملَ منه جلالاً، ولا أعلى منه شرفًا، فهو تعالى: أ) لا يُساوى في المرتبة، ب) ولا يُحط عن منزلة، ج) ولا يؤتى المراتب الكمال سواه.

(٢) ومن رفعة درجاته سبحانه: أنه المستحق لِدَرجات المَدْح، والثَّناء، وهي أصنافها، وأبوابها[5]، وأفرادها، وأجناسها.

(٣) وهو الذي ارتفعت درجاته ارتفاعًا باين به جميع مخلوقاته،

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير» (١١/١٠٦)، و«تفسير أبي مظفر السمعاني (٥/١٠).

(٢) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» للإمام عادل الدمشقي الحنبلي (١٧/٣٣).

(٣) انظر هذه القاعدة في: «قواعد التفسير» خالد عثمان السبت (٢/٨٠٧)، و«تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (٢/٣٢٠، ٥١٨).

(٤) «توضيح الكافية» (٦٥).

(٥) «الأنباء» (١/٥٧٢)، و«الأسنى» (٢٠٦)، و«الأمد الأقصى» (١/٤٤١) بتصرف.

فاستوى على العرش، واختصَّ به، فهو فوق كل شيء، وليس فوقه شيء[1].

(٤) ومن كَمال رفعة درجاته: نزاهتُه سبحانه عن النَّقائص، والمعائب، والآفات، فهو رفيع عنها على الإطلاق[2].

(٥) وهو الذي تعالت ذاته أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر، وهو الإخلاص[3]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ﴾ [غافر: ١٤ ـ ١٥].

(٦) وهو الذي يرفع من يَشاء من الخليقة في الدنيا والدار الأخروية:

الأول: في الدنيا:

(أ) **في المحسوسات:** بالرزق، والخلق: فمن الأول: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٣]، وفي الخلق: قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ورفع سبحانه العرش فوق كلِّ المخلوقات.

(ب) **في المعنويات:** «إنه تعالى يرفع درجات الأنبياء والعلماء، والأولياء في المَعارف، والعلوم، واليَقينيات، والأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]،

---

(١) ولهذا قرنه بالعرش: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾. انظر: «تفسير السعدي» (٧٣٤)، و«تفسير السمعاني» (٥/١٠).

(٢) مما تقدم من المعاني يدل على اتصافه سبحانه بوصف الذات والتي لا تنفكُّ عنه بحال.

(٣) «تيسير الكريم المنان» (٧٣٤).

وقال عز شأنه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]»[1][2].

❁ الثاني: في الآخرة:

«فهو تعالى رافع درجات أوليائه في الجنة»[3] فيقربهم إليه، ويجعلهم فوق خلقه[4]، ورفعه لهم فيها شامل للرفعة الكاملة: الحسيّة، والمعنوية.

(٤) صفة الكمال (البَرَكَةُ وَالتَّبَارُك) الجَليلة

❁ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

٢) وقال ﷺ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

٣) قال رسول الله ﷺ: «بَينَما أيوب عليه السلام يغتسلُ عريانًا... فناداه ربُّه ﷻ: يا أيوب! ألم أغنيك عَمّا ترى؟ قال: بلى وعِزَّتك، ولكن لا غِنَى بي عن بَرَكَتِكَ»[5].

❁ اللغة: البركة: تطلق على ثلاث معان:

---

(١) تفسير الرازي (٢٨/٤٤)، «اللباب في علوم الكتاب» (١٧/٢٣)، و«الأنباء» (١/٥٧٤).

(٢) ما تقدم ذكره من المعاني يتعلق بصفة الفعل، لأنه يتعلق بمشيئته، وإرادته سبحانه.

(٣) «الأسنى» (٢٠٦)، وتفسير الرازي (٢٨/٤٤)، و«الأمد الأقصى» (١/٤٣٧).

(٤) «تفسير السعدي» (٧٣٤).

(٥) البخاري (٢٧٩). ومن الأدلة السنية: تحية الإسلام التي جاءت عن خير الأنام ﷺ: «السلامُ عليكم ورحمة الله وبَرَكاته». والصلاة الإبراهيمية في التشهد. ودعاء القنوت: «... وبارك لي فيما أَعْطَيْتَ». «صحيح أبي داود» (١٤٢٥).

الأول: الثبوت، واللزوم. **الثاني**: النَّماء، والزِّيادة. **الثالث**: التوفيق لِلخير(١).

❁ **الشَّرْح**: الله ربنا ﷻ هو المبارك على الإطلاق: الذي تبارك في ذاتِه، وتباركت أوصافُه، وتباركت أسماؤه، وتباركت أفعالُه، فهو سبحانه أحق بذلك وأولى من كلِّ أحد، فهو الذي عمت، وكثرت بركاته في الأرض والسموات العُلا، في كل ساعة، ولحظة، وومضة، وحركة، فإنَّ الخيرَ كله بيده، والخير كله منه، فكل كَمال وخير في الموجودات فهو مُسْتَفاد من خير الله تعالى، وكماله في نفسه، وهي تستمد منه، وهو لا يستمدُّ منها، وهي فقيرة إليه، هو غَنِيٌّ عنها، كل منها يسأله كماله...، فالله تعالى أحقُّ أن يكون متباركًا، فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودَوامه، واجتماع صفات الكَمال فيه، وإن كلَّ نفعٍ في العالَم فمِن نفعِه، وإحسانِه(٢)(٣).

(٥) صفة الكمال (النُّور، ونُورُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: ١) قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

٢) كان رسول الله ﷺ يدعو من الليل: «**اللهم لكَ الحمدُ، أنت نور السموات والأرض...**»(٤).

---

(١) ينظر: «عمدة الحفاظ» (١/١٨٣). و«لسان العرب» (١/٢٦٥). و«تهذيب اللغة» (١٠/٢٣٢).

(٢) انظر: «جلاء الأفهام» (٢٣٣). و«شفاء العليل» (١٨٣). و«الجواب الكافي» (٥٧).

(٣) اتصافه سبحانه بالبركة في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، والنزاهة عن ما يناقضها ويضادها فهو من أوصاف الذات، ودوام جوده، وكثرة خيره، وتبريكه على من يشاء من خلقه فهو من صفات الفعل.

(٤) البخاري (١١٢٠) (٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩). وقال ﷺ: «**إنَّ الله تباركَ وتَعالى خلق خلقَه في ظلمة**،=

❁ **الشَّرْح**: وصف رَبُّنا ﷻ نفسَه بالنُّور العَظيم، الذي ليس له فيه شبيه، ولا مَثيل، ولا عَديل، فإنه سبحانه ذو الجَلال والإكرام، وذو البَهاء والهيبَة، والسبحات، قال رسول الله ﷺ: «حجابُهُ النُّور، أو النّار، لو كشفَه لأحرقَتْ سُبحات[1] وجههِ ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقِه»[2].

والنور الذي من أوصافه تعالى على نوعَيْن:

الأول: ما اتصفَ به تعالى من النور العَظيم الذي هو وصفه، الذي هو من جملة نُعوته العَظيمة الجَليلة، وهو النور العَظيم الذي لا يمكن التعبيرُ عنه إلّا بمثل هذه العبارة النبوية المؤدية للمعنى العَظيم، وأنه لا تُطيق المخلوقات كلها الثبوتَ لِنور وجهِه، لو تبدَّى لها[3].

والنور الثاني: نوعان: نور معنوي، ونور حسي:

فالنور المعنوي: وهو نورُ المعرفة، والإيمان، والطاعة، الذي به نَوَّر قلوب أنبيائه، وأصفِيائه، وأوليائه، ومَلائكته، من أنوارِ معرفته، وأنوار محبَّتِه، فإنَّ لِمَعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا، بحسب ما عرفوه من نُعوت جَلاله، وما اعتقدوه من صِفات جَماله.

والنوع الثاني: النور الحسي: الذي استنارت به العَوالِم كلها، التي لم

= فألقى عليهم نورًا من نورِه، فمن أصابَه من ذلك النُّور اهتدى، ومَنْ أخطأَهُ ضَلَّ...» رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤١)، وصححه الألباني (١٠٧) وفي «صحيح الترمذي» (٢٦٤٢).

(١) السبحات: تقدم معناها في الكلام على صفة (الوجه)، وهي: نوره، وبَهاؤه، وجَلاله.

(٢) مسلم (٢٩٣).

(٣) ما تقدم من المعاني يتعلق بوصف الذات، لأنه من إضافة الصفة إليه تعالى، وما سيأتي من المعاني يتعلق بوصف الفعل لأنه مخلوق ويتعلق بمشيئته سبحانه.

يحصل لها نورٌ إلّا من نورِه: كنور الشمس، والقمر، والكواكب، واستنار به العرش، والكرسي، وسائر المخلوقات المدرك نورها بالأبصار[1].

(٦) صفة الكمال (المَعِيَّة) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤][2].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني**»[3].

۞ **اللغة:** مَعَ: بفتح العين كلمة تدلُّ على المصاحبة، يقال: هذا مع ذاك، وهي كلمة تضمُّ الشيء إلى الشيء، وهي اسم معناه: الصحبة[4].

۞ **الشَّرْح:** يوصَف رَبّنا العَظيم بصفة المعية الحقيقية، العليةً الكاملة من جَميع وجوهِها، وهو فوق عرشه على الحقيقة، وهو كذلك مع جميع خلقه على الحقيقة[5]، يعلم سِرَّهم وجهرهم، ويرى حركاتهم، وسكناتهم أينما كانوا، وعلى أي حال كانوا، والمعية لا يلزم منها المُخالطة، والحلول، والمُلاصَقة، ولا أنه تعالى بذاته مع عباده،فإن العرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا.

---

(١) «تفسير السعدي» (٥٦٨، ٧٣٠)، و«فتح الرحيم الملك» (٤٨)، وتوضيح الكافية (١٢٩)، و«الحق الواضح» (٩٣).

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧]. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

(٣) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) «اللسان» (٦/٤٢٣٤)، و«معجم مقاييس اللغة» (١٥/٢٧٣).

(٥) لا محذور في الإخبار عن ربنا بهذه اللفظة كما أطلقتها السلف قاطبة، كما تقدم في الشروط الصحيحة في الإخبار عن الله تعالى. ارجع إليه غير مأمور.

ومعية الله ﷻ نوعان: النوع الأول: معيَّة عامَّة. النوع الثاني: معيَّة خاصَّة.

فالمعية العامَّة: وهي اطِّلاعُ الله تعالى على كل عِباده، بعلمِه، وسمعه، وبصره، رَقيب مهيمن على جَميع أحوالهم، وشؤونهم الظاهرة والباطنة، فهي معية إحاطة شاملة، وهو مستوٍ بذاته على العرش، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

النوع الثاني: المعية الخاصة: وهي لأنبيائه، وأوليائه، وهي معية مقتضاها: النصر والتأييد، والهِداية، والوِلاية، والحفظ، والتسديد[(١)]، وهي كائنة لهم في الدنيا والآخرة[(٢)]، وهي تنقسم إلى قسمَيْن:

الأول: مقيدة بشخص. الثاني: مقيدة بوصف.

مقيدة بشخص: مثل معية الله تعالى لنبيه ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولِموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

الثانية: مقيدة بوصف: كمعية الله تعالى لأوليائه الذين تحلَّوا بِصِفات وخصال جليلة، مثل: (المتقين) و(المحسنين): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨][(٣)].

وفي الآخرة: أنه تعالى يجمع أولياءه الموحِّدين معه في جَنّات

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠٣/٥، ٢٢٧، ٤٩٥، ٢٣/٦)، و«منهاج السنة النبوية» (٣٨٠/٨)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٣٩٢/٢).

(٢) انظر: كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى (٤٦٦).

(٣) انظر: «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢٢٥/٢).

النَّعيم، وهذه المعية تقتضي: القرب، والعُلُوّ، والرفعة، كما سألتها آسية امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وكقول النبي ﷺ في آخر كلمة قالها عند موته: «**اللهم الرَّفيق الأعلى**»(١).

(٧) صفة الكَمال (الصِّدْق) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥](٢)

٢) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إلّا الله، والله أكبر، صَدَّقه ربه فقال: لا إله إلّا أنا، وأنا أكبر...**»(٣).

❁ **الشَّرْح:** الصدق صفة كمال، ولهذا اتصف بها ربنا على الدوام، فهو الصادق الذي لا أصدق منه تعالى.

فهو الصادق في معاقد كلماته التامة في عهده، ووعده، ووعيده، وحديثه، وقصصه، الصادق الحق في مجاري أحكامه وقضائه، فهو الصادق الذي أوفى في جميع ما يخبر به في كتبه، وعلى ألسنة رسله، فيما وعد المطيعين بأن يثيبهم، ووعد السائلين أن يُجيبَهم، فكل ما وعد سبحانه عباده به، فهو آتٍ كما وعد(٤)، لا يتخلَّف، ولا يتغيَّر، ولا ينقض(٥).

---

(١) البخاري (٤١٧٣).

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وقال عز شأنه: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(٣) «صحيح الترمذي» (٣٤٣٠). وحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا فقالوا: (يا رسول الله! صَدَّق الله حديثَك). صحيح البخاري (٣٩٦٧).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/٢١٨)، و«شأن الدعاء» (١٠٢)، واشتقاق أسماء الله (١٦٨)، و«شرح أسماء الله» لابن برجان (١/١٨٤)..

(٥) تضمن الصدق على صفة الذات: أنه سبحانه يستحيل في حقه أن يكون خلاف ذلك. كالكذب.=

(٨) صفة الكَمال (ذُو المَعَارِج) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٢ ـ ٣].

❁ **اللغة**: ذو: بمعنى صاحب. المعارج: الارتقاء، **والمعراج**: السُّلَّم، وعرج الشيء فهو عريج: ارتفع وعَلا[١].

قال ابن عباس ﷺ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ أي: «العُلُوّ، والفواضل»[٢]، وقال قتادة ﷺ: «ذي الفواضل والنِّعَم»[٣].

❁ **الشَّرْح**: وصف رَبُّنا تعالى نفسَه بأنه ذو المعارج؛ أي: الموصوف بالعلو، والدرجات الفَواضل[٤]، والآيادي الكريمة، والإنعام الدائم.

(١) فهو تعالى ذو المعارج أي: في العلو الأعلى الذي لا أعلى منه، فهو سبحانه فوق كلِّ الورى، على العرش استوى.

(٢) وهو ذو الدرجات العالية، والأوصاف الفاضلة، التي استحقها الله سبحانه لنفسه[٥].

= وإخلاف الوعد، فهو موصوف بذلك على الدوام، فلا يكون في حال دون حال، وعلى الفعل: أنه يصدق من يشاء من عباده، بأقوالهم أو بأفعالهم.

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/٤٨)، و«اللسان» (٤/٢٨٦٩)، و«الصحاح» (٦٨٦)، و«القاموس المحيط» (٨٥٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٩/٤٤).

(٣) «التفسير الصحيح» (٤/٥٣٢).

(٤) «الأسنى» (٢٠٩).

(٥) «الأنباء في شرح حقائق الصفات والأسماء» لأبي العباس الإقليشي (١/٥٢٥).

(٣) وهو تعالى «الذي يتولى المنازل، ويصرف الأمور على المَراتب، وينزل المأمورين على المقادير»[١].

(٤) وهو سبحانه الذي يصعد إليه الملائكة، الموكلون بأعمال العِباد، وإليه يصعد بأرواح المؤمنين[٢].

فالمعارج: الطرق الموضوعة لعروج الملائكة والروح ﷺ، فإذا كان منهم صعود كان فيهم عروج، ولهم أيضًا تنزل، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤][٣]

(٥) وهو سبحانه: صاحب الخيرات، والآلاء الحِسان، والأنعام العِظام، التي تدرُّ على كل الأنام، في الليل والنهار، وفي السرِّ والجِهار.

(٩) صفة الكَمال (الطَّبِيب) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ: **«الله ﷻ الطبيب، بل أنت رجل[٤] رفيق، طبيبها الذي خلقَها»**[٥].

❁ **اللغة**: **الطب**: هو العلم بالشيء، الحاذق بعلمه، والطبُّ أيضًا: الرفق، والطبيب: الرَّفيق[٦].

(١) «الأسنى» (٢٠٩).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٤)، و«شأن الدعاء» (١٠٤).

(٣) «الأنباء» (١/٥٢٤)، و«الأسنى» (٢٠٩).

(٤) هو أبو رثمة ﷺ.

(٥) رواه أحمد في المسند (١٧٥٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٢٠٧)، في «السلسلة الصحيحة» (١٥٣٧).

(٦) «لسان العرب» (١/٥٣٣)، و«معجم مقاييس اللغة» (٣/٤٠٧)، و«النهاية» (٥٥٧).

❁ الشَّرْح: يوصف ربنا العظيم بأنه الطبيب الذي تفرَّد بهذا الوصف الجَليل، الذي ليس له فيه نَظير ولا عديل، «لأن المُعالج لِلمَريض من الآدميين، وإن كان حاذِقًا متقدِّمًا في صِناعته، فإنه قد لا يُحيط علمًا بنفس الدَّاء، ولئن عرفه ومَيَّزه فلا يعرف مقداره، ولا مقدار ما استولى عليه من بدن العليل، وقوته، ولا يقدم على مُعالجته إلّا متظنِّنًا عاملًا بالأغلب من رأيه، وفهمه، لأن منزلتَه في علم الدَّواء، كمنزلته التي ذَكَرْناها في علم الداء، فهو لِذلك رُبَّما يُصيب، وربما يُخطئ، ورُبَّما يزيد فيغلو، ورُبَّما ينقص فيكبو...

فأما الطبيب: فهو العالم بِحَقيقة الداء والدواء، والقادر على الصحة، والشِّفاء، وليس بهذه الصفة إلّا الخالق البارئ المصور»[1].

وربنا ﷻ هو العالم بِجَميع العلل، والأمراض، والأسقام، وأسباب العِلاج، لأنه سبحانه خالق كل شيء، ومنها: الأسباب، والمسببات، فيدخل في ذلك: الداء، والدواء، فهو سبحانه طبيبُ الأبدان، والقلوب، والأرواح.

(١٠) صفة الكمال (المُحْصِي) الجليلة

❁ الأدِلَّة: ١) قال رب العالمين: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢][2].

٢) الحديث القدسي الذي فيه: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم**»[3].

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/٣١١).

(٢) وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤].

(٣) مسلم (٢٥٧٧).

۞ **اللغة: الإحصاء**: العدّ، والحفظ، والإحصاء: الإحاطة بجميع المعلومات وتفاصيلها على السواء، مع حفظ ما يزيد فيها، وينقص، وحفظ أحوالها في الوجود والعدم وسائر تغيراتها[1].

۞ **الشَّرْح**: الله ﷻ هو المحصي: الذي أحصى كل شيء بعلمه، فلا يفوته منها دقيق، ولا يعجزه جليل، ولا يشغله شيء منها عما سواه سبحانه[2].

فهو سبحانه العالم بمقادير الحوادث، ما يحيط به منها علوم العباد، وما لا يحيط به منها علومهم، كالأنفاس، والأرزاق، والطاعات، والمعاصي، وعدد القطر، والرمل، والحصى، والنبات، وأوصاف الحيوان، والموات، وعامة الموجودات، وما يبقى منها، أو يضمحل ويفنى[3][4].

وهو الذي يحصي بمن أحصى، جزاءً عدلاً حقًّا في مقابلة فاعله، أي: أنه تعالى يمنع ويمحق البركة لمن شحَّ ومنع النفقة[5].

فهو تعالى بالجملة: «المحصي لمعلومات الوجود كله، عُلوه وسفله، كُليِّها وجزئيِّها، جليِّها وخفيِّها»[6][7].

۞ ۞ ۞

(١) «القاموس المحيط» (٢٩٦)، و«النهاية» (٢١٣) و«الأسنى» (٣٢٦).
(٢) «شأن الدعاء» (٧٩).
(٣) «المنهاج» (١/١٩٨).
(٤) وهذه المعاني الجلال تدل على وصف الذات.
(٥) انظر الصفة المقيدة (الإيعاء).
(٦) «الأنباء» (١/٦٥٩).
(٧) وهذه المعاني تدل على وصف الفعل.

(١١) صفة الكمال (الجَلَال) الجليلة

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧][(١)].

٢) في حديث الشفاعة الطويل، يقول ربُّ العالمين: «... **وعِزَّتي، وجَلالي، وكِبْريائي، وعَظَمتي، لأُخْرِجَنَّ منها مَنْ قال: لا إله إلا الله**»[(٢)].

٣) وقال رسول الله ﷺ: «**مَن أجلَّ سلطان الله. أجله الله يوم القيامة**»[(٣)].

❁ **اللغة: الجلال هو:** عظم القدر، والتناهي في ذلك، ويطلق كذلك على: عظم الخطر والشأن، الذي له مطلق الأمر والنهي، وعلى الشيء العظيم الذي لا يحاط[(٤)].

❁ **الشَّرْح:** الله ﷻ له الجلال المطلق من كل وجه، الذي جلَّ عن الوصف، وعَظُمَ أن يُعبَّر عنه بحرف[(٥)].

فهو تعالى الموصوف بأوصاف الجلال كلها، وهي: صفات الكمال، وصفات العظام، ونعوت الرفعة والتعالي، عزًّا وتكبُّرًا، الحاوي جميعها على الداوم، ثابتة محققة له، لا يفوته شيء منها، الذي استعلى سبحانه

---

(١) وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

(٢) البخاري (٧٥١٠). ومسلم (٨٧٣). وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يقول يومَ القيامة: أينَ المُتَحابُّون بِجَلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي. يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي**» مسلم (٢٥٦٦).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢٥)، وحسنه الألباني (٤٧٨).

(٤) «المفردات» (١٩٨). و«معجم مقاييس اللغة» (٤١٧). و«شأن الدعاء» (٧٠).

(٥) انظر: «الأنباء في شرح حقائق الصفات والأسماء» (١/٥١٣).

على كل موجود سواه، فلا ذو جلال باستحقاق إلا الله وحده.

فثبوت الجلال لله تعالى مقطوع به، لأنه عبارة عن تعاليه بذاته، وصفاته، وتقدسه عمَّا يلحق جميع مخلوقاته من الشوائب، واتصافه بصفاتٍ لا يتصف بها ذواتهم، وجوبًا ولا إمكانًا، فكل ذلك عن غيره ممنوع(١)(٢).

ومن جلاله سبحانه: أنه المستحق لأن يهاب سلطانه، ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه(٣).

ومن جلاله تعالى: أنه يختص بالإجلال من شاء من عبيده(٤) على مقتضى حكمته وخبرته سبحانه(٥)، كما في الحديث المتقدم: «**من أجلَّ سلطان الله، أجلَّه الله يوم القيامة**».

(١٢ - ١٣) صفتا الكمال (الإِرَادَة) و(المَشِيئَة) الجليلتان

۞ الأدِلَّة: ١) قال عز شأنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٢) وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٣) وقال ﷺ: «**وكَّل اللهُ بالرَّحِم مَلَكًا، فيقول: أي رب نطفة...، فإذا**

(١) ينظر: «النهاية» (١٦١)، و«الأسنى» (١/١٣٣)، و«الأنباء» (١/٣٨٣، ٥١٢).

(٢) وهذه المعاني تدلُّ على صفة الذات التي لا تنفك عنه سبحانه.

(٣) انظر: «المنهاج» (١/٢١٠).

(٤) «الأنباء» (١/٣٨٥).

(٥) وهذه من أفعاله السنية المتعلة بمشيئته.

أرادَ الله أن يقضي خلقها قال...»[1].

٤) وقال رسول الله ﷺ: «احتجَّت النار والجنة...، فقال الله ﷻ لهذه ـ أي النار ـ: أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَنْ أشاء، وقال لهذه ـ أي: الجنة ـ: أنتِ رحمتي أرحمُ بكِ مَنْ أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما مِلْؤُها»[2].

❁ الشَّرْح: من أصول أهل السنة والجماعة إثباتُ مشيئة الرَّبِّ العامَّة، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، «وأنه لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره»[3].

ويعتقدون أن مشيئة الله نافذة في كل شيء، لا تتخلف ولا تُرد، ولا معقب لها، وأن إرادته عامة لكل ما وجد من الأعيان، والأوصاف، والأفعال[4]، وأن مشيئته ليست مشيئة مجردة خالية من الحكمة، والرحمة، والمصلحة، بل متضمنة لكل الخيرات، والغايات المحمودة من كل وجه[5].

كما أنَّ من أصولهم الثابتة أن صِفة الإرادة هي قسمان[6]:

إرادة كونيَّة قدريَّة: كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مُرادِها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالظلمات والمَعاصي والأرزاق كلُّها بِمَشيئة الرَّبّ، وإرادته الكونية.

---

(١) البخاري (٣١٨، ٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) مسلم (٢٨٤٦).

(٣) «لمعة الاعتقاد» (٨٩).

(٤) «توضيح الكافية الشافية» (١٠٢)، «وشرح عقيدة الحافظ المقدسي» (١٥١).

(٥) ينظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/٤٨٥).

(٦) انظر أنواعها في «منهاج السنة النبوية» (٧/٧٢، و«مجموع الفتاوى» (٨/١٩٧).

وقد ذكر سبحانه هذه الإرادة في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

القسم الثاني من الإرادة: **الإرادة الشرعية الدينية**، وتتضمَّن محبةَ الرَّبّ للمُراد، ورِضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مُرادها، بل قد يوجد، وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عبادِه شرعًا أن يعبدوه ويُطيعوه، فمنهم مَنْ عبده وأطاعَه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

وبهذا يعلم أن الإرادتَيْن تجتمعان في حقِّ المُطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، لأنَّ الله تعالى لم يُرد منه المعصية شرعًا، بل قد نَهاه عنها، وقد ذكر الله هذه الإرادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][(١)].

۞ الفرق بين الإرادتَيْن:

(١) الإرادة الكونيَّة قد يُحبُّها الله تعالى ويَرضاها، وقد لا يُحبها ولا يَرْضاها، والإرادة الشرعية لا بُدَّ أن يحبَّها ويرضاها، فالله تعالى أراد المعصية كونًا، فقد أذن لبعض المعاصي أن توجد في الأرض، لكنه لا يرضاها شرعًا.

(٢) الإرادة الكونية مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشُّرور، لتحصل بسبب ذلك المُجاهدة والتوبة والاستغفار، وغير ذلك من

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لِعلامة الزمان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ﷺ (١/٣٧٦ ـ ٣٧٧).

المحاب، والإرادة الشرعية مقصودة لِذاتِها، فالله أراد الطاعةَ كونًا وشرعًا، وأحبَّها ورضيَها.

(٣) الإرادة الكونيَّة لا بُدَّ من وقوعِها، والإرادة الشرعية لا يلزم وقوعُها، فقد تقع، وقد لا تقع[١].

وينبغي أن «نؤمن بأنَّ مُراده الكوني والشرعي تابعٌ لحِكمته، فكلُّ ما قَضاه كونًا، أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لِحِكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تَقاصرت عقولُنا عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فوصف الله نفسَه بالعِلْم، والحكمة، فدلَّ ذلك على أن الله تعالى لا يَشاء شيئًا إلا مبنيًّا على علمٍ، وحكمةٍ»[٢].

صفتا الإرادة والمشيئة من الصفات الذاتية: لأنه تعالى متصف بها أزلاً وأمدًا، لا يكون معطلاً عنهما في أي حال ولا زمن، وهما كذلك من الصفات الفعلية: لأنهما تتجددان بتجدد المراد، فإن الله تعالى لم يزل مريدًا بإرادات متعاقبة متنوعة، حسب ما تقتضيه حكمته[٣].

(١) «شرح الواسطية» للعلامة الفوزان (١/٤٠٩).

(٢) «شرح عقيدة أهل السنة» للعلامة ابن عثيمين (١١٧ ـ ١١٨، ١٩٦ ـ ١٩٧).

(٣) انظر: «إبطال التأويلات (٦٩٧)، و«مجموع الفتاوى» (١/٤٠٩).

(١٤) صفة الكَمال (الفِعْل، وَالعَمَل) الجَليلة

۞ الأدِلَّة: ١) قال ﷻ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٢) وقال رَبُّ العالَمين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

٣) وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

٤) حديث أم رومان (وهي أم عائشة ﵂) قالت: (بينا أنا قاعدة أنا وعائشة، إذْ ولجَتْ امرأة من الأنصار فقالت: فعلَ الله بِفُلان، وفعل بِفُلان...»[(١)].

۞ اللغة: الفعل: كناية عن كل عمل متعدٍّ، أو غير متَعَدٍّ.

والفعل يعبر به عن القدرة على الشيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ أي: قادرين على فعل ما نَشاء.

والفَعَّال: صيغة مبالغة من الفعل، بمعنى: الذي يكثر منه الفعل؛ أي: ما يُريد ويفعل في غاية الكثرة[(٢)].

۞ الشَّرْح: صفة الفعل والعمل من أعظم صفات الكمال لربنا سبحانه، ولهذا وصف نفسه بصيغة المبالغة الدالة على أقصى الكمال في الكمية، والكيفية، فقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، لِبَيان: «كثرة أفعاله، ودوامِها، وشمولها، ومتانتها، ووقوعها على الوجه الأكمل، والأتم، من

---

(١) البخاري (٤١٤٣).

(٢) «لسان العرب» (١٣١/٧)، و«عمدة الحفاظ» (١٢٤/٣، ٢٤١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤٠٧/٣)، و«المصباح المنير» (٢٤٨)، وإعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش (٤٣٥/١٠).

غير تكلف ولا مشقة»[1]، فأفعاله ﷻ لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادِها[2]، فكل ما في السموات والأرض من فعلِه سبحانه، ولِهذا يوصَف الله تعالى بكل ما خَلَقَ، وبكل ما شرع[3].

فهو سبحانه لم يزل يفعل الأشياء، ويحدث الحوادث شيئًا بعد شيء، فخلقه للمخلوقات أعيانها وأوصافها كمال حصل لكماله، لأن الله تعالى كمل ففعل، فلا يكون معطلاً عن هذه الأفعال الكمال في أي وقت من الأوقات، فكل يوم هو في شأن، يدبر الأمور، ويحدث ما تقتضيه حكمته[4].

فكونُه ﷻ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: هذا من كَمال قوته، ونفوذ مَشيئته، وشُمول قدرته، أن كل أمر يُريده فعله، في أيِّ وقتٍ يُريد أزلًا، وأبدًا، وعلى أيِّ كيفية يريدها، وهذا من كماله، فهي كمال في وقتِها، وعند وُجود سَببها، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يُعارضه أحد، وليس له ظهير، ولا عوين، ولا مُساعد على أيِّ أمر يكون، بل إذا أراد أمرًا قال له: «كن فيكون»[5].

ومع أنَّ رَبَّنا الجليل فَعَّال لِما يُريد، فلا يُريد إلّا ما تقتضيه حكمته، وعلمه، فجميع أفعالِه مقرونة وتابعة لِحِكمته الجَليلة، فلا تكون موجودة، إلّا حيث اقتضتها الحكمة، فهو سبحانه موصوفٌ بالكَمال من جِهتَيْن:

١) من جِهة كَمال القدرة، ونُفوذ الإرادة، وأن جميعَ الكائنات قد

---

(١) ينظر: «تنوير الأذهان» للبروسوي (٤/٢٨١)، و«إبطال التأويلات» (٦٥٩).

(٢) تفسير آل عمران (١/٢٥١). والقواعد المثلى لابن عثيمين (١٢٣).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢/٦٣٥).

(٤) انظر: «توضيح الكافية» (٤٨، ٥٠).

(٥) «فتح الرحيم الملك» (٢٧)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (١/١٦١).

انْقادت لِمشيئته، وإرادته.

٢) ومن جهة الحكمة: فإنه تعالى الحكيم في كلِّ ما يصدر منه من قول، وفعل: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]؛ أي: في أقواله، وأفعالِه، ولهذا فهو سبحانه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣][(١)].

صفتا الفعل والعمل من الصفات الذاتية والفعلية من أوصاف الذات: لأن (الفعَّال) هو من يفعل على الدوام، فلو خلا من الفعل في إحدى الزمانين لم يكن فعالاً، ولا يجوز أن يكون عادمًا لهذا الكمال في أي وقت[(٢)].

وأما أنه من صفات الأفعال: فهو يكون في أنواع أفعاله تعالى مثل: النزول إلى السماء الدنيا، والعجب، والضحك، والمجيء لفصل القضاء، فهذه الأنواع هي التي تتجدد بمشيئته متى ما شاء، على وفق حكمته وعلمه سبحانه[(٣)].

(١٥) صفة الكمال (الأَمْر) الجَليلَة

الأدِلَّة: ١ ـ قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤][(٤)].

٢ ـ قال ﷺ: «**إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السماءِ ضربَت الملائكةُ بأجنحتِها**

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٩١). و«تفسير السعدي» (٣٩٠) (٩١٩). و«فتح الرحيم» (٢٧)، و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٩٣)، و«التعليق على الطحاوية» (٤٣٢)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين.

(٢) انظر: «شفاء العليل» (٥٨)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات» (٢١١). و«الكافية» (٥٠).

(٣) «التعليق على الطحاوية» لابن عثيمين (٤٣٣).

(٤) وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣].

خضعانًا لقوله...»[1].

۞ **اللغة: الأمر**: نقيض النهي، وهو الشأن، وجمعه أمور، وهو لفظ عام للأفعال، والأقوال كلها، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]

ويقال للإبداع: أمر، نحو: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويختص ذلك بالله تعالى دون الخَلائق[2].

۞ **الشَّرْح**: صفة الأمر من صفات الله العلا الفعلية الاختيارية، أي: التي تقع باختياره ومشيئته وقدرته، فهو تعالى: له الأمر المطلق: الذي ترجع إليه كل شؤون وأحوال الخليقة، يتصرف فيها كيفما شاء، فهو منفذ أحكامه وقضائه في خلقه، الصادرة عن إرادته بما شاء، وما شاء، فلا بد أن يكون، لا يفوته شيء، ولا يتخلف عن مراده أحد، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣][3].

وأمره تعالى كله خير، لأنه عن كمال علمه، وحكمته، لا مجرد أوامر محضة لا تدل على حكم بالغة، ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠][4].

الفرق بين الخلق والأمر

اعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها (يعتقدون) أن الخلق غير الأمر، وأن الفعل غير المفعول، فالفعل صفة لله، والمفعول هو المخلوق.

---

(١) البخاري (٤٧٠١).

(٢) «المفردات» (٨٨).

(٣) ينظر: «الأنباء» للإقليشي (١/٣٧٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٥٠٤). و«تفسير النسفي» (١٢٥٢).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (٤/١٣٦).

فالأمر: تنشأ عنه المأمورات والشرائع.

والخلق: تنشأ عنه المخلوقات كلها[1].

وأمر رَبِّنا العَظيم سبحانه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أمر كوني، وأمر شرعي، وأمر جَزائي:

فمن الأول: قوله عز شأنه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فقوله: « (أمر): أمر تكوين، يعني أمره سبحانه أن يقول للشيء (كن) (فيكون)، بدون تكرار، مرة واحدة، لا يحتاج إلى تأكيد ثانية، فيكون كذلك الذي أمر به حاصلًا موجودًا، كما أراد، كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، فكل ما أمر الله سبحانه به في العين، والوصف، سواء كان خلقًا، أو إيجادًا، أو عدمًا، أو فناءً، فيكون على حسب ما أراده الله ﷻ، كما قال تعالى في بعث النّاس: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ - ١٤].

كما قال تعالى للقلم: «**اكتب! قال: يا رب! وما أكتب؟ قال: اكتبْ مَقاديرَ كل شيء**». وفي رواية: «**قال: اكتبْ القدر ما كان، وما هو كائن إلى الأبَدِ**»[2].

فسبحان الله تعالى، ما أعظم الله»[3].

النوع الثاني: «الأمر: يتضمَّن أحكامه الدينية الشرعية»[1] وهو أوامره

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» (٤٠).

(٢) صححه الألباني في: «صحيح الترمذي» (٢١٥٥)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥).

(٣) «تفسير سورة يس» (٨/٣٥٠)، و«سورة غافر» (٩/٣٣٥)، و«سورة القمر» (٣٩٤) لابن عثيمين بتصرف.

الشرعية، التي أنزلَها على عباده على ألسنة رسله، وهي مشتملة على الحكم، والغايات الحَميدة، في الحياة المعاشية، والتي فيها المصالح، والمَنافع، والخيرات، لكل الخَليقة.

ولهذا ينبغي أن يعلم أن أوامره الشرعية من أعظم نعمه على عباده سبحانه، لأنه تعالى "لم يأمر عباده لحاجته إلى خدمتهم، ولا هو محتاج إلى أمرهم، وإنما أمرهم إحسانًا منه، ونعمة أنعم بها عليهم، فأمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب من أعظم نعمه على خلقه[٢].

النوع الثالث: الأوامر الجزائية[٣] في دار البَقاء الأخروية، وهي مَنوطة بالرَّحمة، والعَدْل، والفضل، والجَزاء الحَسَن[٤].

(١) «تفسير السعدي» (٢٩١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٥٦).

(٣) ومن هذه الأوامر الجزائية، ما يكون في الحياة الدنيا من العقوبات، والشدائد، والإنذارات، والابتلاءات.

(٤) صفة الأمر ذاتية: لأن الأمر كلامه الذي به تكون المخلوقات، فكلامه من أوصاف ذاته، فلا يكون معطلاً عن الأوامر في أي لحظة، وفعلية: أن أمره يتجدد ويحدث على وفق مشيئته متى ما أراد سبحانه.

القسم الثالث: الصفات الفعلية

القواعد والضوابط

❁ **القاعدة الأولى: (أفعال الربِّ صادرةٌ عن كماله، فإنه كمل ففعل، بخلاف العبد، كماله عن فعاله، فإنه فعل فكمل)**[1].

أفعال ربنا سبحانه السنية كلها كمال، لأنها صادرة عن جمال أسمائه الحسنى، وكمال أوصافه، وجلال نعوته العلا، فإن أفعاله أثر من آثارها، ولذلك كانت كلها خيرات محضة، لا تكون خلاف ذلك البتة، صادرة عن حكم عظيمة، وغايات محمودة كريمة.

ولذلك فإن فعال الله تعالى عن كماله، فإنه كمل ففعل[2]، ولهذا صارت أحكامه أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع[3]، بخلاف المخلوق فإنها مخالفة لها من كل وجه، وذلك: أن كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء والصفات بعد أن كمل في الفعل، والأمثلة على ذلك كثيرة:

أنه كم من إنسان اسمه محمود وهو في الحقيقة سيئ الفعال، ذميم الخصال، وكم من رجل حسن الفعال سُمِّي بأقبح الأسماء والأوصاف،

---

(١) ينظر: «بدائع الفوائد» (١/١٦٣)، و«الكافية الشافية» (٥٠).

(٢) «عدة الصابرين» (٢١)، و«بدائع الفوائد» (١/١٦٣)، و«جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات». أ.د. وليد العلي ﷾ (٢/٨٨٦، ٨٩٠).

(٣) «الحق المبين» (٣٠).

فأسماء العباد وصفاتهم لا تطابق أفعالهم من كل وجه، فقد يسمى العبد: حكيمًا، وهو: جاهل، وعزيزًا، وهو: ذليل، وكريمًا، وهو: لئيم...»[1].

* **الضابط الأول**: (الصفات الفعلية هي التي تقومُ بِذاته، بِمَشيئته، وقدرته، وإرادته، في كلِّ أوان، وزَمان، فتحدث عند وجود أسبابِها).

أي: أنَّ هذه الأفعال البديعة يحدثها الله ويوجدها إذا شاء سبحانه، عند وجود أسبابها، وقد تكون هذه الأسباب معلومة لنا، وقد لا تكون معلومة، كاستوائه على عرشِه[2]، وهي تنفكُّ عن الله تعالى؛ أي: إن شاء سبحانه فعلها، وإن شاء لم يفعلها[3].

* **الضابط الثاني**: (العبد من مفعولات (مخلوقات) الرب تعالى، لا من أفعاله القائمة بذاته).

الخلق كلهم من آثار أفعاله تعالى، وأفعاله من صفاته القائمة بذاته العليَّة، ومخلوقاته منفصلة عنه، تلك مخلوقة محدثة، والربُّ تعالى هو الخالق بذاته، وصفاته، وأفعاله[4].

* **القاعدة الثانية: (أفعال الله تعالى كلها واقعة على أحسن الوجوه، وأتمِّها على الصواب والسداد، مُنزَّهةٌ عن الشرِّ والفساد)**[5].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/١٦٣)، و«تحرير الاعتقاد في الأسماء والصفات» أ.د. أحمد بن منصور آل سبالك (٨٢).

(٢) ونزوله كل ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا. والخلق. والمحبَّة. والرِّضا. والغضب. والسخط.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٩، ٢١٧)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧). و«الحق الواضح» (١٥٠)، و«الكواشف الجلية» (٢٥٨)، و«الصفات الإلَهية» للجامي (٢٠٦)، و«شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨). ولابن باز ﷺ (٢/٣٢٧). و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٢٥١).

(٤) «مدارج السالكين» (٣/١٥٨).

(٥) ينظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/٤٨٥)، و«الحق المبين» (٣٠).

إن أفعال ربنا ﷻ بكل أجناسها وأنواعها وأفرادها «صادرةٌ عن حكم بوالغ، لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل[1]، ولهذا لا يصدر منه تعالى إلا الفعل المحكم المتقن، ما تقصر العقول عن إدراكه، فأفعاله وأحكامه وأقواله كلها هدًى ورشد وحق[2].

ولذلك فإن أفعاله الحميدة ترجع إلى ثلاثة أمور جليلة، ويندرج تحتها من أفراد الكمال العديدة ما لا يحصيه إلا رب العزة والجلال.

«أولاً: أفعال تدلُّ على الرحمة والإحسان والإنعام، والبر، والفضل، والرشد، والهدى، راعى فيها سبحانه مصالح عباده وحاجاتهم.

ثانيًا: أفعال تدلُّ على الحكمة، والعدل، والإنصاف، والحق، والمصلحة ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]»[3]، ومن جملة هذه الأفعال الأخيرة: الانتقام من المجرمين، وإهلاك الظالمين، وكيد الكائدين، فراعى فيها سبحانه إقامة الحق والعدل بين عباده، لأنه حرم الظلم على نفسه وعلى خلقه.

ثالثًا: «أن أفعاله الحسنة كلها لا يدخل فيها الشرُّ البتة، فلا يضاف إليها، ولا يُنسب إليها، ولا يصدر منها، ولا يُسمى بها بأيِّ وجه، فلا في أفعاله سبحانه عبث، ولا سفه، ولا سدى، ولا جور، فتعالى عن كل ذلك.

---

(١) «شفاء العليل» (٢/٥٣٧).

(٢) «طريق الهجرتين» (٢٦٢)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/٤٨٥)، و«شرح أسماء الله» لابن برجان (٢/٢٢٤).

(٣) «مدارج السالكين» (١/١٢٥، ٤١٧)، و«الحق الواضح» (٣٠، ٨٥)، و«شرح النونية» للهراس (٢/٤٥٦) بتصرف.

وبالجملة: الشرُّ ليس إليه، والخير هو الذي إليه، ولا يفعل إلا خيرًا، ولا يريد إلا خيرًا، ولو شاء لفعل غير ذلك»[1]، كما قال ﷺ: «... **والخير كله في يديك، والشرُّ ليس إليك**»[2].

القاعدة الثالثة: (الله تعالى قادرٌ على أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن فعله)[3].

من كمال أفعال ربنا السنية أنَّه الفعَّال لما يريد، وكما يشاء، في أي وقتٍ وحال شاء، فلا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه، ولا يقع فعله إلا على وفق مراده ومشيئته.

ومن ذلك: أنه سبحانه قادرٌ على أن يجمع من الأفعال الكثيرة الغير متناهية في اللحظة الواحدة، من غير خلل ولا غلط، ومن غير مشقة ولا تعب.

فهو تعالى يدبِّر من العرش إلى ما تحت الثرى، في تخليق ذواتها، وإيجاد صفاتها، وتدبير شؤونها، ويرى حاجاتها، ويسمع ويجيب نداءها دفعة واحدة، من غير كلفة ولا نصب، يرزق ويبسط، ويرفع ويخفض، ويعطي ويمنع، وينصر ويدفع، في كل ومضة ووقت، كما أنه تعالى يميتهم في النفخة الأولى، ويحييهم في النفخة الثانية، في أقل من لمح البصر، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وكما أنه سبحانه يحاسب خلقه يوم القيامة كلهم جميعًا، ويسألهم

---

(١) انظر: «مدارج السالكين (٢/٣٣٨)، و«شفاء العليل» (١/٤٠٥).

(٢) مسلم (٧٧١).

(٣) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٤/٥٥).

مشافهة منه إليهم، فلا يشغله حساب أحد عن أحد، كلٌّ منهم يراه مخليًا به ويناجيه، لا يرى أنه متخليًا لغيره، ولا مخاطبًا لغيره، فلا يشغله سبحانه شأن عن شأن، في الدنيا، ولا يوم العرض[1].

القاعدة الرابعة: (الصفات الفعلية أزلية النوع، وتتجدد على مقتضى حكمته).

أي: إن صفات الله تعالى الفعلية أزلية كالصفات الذاتية، كما أنَّ ذاته العلية كانت قبل الخَليقة، فكذلك أفعاله تحذو حذوها.

ولهذا فهي تتجدَّد وتحدث أفرادها شيئًا فشيئًا، تبعًا لحِكمة رَبِّنا ﷻ، مثل: صفة (الخلق): تحصل أفرادها شيئًا فشيئًا، فخلق العرش مثلًا وقته متقدم على خلق السموات والأرض، وهكذا خلقهما متقدمٌ على خلق آدم، ونحو ذلك، «فهو تعالى لم يتصف بصفة لم يكن موصوفًا بها في الأزل»[2]، بل هو لم يزل ولا يزال متصفًا بها.

قال الطحاوي رحمه الله: «ما زالَ بصِفاته قديمًا قبل خلقه» «وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا، ليس بعد الخلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداث البريَّة استفادَ اسم الباري»[3].

فهو تعالى لم يزل ولا يزال يقول، ويتكلَّم، ويخلق، ويدبِّرُ الأمور، وإن أفعالَه الجَليلة تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لِحِكمته، وإرادته، فإنَّ شرائعه وأوامره، ونواهيه الشرعية لا تزال تقعُ شيئًا فشيئًا[4].

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (٦/١٣٥). و«أسرار التنزيل وأنوار التأويل» للرازي (٢١٢)، و«أصول السنة» لابن أبي زمنين (١٠٦). و«بيان تلبيس الجهمية» (٤/٥٥) بتصرف.

(٢) ينظر: «الحجة في بيان المحجة» (٢/٤١٠).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧، ١٣٧).

(٤) «شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨).

❁ **القاعدة الخامسة: (صفات الأفعال كلها متعلِّقة وصادِرَة عن ثلاث صفات).**

صِفات الأفعال القائمة بالله تعالى كلها متعلقة، وصادرة، عن هذه الصفات الثلاثة: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامَّة، وهي كلُّها قائمة بالله تعالى، والله متَّصِف بها، وآثارها، ومقتضياتها جميع ما يصدرُ عنها في الكون كله من التقديم، والتأخير، والنفع والضّرّ، والعطاء والحِرْمان، والخفض والرَّفع، لا فرق بين محسوسِها، ومعقولِها، ولا بين دِينِها ودُنْياها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال[1].

❁ **الضابط الثالث: «كلُّ صفةٍ علقت على سَبَبٍ فهي من الصِّفات الفعلية».**

الصفات الفعليَّة كلُّها تتعلَّق بالمَشيئة، ووجه كونِها تتعلَّق بالمَشيئة أنَّها مربوطة أو معلَّقة بالسَّبَب، وعلى هذا فنقول: الرِّضا من الصفات الفعلية لأنَّ لها سببًا معلومًا، فمتى وجد سببُ الرِّضا (من الأقوال، والأفعال، والأشخاص، والأحوال) وجدَ الرِّضا[2].

❁ **الضابط الرابع: «كلُّ فعلٍ عَلَّقه الله تعالى بالمَشيئَة فإنَّه مقرونٌ بالعلم والحِكمة»[3].**

---

(١) «توضيح الكافية» (١٣١)، و«شرح حديث النزول» (١٥٧).

(٢) وهكذا صفة الغَضَب، والسُّخْط، والمحبَّة، (والمقت، والانتقام، والبطش، والأخذ) فهي كلُّها من الصِّفات الفعلية، لأنَّها توجَد بوجود ذلك السَّبَب، وتَنتفي بانْتِفائه. انظر: «شرح الواسطية» (١/١٨٤)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/١٠٥)، و«تفسير سورة النساء» (٢/١٨٩)، و«سورة فاطر» (٨/١٥٠).

(٣) ينظر: «تفسير سورة يس» (٢٣٦)، و«شرح صحيح البخاري» (١/١٦١) لابن عثيمين.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، إنَّ أفعال ربنا تعالى المحكمة والتي تتعلق بمشيئته، وإن كان مصدرها على وجه العموم: جميع أسمائه الحسنى وأوصافه العلا، فمصدرها على وجه الخصوص: حكمة الله العليا، وسعة علمه الواسع(١).

فليست مشيئته مجردة خالية من الحكمة، والرحمة، والمصلحة، ولذلك فإن أفعاله الحسنة الجميلة متضمنة للغايات المحمودة، والحكم المطلوبة، بل أفعاله تعالى صادرة عن حكمةٍ بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل(٢).

ولذلك ينبغي أن يُعلم: أن كل ما أوجده سبحانه في وقته، أي: في وقت فعله، فهو كامل، لأنه صادرٌ عن حكمته.

وما كان قبل وجوده، يكون الكمال في عدمه، لأنه ليس من الحكمة إيجاده، لأنه تعالى فعله متعلق بمشيئته، ومشيئته تابعةٌ لحكمته(٣).

وبذلك ينبغي أن يوقن العبد: أن كل ما أوجده سبحانه، وما لم يوجده، من محسوسات، أو معنويات، أو أحوال، فإنه عن حكمة بالغة، وعلم واسع، تقصر العقول عن إدراك، أو الإحاطة به.

وهذا اليقين يزداد رسوخًا كذلك فيما يحدثه وما ينفيه تعالى، من المحبوبات والمكروهات على العباد: فهي عن حِكَم، ومصالح، وهدى،

(١) انظر: «جهود ابن القيم في توحيد الأسماء والصفات» (٢/٨٩٣).
(٢) «شفاء العليل» (١/٢٨٥) (٢/٥٣٧)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/٤٨٥).
(٣) «التعليق على شرح العقيدة الطحاوية» لابن عثيمين (٤٣٢).

وسداد، ولهذا «إنَّ القضاء الإلهي (بكل أنواعه)[1]: خير كله، فإن مصدره علم الله، وحكمته، وكماله المقدس، فهو خير كله، ومصلحة، وحكمة، وعدل، ورحمة»[2].

القاعدة السادسة: (الله تعالى موصوفٌ بالفعل اللازم، وموصوف بالفعل المتعدِّي).

صفاتُ الأفعال من جهة تعلُّقها بمتعلّقها نوعان:

ـ **النوع الأول**: صفات مُتعدِّية، أي: متعلقها بالمخلوقات، مثل: الخلق، والرِّزْق، والهداية، والإضلال، والمنع، والعَطاء، والإحياء، والإماتة، والقَبْض، والبسط، والنَّصر، وأنواع التدابير الكونية، والشرعية، وغيرها مِمّا لا يُحْصى.

ـ **النوع الثاني**: صفات لازمة؛ أي: غير مُتعدِّية، أي: قائمة بالفاعل، أي: بذاته المقدسة العليّة، كالاستواء، والمَجيء، والإتيان، والنُّزول، والفرح، والعَجَب، فهذه الصفات الجَليلة لازمة لم يفعلْها سبحانه في غيره، فهي متعلِّقة بِذاتِه المقدسة العَظيمة.

وإنما قسمت كذلك: نظرًا للاستعمال القرآني والسنة من جهةٍ، ولِكَوْنِها في اللغة كذلك، وقد جمعَ هذَيْن النوعين سبحانه في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤][3]، فـ(خلقُ

(١) الأقضية الثلاثة هي: القضاء الكوني، والقضاء الشرعي، والقضاء الجزائي.

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢٥٦).

(٣) انظر: «مجموع الفَتاوى» (٦/٢٣٣)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٢٩) (٢/٢٥٤)،=

السموات والأرض) من الأفعال المتعدِّية لتعلقها بالمخلوقين، (ثم استوى على العرش) من الأفعال اللازمة القائمة بذاتِه العَلِيَّة، لا يتعدى إلى غيره.

وينبغي أن يُعلَم أن صِفات الله تعالى المقيَّدة على وجه المُقابلَة بالجَزاء كما سيأتي كلها صِفات مُتعدِّية، والله سبحانه أعلم.

❁ **القاعدة السابعة: (صفات الأفعال تتفاوت وتتفاضل على قدر الأسباب المتعلقة بها)**[1].

من الاستقراء في أدلة الكتاب وسنة خير العباد أن أفعال الله تعالى تتباين على قدر ما تقتضيه أسباب التعلق بها، فمثلاً محبته تعالى لأوليائه تتفاوت كما في الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[2]، وكذلك "غضبه تعالى الذي سيكون في عرصات القيامة غير مسبوق بمثله، وغير ملحوق بمثله"[3].

= و«توضيح الكافية» (١٣٢)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/٢٥١) لابن عثيمين، و«اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِصالح آل الشيخ (٢/٣٩).

(١) تقدم في القاعدة السابعة عشرة: (أن صفات الله تعالى تتفاضل فيما بينها). والمقصود هناك: التفاضل بين الصفة والأخرى، أما هنا فالتفاضل في الصفة نفسها.

(٢) مسلم (٢٦٦٣).

(٣) «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» (١/٣٦٩).

أقسام الصِّفات الفِعْلِيَّة

تنقسم صِفات رَبِّنا العظيم كما تقدم إلى قسمين:

القسم الأول: **صفات فعلية مطلقة**.

القسم الثاني: **صفات فعلية مقيدة**[1].

وسنبدأ بالقسم الأول وهو: الصفات الفعلية المطلقة الجليلة.

وهي الصفات التي جاءت غير مقيدة على جهة الجزاء، سواء كان الجزاء بالعقوبة، أو بالمثوبة، مثل: الخلق، والإبداع، والإحياء، والإماتة، والتدبير، والرزق، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والخط، والكتابة، والزراعة، والكلام، والسكوت، والصنع، والصوت، والمعية العامة، والإقاتة، والفعل، والعمل، وغيرها الكثير.

(١) وهي قسمان كذلك: الأول: هي صفات جاءت على جهة المقابلة بالجزاء الحسن والمثوبة، مثل: الهرولة، والتقرب، والتيسير، والتنفيس، والحثو، والمعية الخاصة، والمباهاة، والبركة، والمحبة، والرؤية، وغيرها الكثير، والثاني صفات مقيدة على جهة المقابلة بالجزاء في العقوبة كما ستأتي بعد الصفات الفعلية المطلقة.

(١) صفة الكمال (الاِسْتِوَاءُ عَلَى العَرْشِ) الجليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال عزَّ شأنُه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][(١)].

٢) عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ أخذ بيدي، فقال: «**يا أبا هريرة، إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش اليوم السابع...**»[(٢)].

۞ **اللغة: الاستواء** في اللغة: له أربع معانٍ: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود.

والاستواء في كلام العرب الذي خاطبَنا الله ﷻ بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق، ومقيد، فالمطلق: ما لم يوصَل معناه بحرف، مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: نضُج، أو كَمُلَ، وتمَّ..، وأما المقيد: فثلاثة أضرب:

النوع الأول: مقيد بـ(إلى)، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهذا بمعنى العلو، والارتفاع بإجماع السلف[(٣)].

قال الفراء: «وقال ابن عباس: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: صعد:، وهذا كقولك للرجل كان قائمًا فاستوى قاعدًا، وكان قاعدًا فاستوى

---

(١) امتدح الله تبارك وتَعالى نفسه بالاستواء على العرش، في سبع مواضع في القرآن الكريم: الأعراف (٥٤)، يونس (٣)، الرعد (٢)، طه (٥)، الفرقان (٥٩)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٤١٢)، وقال الألباني ﷺ في تَعليقه على مختصر العلو للذهبي: «إسناده جيد» (ص١١٢).

(٣) ينظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٨٨٨)، و«الرد على الجهمية» لابن قتيبة (٩٠).

قائمًا، وكل في كلام العرب جائز».

وقال الأخفش: «استوى: أي: علا، ويقول: استويت فوق الدابة، وعلى ظهر الدابة، أي: علوته»[1].

النوع الثاني: مقيد بـ(على)، كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣][2]، وتقول العرب: «اسوى فلان على العرش»، أي: استقر عليه، وهذا كله معناه أيضًا: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والاعتدال، بإجماع أهل اللغة.

النوع الثالث: المقرون بِواو المعية، التي تعدى الفعل إلى المفعول معه، نحو: «استوى الماء والخشبة» بمعنى: ساواها[3].

وقد ورد في تفسير معنى الاستواء عن كِبار التابعين: فعن مُجاهد ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: «عَلا على العرش»[4].

وعن أبي العالية الرياحي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، يقول: ارتفع[5]، وكذلك عن الربيع بن أنس[6].

العرش: في اللغة له معنيان:

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» (٨٥/١٣).

(٢) وكقوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

(٣) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة (٨٨٩/٣)، و«الرد على الجهمية» لابن قتيبة (٩٠)، و«التبصرة في أصول الدين» لأبي الفرج المقدسي» (١٣١)، و«نكت القرآن» للقصاب (٤٢٧/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٢٠/٧).

(٤) البخاري (٤١٣/١٣).

(٥) «التفسير الصحيح» (١٣٢/١)، و«كتاب العرش» للذهبي (٩/٢).

(٦) «تفسير الطبري» (٤٢٩/١)، وانظر: أقوال التابعين في التوحيد (٩٧٤/٣).

الأول: سرير الملك[1]. **الثاني**: سقفُ البيت، أو ما عرش من بناء يستظل به. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فهو عبارة عن المعرش على غيره، والعالي عليه، فلهذا سموا كل مكان عالٍ عرشًا، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فدلَّ مما ذكره أهلُ اللغة: أن العرش اسم للسرير المرتفع، الذي يجلس عليه الملك، ويطلق على السَّقف[2].

وعرش الله ﷻ يتضمن المَعْنَيان: فهو محلّ استوائه تعالى، وهو سقف المخلوقات الذي علا عليها من جميع الوجوه والاعتبارات[3].

❁ **الشرح**: أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل القبلة من المؤمنين: أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سمواته، بائنٌ من خلقه، وعلمه محيطٌ بجميع مخلوقاته[4]، وهذه الصفة الجليلة الفعلية تقوم بمشيئته وإرادته، فهو استوى على العرش بعد أن لم يكن مستويًا عليه.

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ﷺ: «الاستواء هو: العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عاليًا رفيعًا قبل أن يخلق عرشه فوق كل شيء، والعالي على كل شيء، وإنما خصَّ الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء، وأرفعها، فامتدح الله نفسه بأنه على العرش»[5].

---

(١) يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

(٢) «تهذيب اللغة» (١/٤١٣)، و«كتاب العين» (١/٢٤٩). و«التبصرة في أصول الدين» (١٢٨).

(٣) «شرح كتاب التوحيد» لعبد الله الغنيمان (١/٢٥٦).

(٤) «الإبانة الكبرى» (٢/٤٣٥).

(٥) «العقيدة رواية أبي بكر الخلال» (١٠٨) بواسطة «تنقيح المداد» (١٠٣).

وقد تمدَّح الله بهذا الاستواء في سبع مواضع من كتابه، ولهذا ما ذكرها في موضع إلا كانت مصحوبة بما يُبهر العقول، وجعلها من صفات الجلال والكمال[1]، واستواؤه كان بعد أن خلق السموات والأرض وما فيهن، وكان في اليوم السابع كما تقدم، والاستواء بإجماع أهل اللغة والأثر قاطبة هو: العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار.

قال إمام الدنيا سيد الحفاظ: إسحاق بن راهويه ﷺ: «إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة، كما علم ما في السموات السبع، وما دون العرش»[2].

فربنا سبحانه علا بذاته على عرشه، واستقرَّ عليه كما يليق بجلاله.

قال العلامة الحافظ أبو أحمد القصّاب ﷺ: «... وخلق العرش لا لحاجة إليه، فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق»[3]، فسبحانه من ربٍّ عظيم لا يبلغه وصف واصف، ولا يدركه وهم عارف، أنه سبحانه خلق العرش، فوق سمواته، واختصه بالعلو والارتفاع كيف شاء، وهو مستولٍ[4] على جميع خلقه، وبائنٌ[5] منهم بذاته، غير بائن بعلمه، بل علمه محيطٌ بهم، يعلم سرهم وجهرهم، ويعلم ما يكسبون[6].

---

(١) انظر: «صفات الله ﷻ في ضوء القرآن» للعلامة محمد أمين الشنقيطي (٧١، ٧٤).

(٢) ينظر: «العلو للعلي الغفار» (٢/١١٢٨).

(٣) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٢٥٢، و«العلو» للذهبي (٢/١٣٠٣)، و«جمهرة عقائد السلف» (٣٩٦).

(٤) هذا من فقه الإمام الجليل، حيث جعل الاستواء على العرش: العلو والارتفاع، والاستيلاء والاحتواء: لجميع الخلق.

(٥) أي: منفصل خارج عنهم.

(٦) انظر: «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات» لشيخ الإسلام وشيخ مشايخ المقرئين الحفاظ: عثمان بن سعيد الداني ﷺ (١٢٩، ١٣٣، ١٣٩).

غنى الله تعالى عن العرش وحملته

استوى ربنا الجليل على عرشه العظيم ليس لحاجة إليه، ولا له إليه حاجة، بل له الغنى التام المطلق عن كل شيء، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، فهو الغني عن العرش وما دونه، وكلهم إليه فقراء، فهو الممسك للسموات والأرض والعرش وكل المخلوقات، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، فهو تعالى فوق العرش، مع حمله بقدرته للعرش، وحملته، فهو سبحانه هو الذي يحملهم، ويمسكهم بقدرته، ليس هم يحملونه، ولكن عظَّم بذلك نفسه، فهو غني عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره العرش، وعدم حصر العرش إليه[1]، كما قال الطحاوي في نظمه المشهور الذي تلقته الأمة بالثَّناء والقَبول، «وهو مستغن عن العرش وما دونَه، محيط بكلِّ شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»[2].

(١) «التبصرة في أصول الدين» لأبي فرج المقدسي (١٣٣). و«أصول السنة» لابن أبي زمنين (٨٤). و«شرح العقيدة الطحاوية» (٣١٣)، و«شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» أ.د. عبد الرزاق البدر (٧٥).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٣١٣).

الحكمة من استواء الله على عرشه

تقدَّم بيانه أن استواء ربنا على عرشه ليس عن حاجة، وإنما لحِكَم عظيمة اختصَّ بها سبحانه، والتي منها: «أن المؤمنين محتاجين إلى معرفة ربهم ﷻ، وكل من عبد شيئًا أشار إلى موضع، أو ذكر من معبوده علامة، فجبارنا وخالقنا إنما خلق عرشه ليقول عبده المؤمن إذا سئل عن ربه ﷻ أين هو الرحمن؟ قال: على العرش استوى.

قيل لذي النون المصري ﷺ: ماذا أراد الله تعالى بخلق العرش؟ فقال: أراد أن لا يتوه قلوب العارفين»[1].

أي أنهم يتوجهون إليه تعالى بالعبودية الكاملة القولية، والعملية، «بحيث يصير لقلبه صمدًا يعرج القلب إليه مناجيًا مطرقًا واقعًا بين يديه، فيستحيي أن يصعد إليه ما لا يحبه ولا يرضاه، بخلاف من لا يدري أين ربه، فإنه ضائع مشتت القلب، ليس لقلبه قِبْلةٌ يتوجه نحوها، ولا معبود يتوجه إليه ويقصده»[2].

هيئة العرش وخصائصه

هو سرير مُلْكه، وهو كالقبة على العالم، وسقف مخلوقاته جميعها من السموات والأرضين، وما فيهما، وما بينهما تحت العرش، مقهورون بقدرته ﷻ، وهو ذو قوائم، وجسم مجسم، وعظيم معظم، أمر الله ﷻ ملائكته

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/١٠٨، ١١٣).

(٢) انظر: «طريق الهجرتين» (٤٨). و«رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (٣٨).

بحمله، وتعبَّدَهم بتعظيمه، والطواف به، كما خلق في الأرض بيتًا، وأمر بني آدم بالطَّواف به، واستقباله في الصلاة[1].

وهو فوق الماء قبل أن يخلق الأرض والسماء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

عظم العرش وحملته

العرش أعظم المخلوقات وأعلاها وأكبرها وأوسعها[2] التي خلقها الله تعالى على الإطلاق، قال ﷺ: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ مُلْقاة بأرض فَلاة، وفضل العرش على الكُرْسي، كفضل تلك الفَلاة على تلك الحلقة**»[3]. وقال ﷺ: «**أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من حَمَلَة العرش، ما بينَ شحمة أُذُنِهِ إلى عاتقِه مسيرة سبعمائة سنة**»[4].

لما كان العرش أعظم وأوسع المَخْلوقات، المحيط بها من جميع الجِهات، فقد شرف بأن يستوي عليه تعالى بأوسع الصِّفات، وهي الرحمة والتي وسعت من في الأرض والسموات، فاستوى على أوسع المخلوقات،

---

(١) انظر: ابن كثير (٤/١٧٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (٣/٩٩٥).

(٢) الكرسي: هو بين يدي العرش. انظر «الرسالة الوافية» (١٣٩). فإذا كان الكرسي الذي قال عنه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فما بالك بعرشه، كما قال ابن عباس ﷺ: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحدٌ قدرَه»، رواه الحاكم (٢/٢٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «مختصر العلو» للذهبي (١٥٢). وهذا له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه من الغَيْبِيّات التي لا تعلم إلّا من الشارع الحكيم.

(٣) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩).

(٤) صححه الألباني في «مختصر العلو» (١١٤).

وهو عرشه، بأوسع الصِّفات، وهي رحمته. قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1].

(٢) صفة الكمال (النُّزُول، وَالهُبُوط، وَالتَّدَلِّي)[1] إلى السماء الدنيا

❁ **الأدِلَّة: ١)** حديث النزول المشهور قال ﷺ: «**ينزلُ رَبُّنا ﷻ كلَّ ليلةٍ إلى السَّماء الدُّنيا حين يَبْقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له**»[3].

٢) وقال ﷺ: «**...فإنه إذا مَضى ثلثُ الليل الأول، وهبطَ الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا، فلم يزَلْ هناك حتى يطلعَ الفجرُ...**»[4].

٣) وجاء عنه ﷺ: «**... إنَّ الله ﷻ يتدلَّى في جوفِ الليل الآخر، فيغفر إلّا ما كان من الشِّرْك والبغي...**»[5].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٣٤/١)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (١٢١/٢).

(٢) انظر هذه الروايات في الكتاب القيم «صفة النزول الإلهي» تأليف عبد القادر الغامدي الجعيدي (ص١٥٦). وقد جاءت الروايات في نزول ربنا ﷻ متواترة، نصَّ على ذلك الأئمة الحُفّاظ الأثبات الثِّقات، منهم ابن عبد البَرّ ﷺ «التمهيد» (١٣٧/٧)، والإمام الحافظ عبد الغني المقدسي في «الاقتصاد في الاعتقاد» (١٠٠). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «أحاديث النزول مُتواتِرة عن النبي ﷺ، رواه أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة بِمَحْضَر بعضهم من بعضٍ» «مجموع الفتاوى» (٦٠٧/٧). وقال ابن القَيِّم ﷺ: «نُزول الرَّبِّ تبارك وتَعالى تواترت به الأخبارُ عن رسول الله ﷺ، رواه عنه ثمانية وعشرين نفسًا...، وهذا يدلُّ على أنه كان يبلغه ﷺ في كلِّ موطنٍ، ومجمع» «مختصر الصواعق المرسلة» (٤٢٣).

(٣) البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

(٤) رواه أحمد في المسند (٩٦٧، ٩٦٨). وصحح إسنادَه أحمد شاكر (٢٥/٢ ـ ٢٦)، والألباني في إرواء الغليل (١٩٧/٢).

(٥) رواه أحمد في المسند (١٩٤٣٣)، وصحح الرواية عبد القادر الغامدي. انظر: صفة النزول الإلهي (١٠٢).

❁ **الشَّرْح**: النزول من صفات الله الجمالية والتي يفعلها باختياره ومشيئته، وهي من الصفات اللازمة التي تقوم به، وليست من الصفات المتعدية: كالإحياء، والرزق، والخلق، وقد تقدم أن من الأصول العَقَدية عند أهل السنة والجماعة إثبات صِفات الله تعالى كُلّها، على الوجه الذي يَليق بِرَبِّنا، فلا يفرقون بين صفة وأخرى، إذ إنَّها من جنس واحد صفات حقيقية تَليق بالله ﷻ، ولذلك فإن أهل السنة يؤمنون بنزول الله تعالى، غير أنهم لا يحدُّونه ولا يكيفونه، بل يَكِلُون علم ذلك إلى الرب سبحانه، وكذلك أن تنزيههم للحدِّ والكيفية لا ينفي حقيقة النزول، بل هو كما يليق بجلاله وكماله[1].

فنزوله سبحانه لا يماثل ولا يُشابه، ولا يُقارب بحال نزول المخلوقين، وحركاتِهم، وانتقالهم، فالمخلوق إذا نزلَ من علو إلى سفل زالَ عنه وصفه بالعُلُوِّ، وتبدلَ وصفُه بالسفول، وصار غيره أعلى منه.

ويجب أن يُعلم أن: الرَّبُّ العظيم ﷻ لا يكون شيء أعلى منه قط، فهو تعالى العلي الأعلى، مستوٍ على عرشه بنزوله، وهو مع ذلك: فوق السموات العُلا، وينزلُ متى شاء، وكيف شاء إلى السماء الدنيا، وهو العلي الذي لا أعلى منه، ولا شيء فوقه من الورى[2].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «القول في السنة التي عليها رأيت أهل

---

(١) انظر: «أصول السنة» (٩٩)، و«عقيدة الحافظ المقدسي» (١١٢)، و«الرسالة الوافية» (١٣٥).

(٢) انظر: نقض الإمام الدارمي على المريسي (١/٣٥٨)، و«مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤)، و«شرح حديث النزول» (١٥٣، ٢٣٢)، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني شيخ الإسلام (٢٦، ٤٨).

الحديث عليها... والله على عرشه سبحانه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء...» ثم ذكر سائر الاعتقاد[1].

أنواع النزول الإلهي

۞ **النوع الأول: النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة في شهر رمضان:**

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى ليمهل في شهر رمضان كل ليلة، حتى إذا ذهبَ ثلثُ الليل الأول هبطَ إلى السَّماء، ثم قال: هل من سائلٍ يُعطَى، هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يُتابُ عليه**»[2].

۞ **النوع الثاني: النزول إلى سماء الدنيا عشية عرفة:**

قال ﷺ: «**ما من يومٍ أكثر من أن يعتقَ الله تعالى فيه عبدًا من النّار من يوم عرفة، وإنه لَيَدنو، ثم يُباهي الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء**»[3].

قوله: «ليدنو»: «التعبير عن النزول بالدُّنُو لأنه يتضمنه»[4]، والحديث بلفظ (النزول) شاهد له، قال ﷺ: «**إذا كان يوم عرفة، فإن الله ﷻ ينزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيباهي بهم الملائكة**»[5]، وصحح الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية، قال ﷺ: «كما وصف نفسَه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث

---

(١) رواه الذهبي في «العرش» (٢/٢٩٠)، وفي «العلو» (٢/١٠٥٥)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٨٠).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٣)، وصححه الألباني وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين (ص٢٢٤).

(٣) مسلم (١٣٤٨).

(٤) «صفة النزول الإلهي» (ص١٥٦).

(٥) رواه البزار في مسنده (١١٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٤٠)، والحديث إسنادُه صحيح لولا عنعنة ابن الزُّبير، انظر: السلسلة الضعيفة (٢/١٢٥).

صحيحة، وبعضها في صحيح مسلم»[1]، ثم ذكر الروايات.

❁ النوع الثالث: النزول إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان:

قال ﷺ: «ينزلُ الله ﷻ ليلةَ النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لكلِّ نفس، إلّا إنسان في قلبه شحناء، أو مشرك بالله ﷻ»[2].

❁ النوع الرابع: النُّزول إلى السماء الدُّنيا بين يدي السّاعة:

عن ابن عَبّاس ﷺ أنه قال: «يُنادي منادٍ بين يدي السّاعة: أَتَتْكم السّاعة، فيسمعه الأحياءُ والأموات»، وفي لفظ: «كل حي ومَيِّت، ثم ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا، فيُنادي: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»[3].

❁ النوع الخامس: النزول إلى الأرض يوم القيامة[4]:

قال ﷺ: «إنَّ الله ﷻ إذا كان يوم القِيامة، ينزل إلى العِباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول ما يدعو به رجل جمع القرآن...»[5].

❁ النوع السادس: النزول من العرش إلى الكرسي يوم القيامة:

قال ﷺ: «يجمعُ الله الأولين والآخرين لِميقات يوم معلوم، وينزل الله في ظُلَلٍ من الغَمام من العرش إلى الكرسي...»[6].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٣٧٣).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٩)، وصححه الألباني (ص ٢٢٢).

(٣) رواه الدارمي في الرَّد على الجهمية (١٤٠). والعلو للذهبي، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. وهذا الحديث حكمُه حكم الرفع لأنه لا يقال بالرَّأي.

(٤) «صفة النزول الإلهي» (١٣٤).

(٥) رواه ابن حِبّان في صحيحه (٤٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٦) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/٥٢٠) (١٢٠٤)، وصححه الألباني في العُلُوّ (١١٠). وفي الترغيب والترهيب برقم (٣٥٩١).

النوع السابع: النزول لأهل الجنة:

قال ﷺ: «**أتاني جبريل وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذا الجمعة...**» وفيه: «**فإذا كان يوم الجمعة نزل ﷻ من عليين على كرسيه، ثم حفَّ المنابر بكراسي من ذهب...**»[1].

وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «سارعوا إلى الجمعة فإن الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة»[2].

فوائد مهمة في صفة النزول

(١) وقت النزول الإلهي:

إنَّ لِنُزول رَبِّنا ﷻ شأنًا عظيمًا، ليس شأنه كشأن غيره، فإن قدوم ملك السموات إلى هذه السماء التي تَلينا، ولا ريبَ أن للسموات وأفلاكها عند نُزول الرَّبّ تعالى إلى السماء الدنيا شأنًا وحالًا[3]، ولهذا تَرى خواصّ المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجَليل لألطافِ رَبِّهم ومَواهبه، فيقومون لِعُبوديته خاضعين خاشِعين داعين متضرعين، يرجون منه حصولَ مطالِبهم التي وعدهم بها على لِسان رسوله ﷺ.

ولَمّا كانت الروايات مختلفةً في ألفاظها، متنوعة في أنواعِها، في

---

(١) صححه الألباني في الترغيب والترهيب برقم (٣٧٦١) (٣/٥٢٥).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٦)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٦٠٢). والذهبي في «العلو» (١٤٣) وقال: موقوف حسن، وقال: أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» بإسناد جيد اهـ. وهو في حكم المرفوع.

(٣) انظر: مختصر الصواعق (٤٣١).

الدلالة على وقت النزول، كان لِلعُلَماء فيها أقوال في التوفيق بينها، وتنحصر هذه الأقوال في ستة أقوال[1]:

الأول: وهو النزول حين يبقى ثلثُ الليل الآخر.

الثاني: إذا مضى ثلثُ الليل الأول.

الثالث: إذا مضى ثلثُ الأول، أو نصف الليل.

الرابع: إذا مضى نصف الليل.

الخامس: النصف أو الثلث الأخير.

السادس: الإطلاق.

وأقوى هذه الأقوال وأرجحُها والله ﷻ أعلم هو القول الثالث[2]: وهو أن النزول أنواع ثلاثة: ففي بعض الليالي يكون النزول في أول الثلث الثاني، وبعضها في النصف، وبعضها في أول الثلث الآخر، وسبب ترجيح هذا القول أنه يجمع بين الرِّوايات، ويرفع التعارض بينها[3]، كما هو عند أهل الأصول معلوم، فإعمال الأدلة جميعها أولى من إهمال بعضها وإعمال بعضها، فإن هذا هو الأصل الذي ينبغي أن يصار إليه.

(٢) نزول الرَّبِّ ﷻ لا يُنافي علوَّه:

إنَّ هذه الأخبار التي جاءت عن المصطفى ﷺ في نُزول الرَّبِّ ﷻ لا تُنافي علوَّه واستقراره على عرشه، إذ لا يكون الرَّبُّ ﷻ إلا فوق كل

(١) انظر تفصيل أقوال أهل العلم في: «صفة النزول الإلهي» (١٥٧ ـ ١٦٨).
(٢) المصدر السابق (١٦٤).
(٣) المصدر السابق.

شيء، ولا يكون شيء أعلى منه قط، بل هو العليُّ الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عبادِه، ويدنو منهم، وينزل حيث شاء، فعُلُوُّه من لوازم ذاتِه، فلا تناقض بين نزوله وعلوه[1]، وذلك مما هو معلوم بالضرورة أن صفاتِه تعالى ليست كصِفات خلقه، ومن ذلك صفة النزول «فالمخلوق إذا نزل من علو إلى أسفل، زال وصفُه بالعُلُوّ، وتبدل إلى وصفِه بالسّفول، وصار غيره أعلى منه»[2]، فلا تستلزم لوازم الخلق لوازم الرَّبِّ تعالى، وفي قوله ﷺ: «... **حتى ينفجر الفجر ثم يصعد**»[3].

وفي لفظ: «... **حتى ينشق الفجر ثم يرتفع**»[4]، فصعوده ﷺ وارتفاعه إلى السماء من جنس نزوله، وإذا كان في نزوله لم يصر شيءٌ من المخلوقات فوقه، فهو سبحانه يصعد، وإن لم يكن منها شيء فوقه[5].

(٣) إن الله تعالى قادر أن يجمع من أفعاله ما يعجز غيره عن جمعه في نفس اللحظة[6].

وبيان ذلك: أن الرب تعالى ينزل إلى سماء أهل كل بلد في ثلث ليلهم ثم يصعد إلى عرشه إذا طلع فجرهم، وقد يكون في الوقت نفسه نازلاً إلى سماء غيرهم في ثلث ليلهم، أو بعد ذلك أو قبله، أو أكثر من

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/٥٢٢، ١٦/٤٢٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٢٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤).

(٣) رواه ابن عوانة في مسنده (٢/٢٨٨) من طريقين، أحدهما صحيح والآخر حسن إن شاء الله، من كلام عبد القادر الغامدي في كتابه النفيس «صفة النزول الإلهي» (٦٨، ١٨٠).

(٤) رواه ابن العاصم في «السنة» (٥٠٠ ـ ٥٠١)، قال الألباني: إسناده جيد (٢٢٠).

(٥) «شرح حديث النزول» (٣٩٤)، «ومجموع الفتاوى» (٥/٥٢٢).

(٦) تقدم ذكر هذه القاعدة وشرحها في ص ١١٤.

سماء، ولا يشغله شأن عن شأن، وهو قادر أن ينزل لأكثر من بلد ويصعد عن أكثر من بلد في وقت واحد، ولا يتعارض نزوله مع صعوده، ولو كانا في وقتٍ واحد، ينزل إلى هؤلاء وهو صاعد عن هؤلاء، وهو ﷻ يجتمع في حقه الضدَّان، لأنه تعالى على كل شيء قدير، وليس كالمخلوق الذي يجتمع فيه الضدان إذا أقبل على قوم أعرض عما سواهم[1].

(٤) إن الدعاء والاستغفار وغيرهما من العبادات يختلف فضلها بحسب الزَّمان والمكان[2].

(٥) يجب أن يفرق بين حقيقة الصفة وبين أثرها ولازمها، فحقيقة الصفة: نزول الله بذاته، وأثرها ولازمها وهو: الرحمة، والإجابة، والعطاء لعباده.

(٦) إن النزول الإلهي يشمل جميع ليالي العام.

(٧) إنَّ نزوله ﷻ إلى أقرب السموات إلى الأرض، دل من قوله: «**إلى السماء الدنيا**» والسموات سبع[3].

(٨) أن من قال بخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ورأي مخترم[4]، أي: أن السؤال عن ذلك من البدع المنكرة لأنه لم يأتي عن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ أن سأل عن ذلك، «فالذين أمسكوا

---

(١) ينظر: «شرح حديث النزول» (٣٢٠ ـ ٣٣٧)، و«مجموع الفتاوى» (٥٨٦/٦)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٥٤/٤)، و«صفة النزول الإلهي) (٥٣٣ ـ ٥٤٨).

(٢) «شرح الواسطية» عبد العزيز السلمان (٣٤٩/٢).

(٣) «شرح الواسطية» ابن عثيمين (٣٥٤/٢).

(٤) «شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (١٢٧).

عن الأمرين، فهم أسعَدُ بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به الكتاب، وسكتوا عما سكت عنه»[1]. فقد سئل الإمام الحافظ أبو جعفر الترمذي من رجل فقال له: «النزول كيف يكون، ويبقى فوقه علو؟، فقال: «النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[2].

(٩) إنَّ الاستجابة غير العَطاء، لقوله: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه**»[3].

(١٠) إن صفة النزول لربنا من أعظم النعم على المؤمنين، إذ إنها الباعث إلى تحرِّي هذا الوقت الجليل، وما يقتضيه من حسن العبودية، من التعرُّض لسؤاله، واستغفاره، الذي يقابله سبحانه من جميل الخيرات والثمرات، من اللذة والأنس به، والإجابة والعطاء من فضله.

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٥٧).

(٢) قال الألباني في «مختصر العلو» (٢٣٢) هذا إسناد رجاله كلهم ثقات.

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٣٨).

صفات الكمال

(المَحَبَّةُ، الرِّضا، الفَرَحُ، الضَّحِكُ، وَالعُجْبُ، وَالبَشْبَشَةُ) الجليلة

تمهيد:

قبل الكلام عن كلِّ صفة بمفردها، من المهم أن نذكرَ أهمية هذه الصفات الجليلة، الجميلة، الحبيبة إلى نُفوس أنبياء الله، ورسله، وأوليائه، فإن هذه الصفات الجليلة، من الصفات الفعليَّة، التي تتعلق بمشيئته وإرادته كما سبق، قد وصف بها الله تعالى نفسه، ووصفه بها رسله صلوات الله وسلامه عليهم، حيث اتفقت كلمتُهم وتواطأ خبرُهم على تعريف الرَّبِّ عز شأنُه المدعو إليه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، تعريفًا مفصَّلًا، حتى كأن العبادَ يُشاهدونه ﷻ، وينظرون إليه، وكان من جملة ما عرفوه: أنَّ لِرَبِّهم صفات الكمال، وأنه يُحِبُّ ويُحَبُّ، ويفرح بتوبة عباده وطاعتهم، ويضحك منها، ويرضى بها، ويثني عليهم بها، فهذا من جملة مطالب الإيمان المشتركة بين أهل المِلَل كلهم، والعبد متى ما تدبرَ كتابَ الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، أشهده هذا التدبُّر، أنهما مملوءان بوصف الرَّبِّ ﷻ، بالمحبة، والرضا، والفرح، والضحك، وأنَّ نصوصهما محكمةٌ غاية الإحكام، مبينةٌ بأقصى غاية البَيان.

ولا ريب أن العلم الضروريَّ حاصلٌ بأن هذه الصفات من أعظم صِفات الكمال، وأنه فرض على الأمة التصديق بها فرضًا لا يتم أصل الإيمان إلا به، فيقوى القلب بهذا الإيمان، حتى يصير الغيب بمنزلة المشاهد بالعين، فينشأ

من كمال الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته: مشهد الإحسان، وأن للعبد رَبًّا وإلهًا ومَلِكًا: خالِقًا حَيًّا، يُحِبُّ ويرضى، ويفرح ويضحك، وإن الكون بجملة ما فيه: آيات وشَواهد وأدلة، دَعا الله ﷻ عبادَه إلى النَّظَر فيها، والاستدلال بها على هذه الصفات، ومَنْ له خبرة بِمَذاهب الناس وأقوال السَّلَف: يعلم قطعًا أن سلفنا قد اجتمعوا على القول بِدِلالة الوحي والعقل على إثبات هذه الصفات، حتى إن أحدهم إذا روى لغيرِه حديثًا عن رسول الله ﷺ في ذِكْر صفة من هذه الصفات، تلقاه بالقبول واعتقد ثبوتَ تلك الصفة على القطع واليَقين، واعتقد ثُبوتَ مقتضاها بمجرد سَماعها من العدل الصادق، ولم يرتَبْ فيها، فإذا سُئِلَ عن معنى هذه الصفات، أجاب بقوله: معانيها كلها مفهومة، وأما كيفيتها فغير معقولة، إذ تعقُّل الكيفية: فرع العلم بكيفية الذّات وكُنْهها، وإخبار العبد عن رَبِّه ﷻ بهذه الصفات الكريمة، هو أحد نوعي ذِكْر أسماء الرَّبّ ﷻ وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عَمّا لا يليق به ﷻ(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضا والفرح...، من أعظم صفات الكمال"(٢).

واعلم يا رعاك الله: إذا أراد رَبُّنا ﷻ أن يكرمَ العبد، وينعم عليه بأجلِّ نِعمه وآلائه، دَلَّه عليها، وفتح له من مقتضاياها، وثمراتها، ويَسَّرَ له أسبابَها، وموجباتها، وأعانه على ذلك، فيمتلئ الفؤاد حُبًّا وشوقًا، ورجاءً إلى رَبِّه ﷻ. وهذا أجل الغايات، وأعلى الأمنيات.

(١) انظر: «جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات» د. وليد العلي (٣/١٧٧٤).
(٢) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٥١).

(١) صفة الكمال (المَحَبَّة) الجليلة

❁ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

٢) قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي، الغنيّ، الخَفِيّ**»[١].

❁ **الشَّرْح:** صفة المحبة: من أعظم الصفات التي يتعلق بها أولياءُ الله تعالى وأصفِياؤه، فهذه الصفة الجليلة هي التي تسابَق إليها الأنبياء، وشمَّر إليها الأولياء، «فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيِّبَة، والعقول الزاكية، أحلى ولا ألَذّ ولا أطيب ولا أنعم من محبته تعالى»[٢]، ولهذا «فإن الشأن كل الشأن في أن الله تعالى يحبّك، فإن محبته لك أعلى من أن تحبَّه أنت»[٣]، فهو تعالى يحبُّ أولياءه ويُحبونه، فهو الذي أحبَّهم، وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبُّوه أحبَّهم حُبًّا آخر، جزاء لهم على حبهم، وهذا هو الإحسان المحض على الحَقيقة، إذ منه السَّبب ومنه المسبب[٤].

والمحبة صفة من الصفات الفعلية المتجددة من تجدد الكمالات الاختيارية: ١) القائمة بمشيئة الله تعالى من جهة، ٢) والمتعلقة بما تقرب به العبد المؤمن من عبادات مرضية محبوبة لله تعالى من جهة أخرى، فليست المحبة متعلقة بكل الأفعال التي يقوم بها العبد، ولا متعلقة بكل

---

(١) مسلم (٢٩٦٥).

(٢) «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (٢/٢٨٠).

(٣) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٣١).

(٤) انظر: «جلاء الأفهام» (٢٤٣). و«فتح الرحيم الملك» (٤٠).

العباد، بل إنها متعلقة ببعض الأفعال دون بعض، وبعض العباد دون غيرهم»[1].

ولهذا فقد دَلَّ الكتابُ والسنةُ أنَّ الله تعالى قد علّق وصفَ المحبَّة بأعمال، وأقوال، وأفعال، وأخلاق، وأوصاف، وأماكن، وأنَّ محبته لذلك تتفاضل في هذه المحبوبات، بحسب كَمالِها[2].

* **فمن الأوصاف**: أنه تعالى يحب: المتقين، والمحسنين، والمؤمنين، قال ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيف**»[3][4].

* **ومن الأماكن**: المساجد، قال ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها...**»[5].

واعلم رعاكَ الله تعالى أن أعظمَ ما يحبه الله هو الثَّناء عليه بكماله: بِصِفاته العلا، وأسمائه الحسنى، وأفعاله التمام الهدى.

قال ﷺ: «**... ولا شيء أحبّ إليه من المدح من الله ﷻ، من أجل ذلك مدحَ نفسَه**»[6].

يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله: «فهو تعالى يحبّ نفسَه، ومن أجل ذلك يُثني على نفسِه، ويحمد نفسَه، ويقدِّس نفسَه، ويحب من يحبه،

---

(١) انظر: «المنحة الإلٰهية في أدلة الصفات الربانية» (٥٨٤).

(٢) «شفاء العليل» (١/٢٣٠)، و«مفتاح دار السعادة» (٣/٤١٢) بتصرف يسير.

(٣) مسلم (٢٦٦٣).

(٤) وفي الحديث «دليل على أنَّ محبَّته تعالى تتفاوتُ، فمحبته للمؤمن القوي، أعظم من محبَّتِه للضَّعيف».=

= «بهجة قلوب الأبرار» (٤١) لابن سعدي، و«شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢/٥٨٣).

(٥) مسلم (٦٧١).

(٦) البخاري (٧٤٠) (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

ويحمده، ويُثني عليه، بل كلما كانت محبة عبده له أقوى، كانت محبة الله تعالى له أكمل وأتمّ، فلا أحبّ ممن يُحبه ويحمده، ويُثني عليه»[1].

فقد دَلَّك رسولك الرؤوف الرحيم ﷺ على أحبّ الأعمال إلى الله تعالى على الإطلاق، وهو كما تقدَّم الثَّناء عليه سبحانه وحمده، ولا يكون كذلك إلّا بأسمائه، وصفاته، وجلاله، فشمِّر عن ساعِدِ الجِد، وادفع بخيول الذكر في ميدان السبق، وأنت خبيرٌ، بما نحن بصدده من هذه الدراسة يُعدُّ ذكرًا لصفاته جلَّ وعزَّ العلية، التي لا أجلَّ، ولا أجمل، ولا أعلى منها، على الإطلاق. فاحتسب.

(٢) صفة الكمال (الخُلَّة) الجليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

٢) قال ﷺ: «إنَّ الله اتَّخَذَني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا»[2].

۞ **اللغة: الخلة**: أصفى المودَّة وأصحها[3].

والخليل: المحب الذي ليس في محبَّتِه خلل، وسمي إبراهيم خليل الله بأنه الذي أحبه الله، واصطفاه، محبة تامَّة كاملة[4].

۞ **الشرح**: صفة الخلة، «هي أعلى أنواع المَحَبَّة، وليس فوق الخلّة شيء من أنواع المحبة أبدًا، وهي لم تثبت لأحد من البشر إلّا لاثنين هما:

---

(١) «طريق الهجرتين» (٤٣٠).

(٢) مسلم (٥٣٢).

(٣) «المفردات» (٢٩٠)، و«القاموس المحيط» (٣٩٢).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج (١١٢/٢).

إبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسَّلام»[1].

وقد تقدم في صفة المحبَّة أنها تتفاضل بحسب كمالها، ولهذا «سمي خليل الله لِشِدَّة محبة رَبِّه ﷻ، لِما قام له من الطاعة التي يُحِبُّها ويَرضاها»[2].

(٣) صفة الكمال (الرِّضا) الجليلة

❁ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩][3].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**رِضَى الله في رِضى الوالد، وسخط الله في سخط الوالد**»[4].

❁ **الشَّرْح:** رِضا رَبِّ العالمين هو مطلب كلِّ عابدٍ، وغاية كل سالك، فهو «الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوَها المُحِبُّون»[5].

والرِّضا صفة عَلِيَّة لله ﷻ، من الصفات الفعلية الكَماليَّة، الحقيقية، المتعلقة بمشيئته سبحانه، مترتبة على ما يقوم به العبد من أسباب، فهو سبحانه يَرضى عن أُناس، ولا يرضى عن أناس، وهو يرضى أعمالًا، ولا يرضى أعمالًا، فهو تعالى يرضى عن المؤمنين، وعن المقسطين، وعن الشاكرين، ولا يرضى عن الكافرين، والفاسقين، والظالمين، والثواب

---

(١) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٤١).

(٢) «تفسر ابن كثير» (١/٧٦٥).

(٣) وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(٤) «صحيح الترمذي» (١٨٩٩).

(٥) «تفسير السعدي» (٣٤٤).

دليل على ثبوت الرِّضا، فهو تَعالى يُثيب الطائعين، ويجزيهم على أعمالهم وطاعتهم(١).

وقد دَلَّت النصوص «أنه تعالى يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل»(٢).

أما العمل فهو نوعان:

إما بالقول: كالشُّكر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧](٣).

«ففي هذا دليل على أنَّ رِضى الله ﷻ قد ينال بأدنى سبَب، قد ينال بهذا السبب اليسير...»(٤)، وهذا والله غاية الفضل من ربنا الجليل.

وبالفعل: المجاهدة بالطاعة ابتغاء الرِّضى من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. «ويتعلق بالعامل، مثل قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]»(٥)، ومعناه: رضي عنهم أنفسهم، ورضي أفعالهم، ومقام رضاه سبحانه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، ورضوا عنه: فيما منحهم من الفضل العميم، والرضا به: أصل الرضا عنه، والرضا عنه: ثمرة الرضا به»(٦).

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧)، و«المُحاضرات السنية» (١/٢٠٨).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧).

(٣) وكما في الحديث: «إنَّ الله يَرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها». رواه مسلم (٢٧٣٤).

(٤) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (١/٤١٥).

(٥) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧). وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(٦) «اللسان» (١٤/٣٢٤)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٧٣٦).

رضى الرب هو أعظم ما يدركه المؤمنون في جنات النعيم

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فقوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: «أي: رضى الله عنهم أكبر، وأجلُّ، وأعظم، مِمّا هم فيه من النَّعيم في الجنة، وهذا الجزاء على رضاهم عنه في الدنيا، فهو سبحانه رضي عنهم، فأرضاهم، فرضوا عنه»[1].

فمنه سبحانه السبب، وهو: أن وفقهم لمرضاته، ومنه المسبب: بأن رضي عنهم فجزاهم خير الجزاء.

«ثم يجدد لهم رضي في نفسه لا سخط بعده أبدًا، وذلك حين يتنعمون برؤية وجهه الكريم»[2]، وكلامه الجميل، كما في الحديث قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! يقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسعدَيْك، والخير في يدَيْك، فيقول: هل رَضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رَبَّنا وقد أعطيتَنا ما لم تُعط أحدًا من خلقِك، فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رِضْواني فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبدًا**»[3].

وفي رواية: «**هل تشتهون شيئًا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربَّنا ما خير مِمّا**

---

(١) «تفسر ابن كثير» (٢/٥٠٢)، و«ضوء المنير في التفسير» لابن القيم (٢/٤٧٥).

(٢) «المنح الإلَهية» (٦٤٤).

(٣) البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨). ومسلم (٢٨٢٩).

أعطيتَنا! قال: رضواني أكبر»(١).

فانظر رَعاكَ الله تعالى إلى كَمال وعِظم رِضاه سبحانه، إذ إن يسير اليَسير من رِضوانه أكبر من الجِنان وما فيها، لأنَّ رِضاه صفة من صِفات الله ﷻ، والجنةُ خلقُه وثَوابُه، وهذا الرِّضى جزاء على رِضاهم عنه في الدُّنيا، ولَمّا كان هذا الجزاء، أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال(٢).

(٤) صفة الكمال (الفَرَح) الجليلة

۞ الأدِلَّة: قال رسول الله ﷺ: «للهُ أشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عبدِه حين يتوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلتِه بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيِسَ منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظِلِّها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذَ بخِطامِها، ثم قال من شدَّة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا رَبُّك، أخطأ من شِدَّةِ الفَرَح»(٣).

۞ الشَّرْح: صفة الفرح من أوصاف الله تعالى الكَمالية، لأنَّ رَبَّنا لا يوصَف ولا يقوم به من الأفعال إلا الأكمل، والأحسن، والأطيب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وفرح الرب سبحانه لوازمه ليست كلوازم الخلق، والذي يكون في الغالب عن طيش وسفه وخفة، أما الله تعالى ففرحه «يدلُّ ويتضمن على لطف الله تعالى بِعِباده، ورحمته لهم، حيث يوفق من يَشاء من عبادِه لِيَتوبوا، فإذا تابوا تقبلَ توبتَهم، وفرح بها

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذَّهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا. «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٦).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/٢٢٦)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٣٤٨).

(٣) البخاري (٦٠٣٨) (٦٠٣٩)، ومسلم (٢٧٤٤) (٢٧٤٦).

فرحًا شديدًا ولطيفًا في وقتٍ واحد، إذ يرد إليه عباده الشاردين من طاعته لِئَلّا يضيعوا، وهو الذي لا تضرُّه معصيتُهم، ولا تنفعه طاعتُهم»[1].

وقد وصف نبينا ﷺ فرحَ رَبِّنا العظيم كما تقدم بأعظم فرح يخطرُ على البال، أو يدور في الخيال، فلو كان في الوجود فرح أعظم، وأكمل من هذا الفرح لَبَيَّنَه ﷺ، فهو «فرح لا يشبه فرحَ أحد من خلقه، لا في ذاتِه، ولا في أسبابِه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمتِه وإحسانه، التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائب المُنيب»[2].

وفرحه تعالى: «فرحة إحسان، وبِرٍّ، ولطف، لا فرحة مُحتاج إلى شيء، أو منتفع به»[3][4].

فينبغي للعبدِ أن يتأمَّل عظم شأن فرح الرَّبِّ، يقول ابن القيم ﷺ: «فإن هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله، والإعراض عنه، ولا يطلع عليه إلّا من له معرفة خاصة بالله تعالى، وبأسمائه، وصِفاته، وما يَليق بعزِّ جَلالِه»[5].

(٥) صفة الكمال (الضَّحِك) الجليلة

❁ **الأدِلَّة:** ١) قال رسول الله ﷺ: «**يتجلَّى رَبُّنا ضاحِكًا يومَ القِيامة**»[6].

٢) عن أبي رزين ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ضحكَ رَبُّنا ﷻ من**

---

(١) ينظر: «الصفات الإلَهية» لمحمد بن أمان الجامي (٢٩٧).

(٢) «شرح الواسطية» للسعدي (٢/٣٥٩). و«شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٦٠).

(٣) «مدارج السالكين» (١/١٩٥) بتصرف يسير.

(٤) خلاف فرح في المخلوق الذي هو على أنواع، فقد يكون فرحه خفة، وسرور، وطرب، وقد يكون فرح أَشَرٍ، وبَطَرٍ، فالله ﷻ منزَّه عن ذلك كلِّه. «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٦٠).

(٥) «المدارج» (١/٢٣١).

(٦) صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦/٣١٨).

قُنوط عباده، وقرب غيره»، فقال أبو رزين: أو يضحك الرَّبُّ ﷻ؟! قال: «نعم»، فقال: لن نعدم من رَبٍّ يضحك خيرًا[1].

❁ **الشَّرْح**: يوصف رَبّنا ﷻ بصفة الضحك الجَليلة، فهو ضحك حقيقي ليس له مثيل ولا شبيه من ضحك المخلوقين، عندما يستخفهم الفرح، أو الطرب، أما ضحك رَبِّ العالمين فهو نوع آخر، ضحك يليق بكمالِه، وجَلاله، وعظمته، فلا يدرك حقيقته، لأنه تبع ذاته، فكما لا تدرك، فكذلك حقيقة صفاته أو كيفيتها والتي منها هذه الصفة، وإنما يدرك المعنى العام الكلي للصفة[2]، على مفهوم ومقتضى اللغة الذي نزل بها القرآن الحكيم.

والضحك فعلٌ جليل من أفعال الله تعالى متعلق بسبب يقتضي حدوث شيء على معنى يخالف نظيره، ويقل وقوعه، ويعظم شأنه[3].

«وهو سبحانه يضحك كما يشاء، ويقصد بضحكه أولياءه عندما يعجبه أفعالهم، ويصرفه عن أعدائِه بما يسخطه من أفعالِهم، فهو يضحكُ إلى قومٍ، ويصرفه عن قومٍ، ولا يضحك إلّا عن رِضا بما يأتونه من عبوديته»[4]، فهو يضحك سبحانه من عبده حيث يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبّه، فيضحك سبحانه فرحًا ورضًا، كما يضحك من عبده إذا ثار عن

---

(١) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٠).

(٢) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٦٨). و«الصفات الإلهية» (٣٥٩).

(٣) ينظر: «المنحة الإلٰهية» (٦٧٦).

(٤) انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٢/٥٦٣)، و«رد الدارمي على بشر المريسي» (١٧٥)، و«مجموع الفتاوى» (٥/٦١).

وطائه وفراشه ومضاجعةِ حبيبه إلى عبوديته، يتلو آياته ويتملقه...»[1]، وهكذا تجده سبحانه يوفق من شاءَ من عباده ليأتي بِمَرْضاته فيتقبل منه، ثم يفرح به حتى يضحك إليه رضًا، ومحبة، سبحانك ما أعظم شانك..!![2] إذ منه السبب، ومنه المسبب.

وقد حقق الصحابة ﷺ غاية الإيمان بهذه الصفة وكما في غيرها، وأثبتوها وبينوها لغيرهم بيانًا عجيبًا، بأكمل وأجمل ما يكون من البيان: قولاً وفعلاً، تعليمًا منهم وإرشادًا لغيرهم، وذلك لعلمهم بعظم وجلال شأن صفات ربنا سبحانه.

كما في قوله أبي رزين ﷺ للنبي ﷺ: «أَوَيضحك الرب» فلم يسأل عن الكيفية، وإنما اتصاف الله تعالى، ثم بعد أن علم حقيقة وصف الرب بذلك أثبت أثر ولازم هذه الصفة الجميلة بقوله: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا»، أي: لن نفقد الخير والإحسان أبدًا من ضحكه تعالى، فإن الخير كل الخير سيأتي من ضحكه.

وأما البيان منهم في الفعل والوصف والقول، كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، يرفعه إلى النبي ﷺ عن آخر أهل الجنة دخولًا: «**... فيقول الله تعالى له: اذهبْ فادخل الجنةَ، فإن لكَ مثل الدنيا وعشرة أمثالِها، أو إنَّ لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي، أوَ تَضحك بي، وأنت الملك؟!**»، فضحكَ ابنُ مسعودٍ، فقال: ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مِمَّ تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسولُ الله ﷺ، فقالوا:

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/٢١٦).

(٢) «الصفات الإلٰهية» للشيخ محمد أمان الجامي (٢٩٣).

مِمَّ تضحك يا رسول الله؟! فقال: «من ضَحِكِ ربِّ العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رَبُّ العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكنِّي على ما أشاء قادر»(١).

وعن علي بن ربيعة قال: رأيتُ عليًّا ﷺ أتي بدابَّة ليركبها، فلمّا وضعَ رجلَه في الرِّكاب قال: بسم الله...، ثم قال: (سبحانك لا إله إلا أنت، قد ظلمتُ نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذُّنوبَ إلى أنت)، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ ردفًا لرسول الله ﷺ، ففعل كالذي رأيتني فعلت، ثم ضحك، قلت: يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: «قال الله ﷻ: عجبٌ لعبدي، يعلمُ أنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري»(٢).

(٦) صفة الكمال (العُجْب) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة:** ١) قال سبحانه: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

٢) قال ﷺ: «لقد عجبَ الله ﷻ ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانَةٍ»(٣). وفي لفظ: «قد عجبَ الله من صَنيعكما بضيفكما الليلة»(٤).

---

(١) انظر الروايات: البخاري (٦٥٧١، ٧٥١١)، ومسلم (١٨٦، ١٨٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٧٥٣، ٩٣٠، ١٠٥٦)، وصحح هذه الروايات العلامة أحمد شاكر ﷺ (١/٤٩٢. ٢/٧. ٥٥).

فانظر رحمك الله تعالى كيف كان اقتداءُ الصحابة ﷺ بالنبي ﷺ، قولًا، وفعلًا، وتقريرًا. في باب تحقيق صِفات الرَّبِّ ﷻ. وتأمل في ضحك النبي، ثم الصحابة، فإن فيه فيه حسنُ البَيان في تقرير وتحقيق المَعاني للصفة، وتعليمها لغيرهم، وهذا من أجَلِّ الأساليب في التعليم وأيسرها في تثبيت المَفاهيم، وهذه سنة عظيمة قد هُجرت، فرحم الله تعالى من أحياها، فتشبَّثْ رعاكَ الله تعالى بهذا الهُدى القويم.

(٣) البخاري (٣٧٩٨)، (٤٨٨٩).

(٤) مسلم (٢٠٥٤).

۞ **اللغة: العجب، والتعجب**: هو استغراب الشيء، ويكون بسببَيْن:

السبب الأول: خفاء الأسبابِ على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه، بحيث يأتيه بغتة بدون توقُّع، وهذا مستحيل على الله تعالى، لأن الله تعالى بكل شيء عليمٌ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه.

السبب الثاني: عظم ذلك عندَه، وكبره لديه لخروج الشيء عن نظائرِه، وعما ينبغي له أن يكون عليه، فهو استعظامٌ للمتعجَّب منه، لِخُروجه عن نظائره، تعظيمًا له، والله تعالى يُعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سَبِبه، أو لعظمته، وهذا ثابت لله تعالى، لأنه ليس عن نقصٍ من المتعجَّب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه[1].

۞ **الشرح**: العجب من الصفات الفعلية الكمالية على الإطلاق، كسائر صِفاته العلا سبحانه، فهي تتجدد حسب مشيئته الواسعة، وإرادته النافذة، والتي تصدر عن حكمته الباهرة المقترنة بسعة علمه تعالى.

وعجب ربنا لا يشابه عجب المخلوق من كل الوجوه: لا في أسبابه، ولا في بداياته، ونهاياته، وغاياته، «فليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خَفاء في الأسباب، أو جهل بِحَقائق الأمور، كما هو الحال في عجب المخلوقين، لأن التعجب في حَقِّ الإنسان منشأه غرابة الفعل، وأنه حدث على شكل يُثير العجب والغَرابة، لأن الإنسانَ فوجِئَ بالفعل الذي هو محلّ التعجب، إذا كان هذا هو مثار التعجب عند المخلوق فإن الله ﷻ مُنَزَّهٌ عن

(١) انظر: «النهاية» (٥٩٣)، و«مجموع الفتاوى» (٦/١٢٣)، و«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٢/٤٣٣)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٧٨).

هذه المعاني، لأنه سبحانه هو الذي قَدَّرَ ذلك الفعل الذي هو محلّ التعجُّب، فلا ترد في حَقِّه سبحانه هذه المَعاني، وتلك اللوازم لتعجب الإنسان»[1]، فعجبه ﷻ هو معنًى (يليق بكماله وجَلالِه) يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمتِه، وعند وجود مقتضيه (من الأسباب)، وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه[2].

«وصفة التعجب قد تدلُّ على محبة الله تعالى للفعل الذي هو محل التَّعجُّب، وهي في هذه الصورة قريبة من معنى الفَرَح»[3].

«وقد يدلُّ التعجب على بُغْضِ الله تعالى للفِعل الذي هو محل التعجب، ومن أمثلة هذا النوع: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد: ٥]، وقوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢][4] على قراءة الضم، وهو عجبٌ من كفرهم مع وضوح الدّلالة[5].

(٧) صفة الكمال (البَشَاشَة) الجليلة

❁ الأدِلَّة: قال رسول الله ﷺ: «ما توطَّنَ[6] رجلٌ مسلم المَساجِدَ للصَّلاة، والذِّكْر، إلا تَبَشْبَشَ الله له، كما يَتَبَشْبَشُ أهلُ الغائِبِ بِغائِبِهِمْ إذا قدم عليهم»[7].

---

(١) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٧٤)، و«الصفات الإلّهية» للجامي (٢٩٤ ـ ٢٩٥).
(٢) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٧٤).
(٣) «الصفات الإلّهية» للجامي (٢٩٤).
(٤) «الصفات الإلّهية» لأمان الجامي (٢٩٦).
(٥) «مجموع الفتاوى» (٦/١٢٣).
(٦) توطَّنَ؛ أي: التزمَ وداومَ على حُضورها.
(٧) صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٨٠٠)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥).

❁ **اللغة: البَشّ**: طلاقة الوجه، واللطف في المسألة، والإقبال على أخيك، تقول العرب: «فلان هشّ بشّ»: إذا كان منطلق الوجه طيب[1][2].

❁ **الشرح**: أخبر نبيُّنا محمد ﷺ أن رَبَّنا ﷻ موصوف بالبشاشة، وقد علقها بسببٍ، وهو ملازمة العبدِ لِلمساجد لأنها أحب البقاع إلى الله في الأرض، وقد تقدم بيان: أن كلَّ صفة علقت بسبب فهي فعليَّة، فمتى وُجِدَ سببَ التبشبش منه تعالى تبشبش بعبده المصلي كما يَليقُ بِجَلاله، وعلىائِه.

وهذه الصفة الجميلة معناها «يقرب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيتُ لِفلان بشاشة، وهشاشَةً، وفرحًا، ويقولون: فلان هَشٌّ بَشٌّ فرحٌ، إذا كان منطلقًا»[3].

وقد تقدم في القواعد أن «صفات الله تعالى لا يقع فيها الترادف المطلق»، فإن الصفات مهما تقارب معناها فإن لكل صفةٍ خاصيَّة غير الأخرى، ومن هذه الصفات البشبشة، فهي قريبة من الفرح، لكن ليس هي نفسها، وهي من صفات الجمال الكمال، قوله: «إلا تبشبش الله له»، أي: «فرح به سبحانه، وهذا (يتضمن) أن الله تعالى يقبل عليه: ويتلقاه ببره وإكرامه»[4] وتوفيقه للطاعة، وإغماره بالرأفة والرحمة.

---

(١) «كتاب العين» (١/١٤١). و«الصحاح» (٩٣). و«إبطال التأويلات» (٢٨).

(٢) قال ابن الأثير ﷺ: «وهذا مثل ضربه لتلقيه إياه ببرِّه، وتقريبه، وإكرامه» «النهاية» (٧٨)، قوله: «هذا مثل ضربه»: هذا من التأويل الفاسد بل هي صفة حقيقية كما أثبتها السلف من أهل السنة. فإن من مقتضاها ولوازمها: أن الله تعالى يتلقاه ببره، وإكرامه، وإحسانه.

(٣) «إبطال التأويلات» (١/٢٤٣).

(٤) انظر: «فيض القدير (٧/٣٣٤).

والمعنى: «أن التبشبش يبتدئ من وقت خروج المصلي من بيته إلى أن يدخل المسجد»[1]، وهذه مزية جليلة للمصلين في المساجد.

صفات الكمال (النَّضَب، والأَسَف، والسُّخْط، والغَيْظ)

تمهيد:

لَمّا كانت الصفات التي تقدمَ شرحُها وبيانُها صفات حبيبة إلى النفوس، موقدة إلى شد الهمم والرجاء والأمل، ناسب أن يعقبها ذكر صِفات تقابلها، تتضمَّن معاني القهر والانتقام، مع كمال العدل، تستوجب الخوف، والرهبة، حتى يُجمع بين الرجاء والخوف، وهي طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب، وهكذا ينبغي للسالك إلى الله ﷻ في هذه الدّار، أن يكون الخوف والرجاء له كجناحي الطير، يجمع بين الرغبة والرَّهبة، فلا يغلب واحدًا على الآخر، فلا يغلب الرجاء فيقع في الغُرور وطُول الأمل، ولا يغلب الخوف فيقع في القنوط واليأس.

وهذا التنوع والتعدد في صفات ربنا الجليلة تدلُّ دلالة قطعية على تفرُّده في أوجه الكمال سبحانه، فإن الصفات إذا كثُرت وتنوَّعت دلت على عظم وكمال الموصوف.

«وهذه الصفات إنما تقع بأسباب تناقض موجب ما يُحِبُّه الله تعالى ويَرْضاه، فهو سبحانه كما يحبّ أسماءه وصفاته، ويحب آثارَها وموجبها: فهو يكره ما يُضادها، ووجود هذه الصفات مستلزم لِما يحبه الله تعالى ويَرْضاه، لِذا

(١) المصدر السابق.

لم تبق هذه الصفات مقصودة بعدما يحصل عنها من الآثار والمُوجِبات التي يُحبُّها الله ﷻ ويَرْضاها، لا لِنفسها، ولا لغيرها، فتزول ويخلفها أضدادُها، التي هي أحبّ إلى الله تعالى منها، وهي موجب أسمائه وصِفاته.

وهذه الصفات لها أعظم الأثَر على أولياء الله تعالى المُتَّقين، لأنهم إذا شاهدوا أحوالَ أعداء الله تعالى ورسله من العُصاة والظَّلَمَة وما نزلَ بهم من البَطْش والانتقام والعُقوبة والإهانَة والإبعاد والخُذْلان، ازدادوا خُضوعًا، وذُلًّا، وافتقارًا، وانكسارًا، وله عبادة، وبه استعانة، وإليه إنابة، وعليه توكُّلًا، وفيه رغبة، ومنه رهبة، فالعبد إذا علمَ أنَّ الله ﷻ متَّصِفٌ بهذه الصِّفات: تفكَّرَ في أوصافِه المُخالِفة لأمره، فاستحى من رَبِّه تعالى أن يَراه، أو يسمع منه ما لا يحبُّه، ولا يَرضاه من قبيح أفعاله وأقواله، وأعماله الدالَّة على هوانه ونُقصانه.

فالله تعالى مع اتِّصافه بهذه الصِّفات القهرية: إلّا أنه لا يخرجُ عن عَدْلِه، فهو يُجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف في الدُّنيا، ويخفف به عنه يوم القِيامة، فالله تعالى لا يُضيع على العبد بما يعمله من الإحسان، ولو كان عند رَبِّه من أبغض بني الإنسان، بل شرٌّ وأضل سَبيلًا من الحيوان»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصِّفات» (٣/١٨١١ ـ ١٨١٤).

(٨) صفة الكمال (الغَضَبُ) الجليلة

۞ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٢].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**لَمّا خلقَ الله الخلقَ كتبَ في كِتابِه فهو عندَه فوق العَرْش: إنَّ رَحمَتي سَبَقَتْ غَضَبي**»(١).

۞ **الشَّرْح:** وصف رَبّنا نفسَه ورسولُه الأمين ﷺ بصفة الكمال العليَّة الجليلة (الغضب)، قلنا صفة كَمال لأنَّ غضبَه ﷻ «خِلاف غضب خلقِه، فإن غضبَ المخلوق هو غليان دَمِ قلبِه، طلبًا للانتقام، والله يتعالى عن ذلك»(٢)، وأمَّا غضب الرَّبِّ فليس له مثيل، ولا شبيه من الخلق أجمعين، لا في بداياته ولا في أسبابه، ولا في غاياته، ولا في موجِباته، وآثاره، قال الطحاوي ﷺ في عقيدته: «والله يغضب ويرْضَى لا كأحدٍ من الوَرَى»(٣).

فغضب المخلوق غالِبًا ما يكون عن سَفَهٍ، وجهل، وظلم، وطيش، وهذه المقتضيات واللوازم لا تلزم صفةَ الخالِق، إذْ لا مُناسبة بين صفات الخالق وصِفات المخلوق من كل وجهٍ، حتى تُقاس صفاتُه سبحانه على صِفاتهم.

وغضب رَبِّنا ﷻ له شأن عظيم، وخطرٍ جسيم، حيث يترتَّب عليه

---

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١). وفي حديث الشَّفاعة العظيم في اعتذار الأنبياء حين يطلب الناس منهم الشفاعةَ عند الله تعالى، فكان كلٌّ واحد منهم يقول: «إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يَغضبَ بعدَه مثله...». البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) «شفاء العليل» (٢/٥٩٦).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٢٤).

العَذاب والهلاك، وإحلالُ أنواع العُقوبات، وصنوف المثلات في أي وقت شاء، للأمم المشركة بالله تعالى، المستكبرة عن عِبادته[1].

وينبغي أن يفرق بين صفة الغضب القائمة بالرَّبّ، وبين أثر وموجِب الغضب، فإن «القرآن مملوءٌ بذِكْر سخطه وغضبه على أعدائه، وذلك صفة قائمةٌ به، ويترتَّبُ عليها العذابُ واللعنةُ، لا أن السّخط هو نفس العَذاب واللعنة، بل هما أثر السّخط والغضب، وموجبهما، ولهذا يفرَّق بينهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ففرَّق سبحانه بين عَذابه وغضبه ولعنته، وجعلَ كلَّ واحدٍ غيرَ الآخر»[2].

وقد تقدم بيانه: أنَّ صِفات الرَّبِّ تعالى الفعلية تتفاوت على قدر ما تقتضيه أسبابُها، ولهذا فإنها تحدث في وقتٍ دون وقت، وغضبه سبحانه كذلك، فإن أشد ما يكون في يوم الدِّين، ولذلك فإن «غضبه تعالى الذي سيكون في عرصات القيامة غير مسبوقٍ بمثلِه، وغير ملحوقٍ بمثلِه»[3]، كما تقدم (ذكر حديث الشفاعة الطويل)، وهو يخبر عما يقوله الأنبياء اعتذارًا للناس عندما يتقدمون إليهم لِطَلب الشَّفاعة منهم، بدئاً بآدم أبو البشر، ثم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ، كما أخبر بذلك سيد البشر ﷺ أنَّ كلَّ واحد منهم يقول: «**إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، اذهبوا إلى غيري**»[4] إلى آخر الحديث.

---

(١) «حادي الأرواح» (٤٥٣ ـ ٤٥٤).

(٢) «مدارج السالكين» (١/٢٧٨).

(٣) «اللآلئ البهية» (١/٣٦٩).

(٤) تقدم تخريجه.

والحديث يدلُّ دلالة واضحة على أن إثبات صِفة الغضب من دِين الرُّسُل جميعًا، لأن الشرائعَ كلها متفقة في الأصول، بَيْد أنَّ الله جعل لكلِّ واحدٍ منهم شِرْعةً ومنهاجًا[1].

(٩) صفة الكمال (السُّخْط) الجليلة

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

٢) وقال ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك وسعديك... فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأي شيءٍ أفضلُ من ذلك؟** (أي من النعيم الذي هم فيه) **فيقول: أحِلُّ عليكم رِضْواني، فلا أسخط عليكم بعدَه أبدًا**»[2].

❁ **اللغة: السخط**: نقيض الرِّضا، وهو الكراهية للشيء، وعدم الرضا بعد، يقال: تسخط، وسخط الشيء سخطًا إذا كرهه[3].

❁ **الشَّرْح**: السخط قريبٌ من معنى الغَضَب، فهو من الأفعال الاختياريَّة، ومعنى الاختيارية أنها تقع باختياره ومَشيئته، فتكون في وقتٍ دون وقتٍ، وفي حالٍ دون حالٍ، على مقتضى حكمتِه الباهرة، ومشيئته النافذة.

وهذا النوع من الصفات أي: السخط، والفرح، والضحك، والعجب،

---

(١) «الصفات الإلَهية» (٢٩٩).

(٢) البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) «كتاب العين» (٢/٢٢٦)، و«النهاية» (٤٢٢).

والغضب... من الصفات الفعليَّة اللازمة، يعني: أنها غير متعدية، لم يفعلها في غيره؛ أي: لم تتعدَّى فيهم، فالفرح لم يفعله تعالى في غيره، وكذلك العجب لم يفعله في غيره[1]».

وعلى هذا فإن سخط رَبِّنا الجَليل يقع منه عند وجود مقتضيه من الأسباب، سواء كانت هذه الأسباب قولية، أو أسباب فعليَّة، فمن الأول: كما جاء في قول النبي ﷺ: «**لا تقولوا لِلْمُنافِق: سيد، فإنه إنْ يك سيدًا، فقد أسخطتم رَبَّكم ﷻ**»[2].

والفعلية: نُشوز الزوجة في حَقِّ زوجها[3].

(١٠) صفة الكمال (الغيظ) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه، وأغيظه عليه، رجل كان يسمي ملك الأملاك، لا ملك إلا الله**»[4].

❁ **اللغة: الغيظ**: أشد الغضب، ومنه تغيظت الهاجرة: اشتدَّ حميمها[5].

❁ **الشَّرْح**: صفة الغيظ من الصفات الكمالية التي أثبتها أهل السنة على ما يليق بكمال ربنا، وعليائه، قولنا كمالية: لأنها في مقابلة من اتصف

---

(١) انظر: «اللآلئ البهية» (٢/٣٩).

(٢) «صحيح أبي داود» (٤٩٧٧).

(٣) قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها». مسلم (١٤٣٦).

(٤) مسلم (٢١٤٣).

(٥) «المفردات» (٦١٩)، و«القاموس المحيط» (٩٦٨) و«اللسان» (٧/٤٥).

بأشدِّ الأوصاف الذميمة، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل شيخ رحمه الله: "قوله: (أغيظ رجل) هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس بشيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا وجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل...، والباب كله واحد، وهذا هو قول أهل السنة من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم"(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "(أغيظ): من الغيظ وهو الغضب، أي: إن أغضب شيء عند الله وأخبثه هو هذا الاسم (ثم قال): فيه إثبات الغيظ لله عز وجل، فهي صفة تليق بالله كغيرها من الصفات، والظاهر: أنها أشد الغضب"(٢).

(١١) صفة الكمال (الكُرْه) الجليلة

❁ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة: ٤٦]

٢) قال ﷺ: «**إنَّ الله حرَّمَ عليكم عُقوقَ الأمَّهات، ومنعًا وهات، ووأد البَنات، وكره لكم: قيلَ وقال، وكثرة السُّؤال، وإضاعةَ المالِ**»(٣).

❁ **اللغة:** الكره: هو نفرة الطبع من الشيء، وهو خلاف الرضا والمحبة(٤).

❁ **الشَّرْح:** يوصف رَبّنا عز وجل بأنه يكره، «وكراهة اللهِ عز وجل للشيء تكون للعمل كما في الآية ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وكما

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (٣٨٧).
(٢) «القول المفيد» (٩/٣).
(٣) البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (١٧١٥).
(٤) «مقاييس اللغة» (٨٠٦).

في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]، وتكون كراهتُه سبحانه أيضًا للعامل، كما في الحديث: «إنَّ الله تعالى إذا أبغضَ عبدًا نادى جبريل: إنِّي أبغض فلانًا فأبغِضْه[١]»[٢].

وتكون كذلك في الوصف: كما قال رسول الله ﷺ: «... وإنَّ الكافر إذا بُشِّرَ بعذابِ الله، وسخطه، كرهَ لِقاءَ الله، وكرهَ اللهُ لِقاءَه»[٣].

وفيه بيان: أن الله تعالى يُعامل عبادَه بحسب مُعاملتهم له، عدلًا وقسطًا.

وكراهته سبحانه تتعلق كذلك بالمَكان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ البِلاد إلى الله تعالى مَساجِدُها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها»[٤].

(١٢) صفة الكمال (البُغْض) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا...، وإذا أبغضَ عبدًا دعا جبريل فيقول: إنِّي أبغِضُ فلانًا فأبْغِضْهُ، فيُبغِضُه جبريل، ثم يُنادي في أهل السماء، ثم توضع له البَغْضاءُ في الأرضِ»[٥].

❁ **الشَّرْح**: **البغض**: نقيض الحب، وهو صفة كماليَّة لأن الله ﷻ أثبتها لنفسه، وهي كَسائر صفاته الجليلة العليَّة الذي تمدَّح بها، «وبغضُه

(١) البخاري (٣٢٠٩، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).
(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٠١).
(٣) مسلم (٢٦٨٤).
(٤) مسلم (٦٧١).
(٥) مسلم (٢٦٣٧). وقال ﷺ: «أحبُّ البِلادِ إلى الله مساجدُها، وأبغضُ البِلاد إلى الله أسواقُها» مسلم (٦٧١).

سبحانه من الكمال الذي لا تُدركه الخلائق، وفوق الكمال، إذ كلّ الكَمال فمن كماله يستفاد، وله الثَّناء الحسن، الذي لا تُحصيه العباد، وإنما هو كما أثنى على نفسِه، (فإن) من الكَمال أنه يفعل ما يفعله بعد أن لم يكن فاعله، وأنه إذا كان كامِلًا في ذاتِه، وصِفاته، وأفعاله، لم يكن كاملًا بغيره، ولا مفتقرًا إلى سِواه، بل هو الغني، ونحن الفقراء»[1].

(١٣) صفة الكمال (المَقْت) الجليلة

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

٢) عن عياض بن حمار ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «... **وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمَهم، إلّا بَقايا من أهل الكتاب...**»[2].

❁ **اللغة: المقت**: البغض الشديد[3].

❁ **الشَّرْح**: المقت من جنس البغض، فهو أشد البغض؛ أي: ليس هو البغض فقط، بل هو أشده[4].

مَقتُ الله ﷻ كَباقي صفاته الفعلية، والتي تتجدد حسب مشيئته الحكيمة عند وجود مقتضاها، «فالله تعالى يمقتُ الفعل، ويمقت صاحبَه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٣٦١).

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

(٣) «المفردات» (٧٧٢).

(٤) لأنَّ البغضَ جنس، منه الكراهية، ومنه المقت... فإثبات أصل الصفة لا يعني أن الصفات الأخر مردُّها إلى هذا الأصل، يعني: لا نقول: المقت هو البغض أو الكراهية، لأنَّ كل صفةٍ من صفاته ﷻ تثبت على ما دلَّ عليه النص. لكن لها أصل. ولها جنس «اللآلئ البهية» (١/٣٨١). ـ وقد تقدَّم ذكر ذلك ـ.

تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وذلك أنَّ الكافرين إذا حقت الحَقائق يعودون على أنفسهم بالمقت، لأنَّهم قد تمكنوا من الإيمان، وكثرت آيات الله أمامَهم، وأصبحوا يكفرون على عمد، فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، والسبب أنكم قد دُعيتُم إلى الإيمان فكفرتُم، وهذه الآية يقول العلماء: إنَّها تدلُّ على وجوب الوفاء بالوعد، لأن الله تعالى يمقت على إخلافِه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، فهذا الوعد، وكون الإنسان يعد الشيء ثم لا يفي به، فإنه يجبُ عليه أن يفيَ، كي لا يقع في مقت الله ﷻ»[(١)].

فدلَّت الآيات السابقة على أن «مقت الله ﷻ يتفاوت»[(٢)] لقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

(١٤) صفة الكمال (العَتْب) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ: «**قامَ موسى خَطيبًا في بني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أي النّاس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ، فعتبَ الله عليه إذْ لم يَرُدّ العلمَ إليه...**»[(٣)].

❁ **اللغة**: **العتب**: اللوم، يقال: عتب عليه عتبًا، أي: لامه في تسخُّط، وحقيقة العتاب: مخاطبة الإدْلال، وهو أدنى الغضب، وبالجملة يُطلق على:

---

(١) «السبائك الذهبية بشرح العقيدة الواسطية» للعلامة عبد الله بن الغنيمان حفظه الله (١٤٥).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٠٢).

(٣) البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠). وفي حديث عمر ﷺ، وهو يقصُّ ما جرى بين النبي ﷺ وزوجاتِه: فاعتزل النبي ﷺ من أجلِ ذلك الحديث حين أفشَتْهُ حفصةُ إلى عائشة، وكان قد قال: «ما أنا بِداخِلٍ عليهنَّ شهرًا، من شدة موجدته عليهنَّ حينَ عاتَبَهُ الله...» البخاري (٢٤٦٨).

الموجِدة، والسخط، والغضب، واللَّوْم[1].

❁ **الشَّرْح**: هذه الصفة الكريمة ثابتة في حق أحبابه وأصفيائه، أي: في مقابلتهم، فإنها تتضمَّن الرحمة واللطف، يقول ابن القيم ﷺ: «عِتابه لأحبابِه ألطفُ عِتاب، وإنه مع ذلك مقيل عَثَراتهم، وغافر زَلّاتهم، ومُقيم أعذارِهم، ومُصلح فسادهم، والدافع عنهم، والحامي عنهم، والناصر لهم، والكفيل بِمَصالحهم، والمنجي لهم من كُلِّ كربٍ، والموفي لهم بوعدِه، وإنه وليّهم الذي لا ولي لهم سِواه، فهو مولاهم الحق، ونصيرُهم على عدوِّهم، فنعم المولى ونعم النصير»[2].

والعتب وهو من الله تعالى، فإنه المحسن العادل، فلا يتصور عليه عبده، وإلّا والعبد ظالم، فإعْتاب الله تعالى عبده: إزالة عتب نفسه عن عبده[3].

(١٥) صفة الكمال (الغَيْرَة) الجليلة

❁ **الأدِلَّة**: ١) قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يَغار، وغيرةُ الله تعالى أن يأتيَ المرءُ ما حرَّمَ الله عليه**»[4].

٢) وقال ﷺ: «**يا أمَّة محمَّد، ما أحد أغيرُ من الله أن يزنيَ عبدُه، أو**

---

(١) «كتاب العين» (٣/٩٠)، و«القاموس المحيط» (٨٣٥)، «المجموع المغيث» (٢/٤٠٠)، و«المصباح المنير» (٢٢٦).

(٢) «الفوائد» (٣٧).

(٣) «بدائع الفوائد» (٤/١٥٢).

(٤) البخاري (٥٢٢٩)، ومسلم (٢٧٦١). وقال ﷺ: «أتعجَبون من غَيْرَة سعد؟! فوالله لأنا أغير منه، والله أغيرُ مِنِّي، من أجل غيرةِ الله حرَّم الفَواحشَ ما ظهر منها وما بطن...» البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

تزنيَ أمتُه...»[1].

﴿ اللغة: الغيرة: تدلُّ على صلاح، وإصلاح، ومنفعة، وتطلق الغيرة على: الحميَّة والأنَفَة، إذ إن أصلها: المنع[2].

﴿ الشَّرْح: الغيرة من صِفات الله تعالى الفعلية، لأنها مربوطةٌ بسبَب، وكل صفة مربوطة بسبب فإنها من الصفات الفعلية[3]، والتي يجب أن يؤمن بها لفًا ومعنًى.

وقد تقدَّمَ ذِكْر الأدلة السنية والتي جاءت في وصف غيرةِ رَبِّنا العظيم، وكلها جاء فيها «وصف النبي ﷺ رَبَّه بالأكمليَّة في ذلك، فنفى وجود من هو أغير من الله تعالى»[4]، كما في الحديث: «يا أمة محمد، ما أحدٌ أغيرُ من الله، أن يزنيَ عبده أو تزني أمتُه...» فلم يصفه ﷺ بمطلق الغيرة، بل بيَّن أنه لا أحد أغيرُ منه، وإن رسول الله ﷺ أغيرُ من المؤمنين، وقد قدَّمْنا غير مرَّة أن الله سبحانه لا يُساوي في شيء من صِفاته، وأسمائه، بل ما كان من صِفات الكَمال فهو أكمل فيه، وما كان من سَلْب النَّقائص فهو أنزَهُ منه، إذ له المَثَل الأعلى ﷻ، فوصفه بأنه أغير من العباد، وأنه لا أغير منه[5].

ولقد جاءَ في تحقيق هذه الصفة على لِسان نبيه الأمين ﷺ في

---

(١) البخاري (١٠٤٤) (٥٢٢١).

(٢) «النهاية» (٦٨٥)، و«اللسان» (٢/١٠٣٦)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤/٤٠٣).

(٣) لأنَّ السببَ واقع بمشيئة الله تعالى، والمترتب عليه واقع على ما وقع بالمَشيئة، وهي صفة حقيقية لله ﷻ، وهي بإضافَتِها إلى الله تعالى لا يمكن أن يعتريَها نقصٌ، وأما إذا أُضيفت للآدمي فقد يعتريها نقصٌ «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٥/١٨٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٦/١١٩).

(٥) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/٤١٠).

أحسن البَيان من أساليب التعليم في تحقيق صِفات رَبِّ العالمين، كما في حديث سعد، حيث قدَّمَ ﷺ كلامَه في صيغة الاستفهام «**أتعجبون من غيرةِ سعد؟**» ثم تدرجَ في بَيان تفاضلها بينه وبينَ سعد بالقسم، وصيغة التفضيل «**فوالله لأنا أغيرُ**»، ثم أصّل المعنى في هذا الوصف على وجه المفاضلة المطلَقة في حَقِّه تعالى «**والله أغيرُ مني**»، وهذا أسلوب الحكيم أن يضربَ الأمثالَ في الأمور المشاهدة على الأمور الغيبية، وإن معاني الأسماء والصفات وإن اشتركت بين العبد وبين الرَّبِّ، فإنَّ هذا لا يدلُّ على التَّساوي، فإذا كان التفاضل متفاوتًا بين الخلق، فمن باب أولى أن يكون على وجه الأقصى الأكمل المطلق في حَقِّ الرَّبِّ ﷻ.

«وغيرة الله تعالى تتضمَّن البغض، والكراهةَ لِما يَغار منه»[1]، وإن من مقتضاها وآثارها أنه تعالى حرَّمَ الفواحشَ[2]، ولهذا جمعَ النبي ﷺ في الحديث الآتي «بين وصفِه سبحانه بأكمل المحبَّة للمَدائح، وأكمل البُغْض للمَحارم»[3] كما قال ﷺ: «**ما أحدٌ أغيرُ من الله تعالى... وما أحدٌ أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرين**»[4]، فالغيرة أصلُها كراهة القبائح وبغضها. وبَيَّنَ محبةَ العُذْر الذي يوجب كَمالَ العدل والرَّحمة والإحسان، والله سبحانه مع شدَّة غيرته يُحبُّ أن يعتذرَ إليه عبدُه، ويقبل عذرَ من اعتذرَ إليه، وأنه لا يُؤاخذ عبدَه بارتكاب ما يغار من ارتكابه، حتى يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسلَ رسلَه، وأنزل كتبَه، إعذارًا

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٩٧).
(٢) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٣٤٠).
(٣) «الاستقامة» (٢/٣) لابن تيمية.
(٤) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) (٢٧٦٠).

وإنْذارًا، وهذا غاية المجد، والإحسان، ونهاية الكمال[1].

والنصوص الدالَّة على ثُبوت صفة الغيرة لِرَبِّنا ﷻ تدلُّ على أن غيرته تعالى نوعان: إما خاصَّة، وإما عامَّة، فالخاصَّة: وهي أن يأتيَ المؤمنُ ما حرم عليه. والعامة: وهي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهذه الغيرة أخص من مطلق البُغض، والمقت، والسخط[2][3].

(١٦ ـ ١٧) صفتا الكمال (الإتْيَان) و(المَجِيء) الجليلتين

۞ **الأدِلَّة:** ١) قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

٢) قال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

٣) وقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يَذْكُرني...، وإن تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولَةً**»[4].

٤) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث رؤية المؤمنين

---

(١) «الداء والدواء» لابن القيم (١٠٨).

(٢) انظر: «الاستقامة» (٢/٩، ١١، ١٣).

(٣) فالله تبارك وتعالى يَغار على إمائه وعبيده من المفسدين شرعًا وقدرًا، ومن أجلِ ذلك: حرم الفواحشَ. وشرع عليها أعظمَ العُقوبات. وأشنع القتلات، لِشِدَّة غيرته على إمائه وعبيده، فإن عطلت هذه العقوبات شرعًا أجراها سبحانه قدرًا. «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم (٣١٠).

(٤) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥). وفي رواية: «... **وإذا تلقاني بِباعٍ جئته أتيتُه بأسرع**» مسلم (٢٦٧٥).

رَبّهم في الآخرة: «... فيأتيهم الجَبَّارُ في صورةٍ غير صورَتِه التي رآه فيها أولَ مَرَّةٍ، فيقول: أنا رَبُّكم...»(١).

❁ اللغة: الإتيان: يقال للمجيء بالذات، وبالأمر، وبالتدبير، ويقال في الخير والشر، والمجيء كالإتيان لكنه أعم(٢).

❁ الشَّرْح: يوصف رَبّنا ﷻ بصفتي الإتيان والمَجيء الفعليتان، على الحَقيقة كما يَليق بِكَمال رَبِّنا وجَلاله، وقد «تَلَقَّاها علماءُ السَّلَف بالقبول، ونقلوها من بعدهم كما فهموها، ودرج على الإيمان بها من بعدهم وإقرارها، وإمْرارها كما جاءت وكما تَلَقَّوْها، وهم خير القرون، بل هم الناس الذين يسألون عن فهمهم للنُّصوص كيف فَهِموها، وكيف عملوا بها، لِيقتدى بهم، ولا سيما باب «الأسماء والصفات»، فالخير والهُدى والاطمئنان في اتِّباعهم، والتأَسِّي بهم»(٣).

وقد تقدمَ ذِكْر الأدلة على هاتين الصِفَتين، فالآية الأولى يُخبر الله ﷻ أنه «يأتي يومَ القِيامة لِفَصْل القَضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كلَّ عاملٍ بعمَلِه، إنْ خيرًا فخير، وإن شَرًّا فشر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾»(٤).

والآية الثانية في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

يقول شيخ المفسرين في وشرحها بَيانِها على منهَج أهل السنة والجَماعة: «يقول جلَّ ثَناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادِلون بِرَبِّهم الأوثان

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣). وفي لفظ: «أتاهم رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى» مسلم (١٨٣).
(٢) انظر: «المفردات» (٦٠، ٢١٢).
(٣) «الصفات الإلَهية» (٢٥٧ ـ ٢٥٨).
(٤) «تفسر ابن كثير» (١/٢٤٨).

والأصنام ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالموت فتقبض أرواحَهم، أو أن يأتيهم ربُّك يا محمد، بين خلقه في موقف القِيامة...»[1].

۞ أنواع الإتيان والمجيء المضاف إلى الله تعالى:

الإتيانَ والمَجيء من الله تعالى نوعان: مطلق، ومقيَّد:

* **النوع الأول**: المَجيء والإتيان المُطْلَق، كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه، هذا إذا كان مُطْلَقًا، فكيف إذا قُيِّد بما يجعله صَريحًا في مَجيئه بنفسِه، كقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فعطفَ مَجيئَه على مَجيء الملائكة، ثم عطف مجيء آياتِه على مَجيئه.

* **النوع الثاني**: إذا كان مجيء رحمته، أو عذابه، كان مقيَّدًا، كما في الحديث «**حتى إذا جاء الله بالرَّحمة والخير**»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وفي الأثر: (لا يأتي بالحَسنات إلا الله).

ومن المَجيء المُقَيَّد قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، فلمّا قيَّدَه بالمفعول وهو البُنْيان، وبالمجرور وهو القواعد: دَلَّ ذلك على مَجيء ما بينه، إذ من المعلوم أنَّ الله سبحانه إذا جاءَ بنفسِه لا يَجيء من أساس الحِيطان وأسفلها، وهذا يُشبه قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ

(١) «تفسير الطبري» (٣/٣٨٧).

﴿ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢]، فهذا مَجيءٌ مقيَّد لقومٍ مخصوصين، قد أوقع بهم بأسه[١].

(١٨) صفة الكمال (العَدْل) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة:** عن ابن مسعود ﷺ، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: والله إنَّ هذه قسمةٌ ما عدل فيها، فقال النبي ﷺ: «**فمَنْ يعدِل إذا لم يعدِل الله ورسولُه**»[٢].

❁ **الشَّرْح:** هذه الصفة الكريمة قد أقرَّ بها جميعُ المخلوقات إنسها وجِنّها، مؤمنها وكافِرها، فالخلق جميعًا مفطورون على الإيمان بها.

قال ابن القيم ﷺ: «قد اتَّفقَ أهلُ الأرضِ والسموات على أنَّ الله تعالى (عدلٌ) لا يظلم أحدًا، حتى أعداءه المشركين الجاحدين لِصفات كَماله، فإنَّهم مُقِرون له بالعَدْل، ومنزِّهون له عن الظُّلْم، حتى إنَّهم ليدخلون النار وهم معترفون بعَدْلِه، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]»[٣].

يوصف ربنا ﷻ بالعَدْل، الذي لا أعدل منه على الإطلاق، فأفعاله وأحكامه كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، والسداد، والحق، والصواب، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهو سبحانه قد أوضح السّبل،

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٢٧)، وانظر: (٢/٣٣٩).
(٢) البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).
(٣) «مختصر الصواعق المرسلة» (١/٢٢١).

وأرسل الرُّسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهداية، والطاعة، بالأسماع، والأبصار، والعقول، وهذا عَدْلُه[1].

فهو تعالى الحكم العدل الذي تمتْ كلماتُه صدقًا في الأخبار، وعدْلًا في الأوامر والنَّواهي، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فأوامره كلُّها عدل، لأنَّها منافع ومَصالح، فهي عدل ممزوجة بالرَّحمة، ونواهيه كلُّها عدل، لكونِه لا ينهى إلا عن الشُّرور والأضرار، وهي أيضًا مقرونة برحمته وحكمتِه، ومُجازاته لِلعِباد بأعمالهم عدل، لا يهضم من حَسَناتهم، ولا يَزيد في سَيِّئاتهم، أو يعذبهم بغير جُرم اجترحوه، فعدلُه سبحانه شامل للخليقة كلِّها، حتى من قضي عليهم العَذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مِثْقال ذَرَّة، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

بل إنَّ عدلَه شمل الحيوانات والبهائم، فإنه يقتص لِلشاة الجَمّاء من الشاة القَرْناء[2]، كما قال ﷺ: «**يُحْشَرُ الخلائقُ كلُّهم يوم القِيامة، والبهائم والدّواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عَدْلِ الله تعالى أن يأخذَ للجَمّاء من القَرْناء**»[3]، بل حتى النملة من النَّمْلة، قال ﷺ: «**يقتص الخلقُ بعضُهم من بعضٍ، حتى الجَمّاء من القَرْناء، وحتى الذَّرَّة من الذَّرَّة**»[4].

❁ ❁ ❁

(١) «الفوائد» (٣٣). و«شرح النونية» للهراس (٢/١٠٤).
(٢) «فتح الرحيم الملك» (٣٢). وتوضيح الكافية (١٢٧).
(٣) «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٦).
(٤) المصدر السابق (٤/٦١٢).

(١٩) صفة الكمال (اسْتِطَابَةُ الرَّوَائِح) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال رسول الله ﷺ: «**ولَخَلُوفُ فَمِ الصّائم أطيبُ عندَ الله مِن رِيحِ المِسْكِ**»(١).

❁ **اللغة: الطِّيب:** ضدّ الخَبيث، ويدلُّ على الزكاة والنفاسة، ويأتي بمعنى: الطاهر، والطيب من كلِّ شيء أفضله(٢).

❁ **الشَّرْح:** من صفات رَبّنا ﷻ أنه يستطيب ما يَشاء من الرَّوائح، وأخبر ﷺ أنَّ ريحَ فَمِ الصائم عند الله سبحانه أطيب ما يكون من الطِّيب، وهذا يدلُّ على كَمال صِفاته، وأنها لا تشبه، ولا تُماثل، ولا تقارب صِفات أحدٍ من خَلقِه، فإنه من المعلوم أن أيَّ أحدٍ من الخلق لا يستطيب رائحة الفم، خاصة عند خُلُوِّ المعدة، والتي تظهر جليةً عند الصوم، ولكن لِكَمال الله تَعالى من جميع الوُجوه، يستطيب هذه الرائحة بأطيب ما علمه الخلق من الطِّيب.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: من المعلوم أن أطيبَ ما عند الناس من الرائحة رائحة المِسك، فمثَّل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بِطيب رائحة المسك عندنا، وأعظم، ونسبة استطابة ذلك إليه ﷻ كنِسْبة سائر صِفاته، وأفعاله إليه، فإنها استطابةٌ لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أنَّ رِضاه وغضبة وفرحه وكراهيته وحُبّه وبغضه لا تماثل ما لِلمَخلوق من ذلك، كما أن ذاته ﷻ لا تُشبه ذَوات خلقه، وصفاته لا تُشبه صِفاتهم

---

(١) البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (٤٣٥/٣)، و«لسان العرب» (٥٦٣/١)، و«كتاب العين» (٤٦١/٧).

وأفعالهم، وهو ﷻ يستطيبُ الكلمَ الطيبَ فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا[١].

(٢٠) صفة الكمال (التَّجَلِّي) الجَليلَة

۞ **الأدِلَّة**: ١) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٢) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قرأ هذه الآية ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: (وضعَ النبي ﷺ أصبعه الإبهام قريبًا من طرَف الخنصر، فساخ الجبلُ)[٢].

٣) وقال ﷺ: «**يتجلَّى لنا رَبُّنا ﷻ يومَ القِيامة ضاحِكًا**»[٣].

۞ **اللغة**: التجلي أصله: الكشف، والإظهار، والوضوح، فالتجلي: الظهور، والبَيان لِلعيان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾؛ أي: ظهرَ، وبانَ[٤].

۞ **الشَّرْح**: صفة التجلي من الأفعال الاختيارية التي أثبتَها أهلُ السنة والجماعة قاطبةً، وتجليه سبحانه ثبت في الدّارَيْن:

❊ **الأول: في الدنيا**: حينَما واعد رَبُّنا العَظيم نبي التكليم موسى عليه أفضل الصلاة والتسليم «لإنزال الكتاب عليه عند الجَبل، فلمَّا ظهر (الرَّبّ)

---

(١) «الوابل الصيب» (٥٢/١).

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث في قسم الصفات الذاتية، عند صفة (الإبهام، والخنصر)، وهي عدة رِوايات صححها الألباني في ظلال الجنة (٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢)، وفي «صحيح الترمذي» (٣٠٧٤).

(٣) رواه أحمد (١٤٧٢١)، (١٥١١٥)، (١٩٦٥٤)، وصحح الروايات شعيب الأرنؤوط (٣٢٩/٢٣)، (٤٢٤/٣٢)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٩٤/٢) (٧٥٥).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٣٣٥/١)، و«معاني القرآن» وإعرابه للزجاج (٣٧٣/٢)، و«كتاب العين» (٢٥٥/١)، و«تفسير الطبري» (٤٩٥/٤).

وبان، انْهال الجبل مثل الرَّمْل، من رؤية الله تعالى»[1].

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ﷺ: «ولَمّا جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقنا فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وناجاه، ﴿قَالَ﴾ موسى لِرَبِّه: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، قال الله له مجيبًا: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ يقول تعالى ذِكْره: فلما اطلع الرَّبّ للجبل، جعل الله الجبل ﴿دَكّٗا﴾؛ أي: مستويًا بالأرض...»[2].

تجلِّيه سبحانه لنبيه لموسى عليه السلام، لم يظهر منه سبحانه إلّا طرف خنصره تعالى، كما يليق بِجَلاله، وكَماله، وعظمته، وهذا يدل على أنه تعالى لا يقدر أحد على رؤيته في هذه الدّار، مع رؤيته، وعدم الإدراك له[3]، في آخر الدار.

* **الثاني: تجلية تعالى في دار الآخرة**: وهذا التجلي يكون هناك في مكانين:

الأول: في عرصات يوم القيامة. الثاني: لأوليائه في الجنة.

ـ **التجلي الأول**: يتجلى ربنا تعالى لعباده في العرصات على نوعين:

الأول: تجلي اختبار وتعظيم، والثاني: تجلي إنعام وتكريم.

فتجليته سبحانه للاختبار والتعظيم ينقسم إلى قسمين لعباده:

الأول: «جميع هذه الأمة، بَرِّهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم. والثاني:

---

(١) «تفسير السعدي» (٣٠٢).

(٢) «التفسير» (٣/٤٩٤).

(٣) أي: عدم الإحاطة به من كل وجه، لأن الإدراك أخص من الرؤية كما تقدم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية.

لِبعض أهلِ الكتاب، وهذه الرؤية: رؤية امتحان»[1].

والتجلي الثاني في العرصات: للمؤمنين، كما تقدم في الحديث: «يتجلَّى لنا رَبُّنا ﷻ يومَ القِيامَة ضاحِكًا»، وكما جاء في الحديث: «**إذا جمعَ اللهُ الأولى والأخرى يومَ القيامة، جاء الرَّبّ ﷻ إلى المؤمنين، فوقفَ عليهم، والمؤمنون على كوم، (فقالوا: ما الكوم؟ قال: مكان مرتفع)، فيقول: هل تعرفون رَبَّكم؟ فيقولون: إنْ عَرَّفَنا نفسَه عرَفْناه، ثم يقول لهم الثانية، فيضحك في وجوههم، فيَخِرُّونَ له سُجَّدًا**»[2]. وهذه رؤية تنعيمٍ، لأن ضحكَه سبحانه يتضمَّن الفرح والسُّرور والحبور.

ـ **التجلي الثاني في الآخرة**: في الجنة، «فيتجلى لهم في الجنة عمومًا وخصوصًا، دائمًا أبدًا سرمدًا»[3].

وهذا أكمل التجلي وأعلاه، الذي فيه من النعيم ما الله به عليم، لأن هذا التجلي يتضمن النظر إلى وجه ربنا الكريم الجميل الجليل، قال ﷺ: «... **فيكشف الحجاب، فيتجلى الله ﷻ لهم، فما أعطاهم الله شيئًا كان أحبّ إليهم من النظر إليه**»[4]، وفي رواية: «... **فيتجلى لهم ربهم ﷻ حتى ينظر إلى وجهه...**»[5].

(١) «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ» لإمام الأئمة ابن خزيمة (١/٤٢٠).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/٣٩٦) (٧٥٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/٥٠٣).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٨٩٣٦)، وصححه العلامة شعيب الأرنؤوط (٣١/٢٦٧).

(٥) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٦١).

(٢١) صفة الكمال (الحَثْو) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ قال: «وعدَني رَبِّي أن يدخلَ الجَنَّة من أمَّتي سبعين ألفًا، لا حِسابَ عليهم، ولا عَذاب، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاث حَثَيات من حَثَيات رَبِّي ﷻ»[(١)].

❁ **اللغة**: الحثو: الإهالة، يقال: حثا عليه التراب حثوًا: هال، والحثية والحثوة: يستعمل فيما يعطيه الإنسان بِكَفَّيه دفعة واحدة من غير وزنٍ ولا تقدير[(٢)].

❁ **الشَّرْح**: صفة الحثو من الأوصاف الكمالية، لأنها تقومُ به سبحانه، ولا يقوم به إلا «الأطيب، والأحسن، والأجمل، والأفضل»[(٣)].

وقوله ﷺ: «وثلاث حَثَيات[(٤)] من حَثَيات ربي»؛ أي: ثلاث غرف

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٣٧)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٥٨٩). وفي لفظ: «وزادَني ثلاثَ حَثَيات» صححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٥٨٨) وفي صحيح ابن ماجه (٤٢٨٦). وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ رَبِّي وعدَني أن يدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفًا بغير حِساب، ثم يتبع كل ألف سبعين ألفًا، ثم يحثي بِكَفِّه ثلاثَ حَثَيات» فكبر عمر... رواه الدارمي في «رده على بشر المريسي» (١/٢٧٧، ٢٨٠)، وقال الحافظ ابن حجر: سنده جيد، الفتح (١١/٤١٨)، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢٢٣٤). وقال ﷺ: «إنَّ ربي وعدَني أن يدخلَ الجنةَ من أمَّتي سبعين ألفًا بغير حِساب، ويشفع لِكُلِّ سبعين ألفًا، ثم يحثي ربِّي ثلاثَ حَثَيات بِكَفَّيْه». (فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربع مائة ألف وتسع مائة ألف). رواه الدارمي في «رده على بشر المريسي» (١/٢٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٥)، وصححه محقق كتاب «السنة» لابن أبي عاصم أ.د باسم الحبوري (١/٥٥٥).

(٢) «لسان العرب» (٢/٣٢٤). وقوله ﷺ: «وثلاث حثيات» بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية «تحفة الأحوذي» (٦/٣١١).

(٣) «تفسير الطبري» (٤/٥٣٠).

(٤) ذكر ثلاث حثيات لعل في ذلك تشريفًا للأمة، وإلا حثية واحدة تكفي لتمام الأمة، ومثله قوله سبحانه:=

يغرفها سبحانه بكَفَّيه الكريمتين، والله تعالى أعلم بكيفية الحثو، لكن نؤمنُ بذلك ونُصدِّقه، هذا هو الواجب على المؤمن، لأن رَبَّنا لم يأمرنا بالبحث عن الكيفيَّة، لأنه تعالى أعظم وأجلُّ أن يُحاطَ به، قال رب العالمين: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(٢٢) صفة الكمال (الطَّيّ) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][1].

٢) وقال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله ﷻ الأرضَ يومَ القيامة، ويطوي السماءَ بيَمينه، ثم يقول: أنا المَلِك، أين ملوكُ الأرض؟**»[2].

۞ **اللغة: الطي**: نقيض النشر وهو لفُّ الشيء بعضه على بعضٍ[3].

۞ **الشَّرْح**: الطيُّ صفة فعلية جليلة تدلُّ على عظمة ومتانة أفعال ربنا تعالى، وهذا الطيُّ سيكون يوم القيامة للسماء، فهو طيٌّ حقيقي من أفعاله المتعدية، وقد جعل الله ﷻ الطيَّ للسموات لا القبض، لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم، وطيُّها أبلغ في القدرة، وقد شبَّه الله تعالى هذا

= ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] والله أعلم بالحكمة. «إنجاز الحاجة لشرح سنن ابن ماجه» (٩/٣٣٠).

(١) وقال عز شأنه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

(٢) البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٢/٤٢٨).

الطيِّ بقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[1] يخبر الله تعالى أنه يوم القيامة يطوي السموات على عِظَمِها واتِّساعها، كما يطوي الكاتب السِّجل؛ أي: الورقة المكتوب فيها، فتنتثر نجومُها، وتكور شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها[2]، فلا إله إلا الله، فهذه السموات العظيمة يطويها بيَمينه كطي السجل للكتب، ثم يقول: «أنا المَلِك، أين مُلوكُ الأرض؟» الله أكبر، أين ملوك الأرض، وهل أحدٌ منهم يرفع أصبعه؟ الجواب: لا، لأنه لا يوجَد مِلكٌ يوم القيامة، فالناس سواءٌ، أصغر الخدم وأقوى الملوك، فكلهم حُفاة، وكلهم عُراة، وكلهم غُرْل، فالمُلْكُ لله ﷻ[3].

(٢٣) صفة الكمال (السُّرْعَة) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٢، النور: ٣٩][4].

٢) عن عائشة ﵂ قالت: (كنتُ أغارُ من اللاتي وهبْنَ أنفسَهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أتَهَبُ المرأةُ نفسَها؟! فلما أنزلَ الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، قلتُ: يا رسول الله! ما أرى ربك إلّا يُسارِعُ في هَواكَ)[5].

٣) قال ﷺ: «إنَّ الله ﷻ قال: إذا تَلَقّاني عبدي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُه بِذِراعٍ، وإذا تَلَقّاني بِذِراعٍ تَلَقَّيْتُه بِباعٍ، وإذا تَلَقّاني بباعٍ جِئْتُه أتيتُه بأسرع»[6].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).
(٢) «تفسير السعدي» (٥٣١).
(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).
(٤) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١].
(٥) البخاري (٤٧٨٨، ٥١٣)، ومسلم (١٤٦٤).
(٦) مسلم (٢٦٧٥).

❁ **اللغة: السرعة**: خلاف البُطْء، وتستعمل في الأجسام والأفعال[1]، والسرعة عبارة عن سبق شيء لشيء في معنى، أو في معنيين متقاربين، والمسارعة إلى الشيء، المبادرة إليه، وهو في الأصل: متعدٍّ[2].

❁ **الشَّرْح**: صفة السرعة من صفات الكمال في أفعال ربنا تعالى من كل وجه، ولهذا جاءت في كتاب الله مُضافة إليه في سِياق الجَزاء والمُقابلة، إمّا للعُقوبة، وإما للمَثُوبة، وقد مَجَّد نفسَه تعالى بهذا الوصف في مواضع عديدة في كتابه، «ومعنى السريع في صِفات الله ﷻ أنه سريع الحِساب لِعِباده، وأن أفعاله تسرع، فلا يُبطئ منها شيء عما أراد، لأنه بغير مباشرة، ولا علاج، ولا كلفة، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له (كن فيكون)، فهذا معنى السَّريع على توجيه اللغة، والله أعلم وأحكم»[3].

وبالجملة: فإن صفة السرعة المضافة إلى الله تأتي على عدة معانٍ:

١) أنه لا تعسر عليه الأشياء، ولا يحتاج فيها إلى تكلف[4]، لأنه هو الفعَّال لما يشاء ولما يريد، لا يتخلف شيء عن مراده في أيِّ لحظة.

٢) «لكون وقوع الآخرة كلمح بالبصر، أو هي أقرب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

٣) سرعة حسابه عباده في الآخرة جميعهم دفعة دون روْية ولا فكرة، فلا يشغله شأن عن شأن في الآن الواحد، فإن الله تعالى يحاسب

(١) «المفردات» (٤٠٧).
(٢) «الأمد الأقصى» (٢/٣٧٤)، و«الصحاح» (١٧٠).
(٣) «اشتقاق أسماء الله» (١٢٧).
(٤) «إبطال التأويلات» (٦٥٤).

الخلائق كلها في مقدار نصف يوم[1].

٤) ما يكتبه في صحيفة العبد في الدنيا مع الفعل، حتى لا يتم العبد لفظة، ولا يكمل غمزة، ولا لحظة إلا وهي محسوبة، وفي صحيفته مكتوبة.

٥) سرعة عقابه تعالى في الدنيا، وهو ما يصيب به العتاة المتمردين من الانتقام إثر مخالفته»[2].

(٢٤ ـ ٢٥) صفتا الكمال (الرَّفع) و(الخَفْض) الجليلتان

۞ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١][3].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ الله مَلأى لا يَغيضُها**[4] **نفقة، سحَّاء**[5] **الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغُضْ ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع**»[6].

---

(١) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والقيلولة تكون في نصف نهار. انظر: «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (١/١٢٧).

(٢) «الأنباء» للإقليشي (٢/٩٨٣)، و«تفسير الطبري» (١/٥٥٤ ـ ٥٥٥). وانظر: «تفسير البغوي» (١/٢٣٣).

(٣) وقال عز شأنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]. وقال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

(٤) لا يُنقصها.

(٥) كثيرة العطاء بلا انتهاء.

(٦) البخاري (٤٦٨٤) (٧٤١١). ومسلم (١٧٩). وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ: «إنَّ الله لا ينامُ ولا ينبغي له أن ينامَ، يرفعُ القِسطَ ويخفِضُه، ويُرفَعُ إليه عملُ الليل قبل عملِ النَّهار...». مسلم (١٧٩). وعن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٩]، قال: «مِن شأنِه أن يغفرَ ذَنْبًا، ويُفرج كربًا، ويُجيب داعِيًا، ويرفع قومًا، ويخفِضُ آخَرين». وفي لفظ: «ويضعُ آخَرين» رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، وصححه الألباني (١٣٠)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٢٠٢).

۞ **الشَّرْح**: هذان الوصفان الجَليلان ثبتَ أحدُهما وهو صفة (**الرفع**) في القرآن، وأما (**الخفض**) فقد تفرَّدَت السنة بإثباته مع (الرفع) في سِياق التَّقابل بينهما، ولهذا فإن الكمالَ يكون في كل واحدٍ منهما منفردًا، ويعلو كمالًا عند اقترانِهما مع بعضِهما.

«وهذان (الفعلان)[1] يدلّان على الارتفاع والانحطاط، ويتضمَّنان الإقبالَ والإعراض، والقرب والإبعاد، والعِزّ والإذلال، والموالاة والمُعاداة، وغير ذلك[2]، والخفض والرفع يكونان في الدين، وهو من الإضلال والإرشاد، وأن كانا في الدُّنيا فهما للإعلاء والإسقاط[3].

فالله ﷻ يرفع أولياءَه بالتَّقرب والإسعاد، ويخفض الكفار بالإشقاء والإبعاد، وكل ذلك حكمة منه وصَواب، وهو تعالى الذي يداول بين عباده، فيخفِض أقوامًا، ويذهب شأنهم وعزهم، ويرفع آخرين فيورثهم ملكهم ودِيارهم[4].

وهو الذي يرفع أولياءَه بالطاعة، فيعلي مراتبهم، وبنصرهم على أعدائه وأعدائهم في الدِّين، ويخفض ويُهين الجَبّارين، ويُذل الفراعنة المتكبِّرين[5].

و"قوله ﷺ: «... **وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**»: يعني إحدى

---

(١) في المصدر اسمان، والصحيح ما أثبتُ لأن الحديثَ الذي جاء ذِكْرهما فيه ضعف بإجْماع أهل العلم، وإنما ذكرت الأسماء فيه من اجتهاد الراوي، وكذلك أنهما وردا بصيغة الفعل، لا بصيغة الاسم كما تقدم في ذكر أدلتهما، ومن الشُّروط «الصحيحة» في إثبات الأسماء: أن يرد ذكره بصيغة الاسم، لا بصيغة الفعل، لأن أسماء الله تعالى توقيفية ولا تشتق من الأفعال.

(٢) «الأسنى» (١/٣٦٥) بتصرف يسير.

(٣) شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي (٢٢٥).

(٤) «شرح النونية» للهراس (٢/١١١).

(٥) انظر: «شأن الدعاء» (٥٨)، و«النهاية» (٢٧٤).

يديه لِلعَطاء، وهو فضل محض، والأخرى فيها العدل، و«يخفض ويرفع»: يخفض من اقتضت حكمتُه خفضَه، ويرفع من اقتضت حكمته رفعَه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]

وقوله: «القسط»؛ أي: العدل، يعني أنه تعالى يحكم بالعدل"[١].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «قد جعل الله سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة: بيده اليمنى، وما كان من العدل والقبض: بيده الأخرى، ولهذا جعل أهل السعادة في قبضته اليمنى، وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى»[٢].

(٢٦) صفة الكمال (المَسْح) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ: **«لَمّا خلقَ الله آدمَ ومسحَ على ظهره، فسقط من ظهرِه كلُّ نسمةٍ هو خالقُها من ذُرِّيَّتِه إلى يوم القيامة...»**[٣].

❁ **الشَّرْح**: المَسْح من صِفات رَبِّنا الاختيارية المتعديَّة والمقترنة بحكمته الخفية، والمَسْح الذي يوصَف به رَبُّنا الجَليل مسح حقيقي، لأن صِفات رَبِّنا كلها حقيقية تليقُ بِجَلاله، وكمالِه، وعظمته، إلا إننا لا نعرف

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (٤٠٥/٨)، و«شرح صحيح مسلم» (٣٨١/١) لابن عثيمين.

(٢) «شفاء العليل» (٧٤٤/٢).

(٣) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٠٧٦)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٥). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمّا نزلت آيةُ الدَّيْن، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ من جحد آدم، إنَّ الله تعالى لَمّا خلقه، مسح ظهره، فأخرجَ منه ما هو ذارِئٌ إلى يوم القيامة، فعرضَهم عليه...» رواه أحمد في المسند (٢٢٧٠)، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر (٧١/٤)، وصححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٤).

كيفيةَ المسح، ولكن علينا الإيمان والتَّسليم والتصديق، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة القويم، المقتفى من مشكاة الكتاب والسنة النبوية، في كلِّ القُرون، لا يختلفون بهذه الحقيقة الإيمانيَّة.

والمَسْح يكون إمرار اليد بالشيء الذي يمسح عليه، وهو يدلُّ على صفة اليد العظيمة، يقول ابن القيم ﷺ: «وورد لفظُ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتّابعين في أكثر من مئة موضع وروداً متنوِّعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدلُّ على أنها يد حقيقية، من الإمساك، والطي، والقبض، والمسك... وأنه مسح ظهر آدم بيده...»[1].

(٢٧) صفة الكمال (الأَذَنُ) «بمعنى الاستماع» الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: قال ﷺ: «**ما أَذِنَ الله لِشَيْءٍ كأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن يَجْهَرُ به**»[2].

❁ **اللغة: الأذن**: الاستماع، قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]. والأذن والأذان: لِما يُسمع، وأذن لكذا: استمعَ له، وفي الحديث: «ما أذنَ الله لشيءٍ» يريد: ما استمعَ الله لشيءٍ كاستِماعه، والله تعالى لا يشغلُه سمع عن سمعٍ[3].

❁ **الشَّرْح**: الأذن من صفات أفعال الله تعالى الاختيارية، «والله تعالى يقومُ به من الأفعالِ ما لا يُحصيه إلّا هو سبحانه، كما أنه يقوم به من الأقوال

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/١٧١).

(٢) البخاري (٥٠٢٣) (٧٤٨٢)، ومسلم (٧٩٢) واللفظ له.

(٣) «عمدة الحفاظ» (١/٨٠)، و«شرح السنة» للبغوي (٤/٤٨٤)، و«الإبانة الكبرى» (٢/٤٢٨).

ما لا يُحصيه إلّا هو»[1].

والأذن هو من الأفعالِ اللازمة، وصفة الأذن هي أخصُّ من صفة السَّمْع المشتقَّة من اسمه الجَليل (السَّميع) فهو تعالى وسع سمعه كلَّ الأصوات في الأرض والسموات في كلِّ اللحظات، وعلى هذا المعنى فهو من أوصافِه الذاتية العليَّة، أما الأذن فهو من الصِّفات الفعليَّة التي تقع بِمَشيئته، لأنه يتعلق بسبب، فهو يتجدد ويتفاوت على حسب الاستماع قراءة القارئ، والذي يكون في وقت دون وقت آخر.

يقول ابن كثير رحمه الله: «... ومعناه: أن الله تعالى ما استمعَ لشيءٍ كاستِماعِه لِقِراءة نبيٍّ يجهر بِقِراءته، ويحسنُها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء أطيب الصَّوت، لِكمال خلقهم، وتمام الخَشْية، وهو الغاية في ذلك، وهو ﷻ يسمعُ أصواتَ العِباد كلِّهم، بَرِّهم وفاجرِهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (سبحان الذي وسعَ سمعه الأصوات)، ولكن استماعَه لِقراءة عبادِه المؤمنين أعظم..، ثم استماعُه لِقراءة أنبيائِه أبلغُ، كما دَلَّ عليه هذا الحديث العَظيم»[2].

وهذا يدلُّ كما تقدَّم: أن صفاتِ الله ﷻ الفعلية، تتفاوتُ حسب الأسباب المتعلقة بها، فاستماعه لقراءة أنبيائه أعظم وأبلغ عنده سبحانه من استماع دونهم من أوليائه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/١١١).
(٢) «فضائل القرآن» (١١٤).

(٢٨) صفة الكمال (الدَّفْع) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

٢) قال ﷺ: «**لا أحدَ أصبر على أذًى يسمعه من الله عز جلَّ، إنه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له ولدٌ، وهو يُعافيهم، ويَدْفَعُ عنهم، ويَرْزقُهم**»(١).

۞ **اللغة: الدَّفع**: الإزالة بقوة، ودفعت عنه كذا؛ أي: منعت.

والدفع إن عدي بإلى، فمعناه: الإنالة، كقوله: ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وإن عُدِّيَ بعن، فمعناه: الحِماية، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

وقرئ: ﴿يدفع الله﴾، ﴿دفاع الله﴾ تنبيهًا على المُبالغة في الدفع عن خلقه، فأبرزه في صورة المُفاعَلة(٢).

۞ **الشَّرْح**: صفة الدفع صفة عزيزة عند أوليائه، مقوية لعزائمهم، لِما تتضمنه من معانٍ سامية: من النُّصرة، والتمكين، والعناية.

ودَفْعُ الله ﷻ نوعان: دفع عام، ودفع خاص، ومنه ما يكون قدريًّا، ومنه ما يكون شرعيًّا.

الدِّفاع العام: هو ما يدفعه سبحانه بحكمته عن من يشاء من خلقه بصرفِ الشَّر، والسوء، والهلكات، والرزايا، والبلايا، وهذا الدفع العام

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٩٥٢٧) (١٩٦٣٣)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (٣٢/٢٩٣، ٤٠٦).
وقال ﷺ: «إذا كانَ يوم القِيامة، دفعَ الله ﷻ إلى كلِّ مسلمٍ يَهودِيًّا أو نصرانِيًّا. فيقول: هذا فكاك من النّار» مسلم (٢٧٦٧).

(٢) «اللسان» (٣/٣٧٦)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٨)، و«كتاب العين» (٢/٣٤).

لِلبَرِّ والفاجِر، وللمؤمن والكافر[1]، فكم دفعَ الله تعالى هذه البلايا عن البرايا، دفعًا قدريًا، بما لا يحصيه عدّ، ولا يحيطه أحد.

النوع الثاني: الدفع الخاص، وهو أشرف النوعين، وهو دفاعه ﷻ عن أهل الدِّيانات، ويكون شرعِيًّا، وقدريًّا، وهو قسمان كذلك:

الأول: الدِّفاع عن أهل الدّيانات، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]؛ «أي: لولا أنه تعالى يدفع بقومٍ عن قوم، ويكفُّ شرور أناسٍ عن غيرِهم، بِما يخلقه من الأسباب، لفسدت الأرض، ولأهلك القوي الضعيف»[2].

وقد تكون هذه الأسباب قدرية، كونية، وتكون شرعية، وهي أعظم هذه الأسباب، وأسماها: الجهاد، ولولا «ما شرعه الله سبحانه للأنبياء، والأولياء، من قِتال الأعداء، لاستولى أهلُ الشرك، وعطَّلُوا ما بنته أربابُ الدّيانات من مواضع العِبادات»[3]، ولِهذا منَّ الله تعالى عليهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، «حيث شرعَ لهم الجِهاد الذي فيه سَعادتهم، والمدافعة عنهم، ومكنَهم من الأرض بأسبابٍ يعلمونها، وأسباب لا يَعلمونها»[4].

---

(١) كما في الحديث المتقدم: «لا أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله ﷻ، إنه يشرك به، ويجعل له ولدًا، وهو يُعافيهم، ويدفع عنهم، ويرزقُهم».

(٢) «تفسر ابن كثير» (٣/٣١٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٦/٣٨٤).

(٤) «تفسير السعدي» (١٠٩).

وقوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾: «صوامع الرُّهْبان»[1]، وهي: «المَعابد الصغار للرهبان»[2]، وقيل: «صوامع الصابئين»[3].

﴿وَبِيَعٌ﴾: وهي أوسع منها، وأكثر العابدين فيها، وهي: للنصارى أيضًا[4]. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: «كنائس اليَهود»[5]. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾؛ أي: ولا للمسلمين مساجد. ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾؛ أي: في هذه المعابد. ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ تُقام فيه الصلوات، وتتلى فيها كتب الله[6].

وهذه المواضِع التي اتخذت قبل تحريفهم، وتبديلهم، وقبل نسخ تلك المِلَل بالإسلام، وإنما ذكرت لهذا المعنى؛ أي: لولا هذا الدفع في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع، وبيع، وفي زمن محمد المساجد، لهدمت[7].

ومن الأسباب القدرية التي قدرها الله تعالى في الدفاع عنهم: إهلاك أعدائهم، منهم بالغَرَق، والطوفان، والصيحة، والرِّيح، والخسف، والحصى، وغير ذلك مما لا يُحصى.

الثاني: دفع أخص الخاص: وهو دِفاع حِسِّيّ، ومعنوي، إضافة على ما تقدم قدري، وشرعي، وهو دِفاع الله تعالى عن أنبيائه، وأصفيائه في

(١) صح عن مُجاهد. انظر: «التفسير الصحيح» (٤١٩/٣).
(٢) انظر: «تفسر ابن كثير» (٣١٢/٣).
(٣) صح عن قتادة. انظر: «التفسير الصحيح» (٤١٩/٣).
(٤) «تفسر ابن كثير» (٣١٢/٣).
(٥) صح عن قتادة. انظر: «التفسير الصحيح» (٤١٩/٣).
(٦) «تفسير السعدي» (٥٣٩)، وتفسير النسفي (٧٤١).
(٧) «تفسير القرطبي» (٣٨٤/٦).

معاشهم، ودِينهم، وهو المقصود في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: فيه بِشارة وإخبار محقق من الله ﷻ في سِياق المبالغة في الدِّفاع عنهم، كما دلَّت القِراءات المتواترة، كقراءة: ﴿يدافع﴾ ﴿ولولا دفاع﴾ و﴿يدفع﴾ ﴿ولولا دفع﴾ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾[1].

«ولم يذكر سبحانه ما يدفعه عنهم لِيكون أفخم، وأعظم، وأعم، فوعد سبحانه أنه يدفع عن المؤمنين السوء والشَّرّ، بِسبب إيمانهم به تعالى، من ذلك: الأول: أعداؤهم من الكفار وغيرهم، فيردُّ كيدهم في نحرهم. الثاني: شر وسوسة الشيطان. الثالث: شرور أنفسهم، وسيئات أعمالِهم»[2].

ومن دِفاعه سبحانه عن أوليائه أنه يكون بالقول، وبالفعل، بالقول: أنهم «إذا ذمّوا بالقول دافع الله عنهم بالقول، كما قال تعالى (عن المُنافقين): ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، والله ﷻ هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال جل شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني: هم السفهاء لا أنتم، فهذا من تحقيق دِفاع الله ﷻ عن المؤمنين.

أما دِفاعه عن المؤمنين، إذا اعتدي عليهم بالفعل، فاستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، فهذه مُدافعة فعلية، حيث تنزل جنودُ الله ﷻ من السماء لتقتل أعداءَ المؤمنين، فهذا تحقيق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾»[3].

---

(١) انظر هذه القراءات وتوجيهها في: «التفسير المحيط» (٥١٤/٧)، و«تفسير الطبري» (٣٨٢/٦).

(٢) انظر: «أضواء البيان» (٤٧٧/٥)، و«تفسير السعدي» (٥٣٩).

(٣) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٥١/١).

ومن دِفاعه سبحانه القدري الفعلي لهم: ما هيَّأه تعالى من الأسباب الكونية في إهلاك أعدائهم، كما أرسل الريح للأحزاب، وإدخال الرُّعب في قلوب الأعداء، وإنزال السكينة على الأولياء، بنُزول المطر، والجند من السَّماء، وغيرها مِمّا نعلمه، ومِمّا لا يعلمه إلّا رَبّ الأرض والسماء.

(٢٩) صفة الكمال (الصَّلَاة) «بمعنى الثناء» الجليلة

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

٢) وقال عز شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

٣) وقال ﷺ: «... مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً، صَلَّى الله عليه بها عشرًا»[(١)].

❁ **اللغة:** الصلاة أصلها: الدُّعاء والتبريك، والتمجيد، يُقال: صليتُ عليه؛ أي: دعوتُ له، وزكيت[(٢)].

❁ **الشَّرْح:** معنى الصلاة من الله لِخَلقه: حُسن ثَنائه عليهم، وحُسن ذِكْره لهم[(٣)]؛ أي: إنَّ الله تعالى يُثني عليهم في الملأ الأعلى، رَفْعًا لِذِكرهم، وإعلاءً لِشأنهم.

وقيل: إن معنى الصلاة: المغفرة، والرحمة، وهذان القولان ضَعيفان، لأن الله تعالى غاير بين الصلاة، والرحمة، بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) كما في الحديث: «إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعامٍ، فَلْيُجِبْ، وإن كانَ صائمًا فَلْيُصَلِّ»؛ أي: لِيَدْعُ لأهله. مسلم (١٤٣١).

(٣) «كتاب العين» (١/٤١٠)، و«القاموس المحيط» (٧٥١).

﴿رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، لأن الرحمةَ أعمّ من الصلاة، ولهذا عطفهما على (الصلوات) من باب عطف العام على الخاص، لأنَّ الثَّناء عليهم في الملأ الأعلى من الرحمة(١).

وصلاة الله تعالى على عبده نوعان: عامة، وخاصَّة.

الأول: صلاته العامَّة: فهي صلاته على عبادِه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ومنه دُعاء النبي ﷺ لآحاد المؤمنين (كما تقدم في الأدلة).

النوع الثاني: صلاته **الخاصة** على أنبيائه، ورسله، خُصوصًا على خاتمِهم، وخيرهم محمد ﷺ(٢).

(٣٠) صفة الكَمال (المُعَافِي) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال رسول الله ﷺ: «**ليسَ أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله ﷻ، إنه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له الوَلَدُ، ثم هو يُعافيهم، ويَرْزُقُهُمْ**»(٣).

❁ **اللغة: العافية:** هي دِفاع الله تعالى عن العبد بدفع المكاره، تقول: عافاه الله تعالى من المَكْروه: وهب له العافية من العِلَل، والبَلاء،

---

(١) «تفسير سورة البقرة» (١٨٢/٢)، و«سورة الأحزاب» (٤٦٩/٧، ٥٤٥) لابن عثيمين.
وقد صحَّ في تفسير هذا المعنى الصحيح عن كبير التابعين أبي العالية ﷺ، قال: «صلاةُ الله على رَسولِه، ثناؤه عليه عند الملأ الأعلى» رواه البخاري تعليقًا (٥٣٣/٨). وحسنه الألباني في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٩٥).

(٢) «جلاء الأفهام» (١٢١).

(٣) البخاري (٦٠٩٩) (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٥). ومن الأدلة: دعاء القُنوت الذي علَّمه رسول الله ﷺ لِحفيدِه الحسن بن علي ﷺ: «**اللهم اهْدِني فيمَنْ هدَيْت، وعافني فيمَنْ عافَيْت...**» «صحيح أبي داود» (١٤٢٤).

وعافاه الله: مَحا عنه الأسْقام.

والمُعافاة: أن يُعافيَك الله من النّاس، ويُعافيهم منك؛ أي: أن يُغنيَك عنهم، ويُغنيَهم عنك، ويصرف آذاهم عنك، وآذاك عنهم[1].

❁ **الشَّرْح**: الله تعالى هو المعافي: الذي يُعافي من يَشاء من العِباد، فيدفع عنهم البَلايا، والرَّزايا، والأمراض، والأسقام، والخَزايا، وهذه مُعافاته العامة لكلِّ الخليقة.

ويخصُّ أولياءَه الكِرام: بالتجاوز عن الذّنوب والآثام، ويدفع عنهم المحنَ، والنِّقَم، والفِتَن، ما ظهر منها وما بطن، ويُعافيهم من أشد الأمراض المعنوية الدِّينية: كالكفر، والشرك: والنِّفاق، والعِصيان، لِيُقْبِلوا عليه يومَ الدِّين، سالمين مطهرين من الآثام، فيدخلوا دارَه دارَ السلام.

وبالجملة: إنه تعالى يُعافيهم من جميع الشرور، والأخطار، والأضرار الحسية، والمعنوية، المعاشية، والشرعية، والمعادية.

(٣١) صفة الكَمال (الهَادِي) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: ١) قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

٢) في الحديث القدسي يقول الله تعالى فيه: «... **يا عبادي كلكم ضال إلّا من هديته، فاسْتَهْدوني أَهْدِكم**»[2].

---

(١) «اللسان» (٥/٣٠١٨)، و«كتاب العين» (٣/١٩٢)، و«النهاية» (٦٢٧)، و«القاموس المحيط» (٨٩٢).

(٢) مسلم (٢٥٧٧). وعن علي ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل اللهم اهْدِني، وسَدِّدْني**» مسلم (٢٧٢٥).

۞ **اللغة**: الهِداية: هي الدلالة بلطف، وإرشاد، يقال: هديته الطريقَ والبيت هِداية؛ أي: عرفته، والهدى: خِلاف الضَّلالة، وهي الطاعة، والورع[1].

۞ **الشَّرْح**: الله ﷻ هو الهادي: الذي يهدي عبادَه إليه، ويدلّهم عليه، وعلى سبيل الخير، والأعمال المقربة منه ﷻ، فهو تعالى بصَّر عبادَه، وعرَّفَهم طريق معرفته، حتى أقرُّوا بِرُبوبِيَّتِه[2].

وهذه الهداية الشرعية الفطرية، حيث أودعَ الله في النُّفوس الإقرار والتصديق بوحدانيته سبحانه من كل البرية.

أما الهداية الدنيوية العامة الفطرية: «أنه سبحانه خلق المخلوقات فهداها الهِداية العامة لِمَصالحها، وجعلَها متهيئة لِما خُلقت له، فأرشد عبادَه إلى جلب مَصالحها، ودفع مَضارِّها[3]..

فقد هدى كلَّ مخلوقٍ إلى ما لا بُدَّ منه في قَضاء حاجته، فهدى الطفل إلى الْتِقام الثدي عند انفِصالِه، والفرخ إلى الْتِقاط الحَبّ وقت خروجه... وشرح ذلك مِمّا يطول»[4].

وبالجملة: «إنَّ هداية الله تعالى للإنسان على أربعة ضروب:

الأول: الهداية العامَّة التي عم بجنسِها كل مكلَّف، من العقل، والفِطْنة،

---

(١) «المفردات» (٨٣٥)، و«الصحاح» (١٠٩٢).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨٧)، و«النهاية» (١٠٠٣)، وتفسير الأسماء (٦٤).

(٣) كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣]

(٤) المقصد «الأسنى» (٩٣)، و«فتح الرحيم» (٥٠).

والمَعارف الضرورية، وهي المشتركة بين الخلق كلهم.

الثاني: هداية البَيان والدّلالة، والتعريف لِنَجدَي الخير والشَّرّ، وطريقي النَّجاة والهَلاك، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بَيَّنا لهم، وأرشدناهم، وهي التي يملكها الرسل وأتباعهم.

الضرب الثالث: هِداية التوفيق والإلْهام، التي من وفق إليها لا يَزيغ، وهي التي اختصَّ بها سبحانه وحده[١].

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهِداية إلى الجنة، أو إلى النار، فأما الهداية إلى الجنة[٢].

وأما الهداية الثانية إلى النار ـ عافانا الله وإياكم منها[٣].

والهداية المطلقة التامَّة هي الهداية التي يسألها المؤمنون إلى رَبِّهم (في كل صلاة بل في كلِّ ركعةٍ) ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: اهدنا إليه، واهدنا فيه»[٤].

(١) كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

(٢) فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

(٣) فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣].

(٤) «بدائع الفوائد» (٢/٣٦)، و«المفردات» (٨٣٥)، و«فتح الرحيم» (٥١).

(٣٢) صفة الكمال (المُغِيث) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة:** ١) قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رجلًا دخل المسجدَ يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب.. (إلى أن قال): فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادعُ الله أن يُغيثَنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أَغِثْنا، اللهم أَغِثْنا، اللهم أَغِثْنا**...»[(١)].

۞ **اللغة: المغيث:** من الإغاثة، وهي: الإعانة، والنصرة عند الشَّدائد، واستغاثَ: صاحَ واغوثاه، واستَغاثَني فلان فأغثته؛ أي: فرجت عنه.

وأغاثهم الله برحمته: كشف شِدَّتَهم[(٢)].

۞ **الشَّرْح:** الله سبحانه هو المغيث: إذْ لا غِياث ولا مُغيث على الإطلاق إلّا هو عز شأنُه، وإن كل غوثٍ فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيرِه، فالحقيقة له ﷻ وحده، ولِغيره مَجاز، فهو سبحانه مدرك عباده في الشَّدائد إذا دعوه، ومُجيبهم، ومخلصهم[(٣)]، إذا وحَّدوه.

فهو تعالى المُغيث إغاثة عامَّة، وخاصة:

الأول: الإغاثة العامة، فهو سبحانه مغيثُ العالَمين: «فهو المُغيث لِجَميع المخلوقات عندما تتعسر أمورَها، وتقع في الشدائد، والكربات،

(١) البخاري (٩٣٣، ١٠١٣٥)، ومسلم واللفظ له (٨٩٧).

(٢) «المفردات» (٦١٧)، و«لسان العرب» (٦٩٢/٦)، و«المصباح المنير» (٢٦٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١٠/١).

يطعم جائعَهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، وينزل الغيثَ عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يُجيب إغاثة اللهفان؛ أي: دعاء من دَعاه في حالة اللهف، والشِّدَّة، والإضرار، فمن استغاثه أغاثَه، (وبالجملة إنه تعالى) هو المنقذ من الشدائد الفادحة، والكروب.

وفي الكتاب والسنة من ذِكْر تفريجِه للكربات، وإزالته الشَّدائد، وتيسيره للعَسير، شيءٌ كثير جِدًّا معروف»[1].

الثاني: الإغاثة الخاصة، فهو سبحانه مغيثُ المؤمنين: فهو تعالى أسرع لهم غَوْثًا، وعونًا، وتفريجًا للهموم، والكربات، يستجيب لهم عند الشدائد، والهلكات، ولا يردُّ منهم أحدًا عند طلب الحاجات، والتضرع بالدعوات، وبالجملة فهو تعالى مُغيث لهم في الدنيا في الملمات، ويوم القيامة من الكربات في العرصات.

(٣٣) صفة الكمال (الفَاطِر) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة**: ١) قال ﷻ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٢) وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

٣) حديث عائشة ﵂ في افتتاح النبي ﷺ صلاته بالليل: «**اللهم رَبّ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض...**»[2].

---

(١) كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]. «الحق الواضح» (٦٧)، و«توضيح الكافية الشافية» (١٢٤).

(٢) مسلم (٧٧٠).

❁ **اللغة: فطر**: أصله: الشق، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]؛ أي: يتشققن.

والفطر: الابتداء، والاختِراع، يقال: فطرت البئر: ابتدعتها، وحفرتها.

ويقال للذي يحرث الأرض: فاطر، لأنه يشقُّها بالحِراثة[١].

❁ **الشَّرْح**: الله هو سبحانه الفاطِر على الإطلاق: الذي فطر كل الخَليقة، فما مِن شيء إلّا هو مفطور بفطرة الله تعالى، فأوجده بعد العدم، فكل مخلوق في عالم الملكوت، أوجده الله، بعد أن لم يكن موجودًا، فهو تعالى (**فاطر السموات والأرض**): «أي: إنه مبتدعهما، ومبدئهما، وخالقهما ومخترعهما وحده على الإطلاق، من غير شيء، ولا مِثال سبق[٢].

وهو سبحانه فاتق الرتق؛ أي: المتصل المتلاصق من السماء والأرض، قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؛ أي: كان الجميع متصلًا بعضه ببعض متلاصقًا، متراكمًا بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماء سبعًا، والأرض سبعًا، وفل بينهما بالهواء، كما أنه فتقَ السماء بالمطر، والأرض بالنَّبات[٣].

وكما أنه سبحانه فاطر للمحسوسات في الأرض والسموات، فهو تعالى فاطر للمَعْنويات الجِبِلّيات، فهو تعالى فطر الخلق على الإيمان به، وتوحيده، والإخلاص له بالعُبودية، كما قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/٢٣٩)، و«لسان العرب» (٧/١٢٥).

(٢) «تفسير الطبري» (١١/٢٨٢)، و«شأن الدعاء» (١٠٣)، و«الأنباء» (٢/٩٢٢)، و«الأسنى» (٤٢٣).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٠)، وابن كثير (٣/٢٤٥).

حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]؛ أي: «فسدِّدْ وجهَك، واستمر على الدِّين الذي شرعه الله لك، من الحَنيفية ملة إبراهيم، الذي هَداك الله لها، وكملها لك غايةَ الكَمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلقَ عليها، فإنه تعالى فطرَ خلقَه على معرفته، وتوحيده، وأنه لا إله غيره[1]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُبدلوا خلقَ الله، فتُغيروا الناس عن فِطرتهم التي فطرهم الله عليها، فهو تعالى ساوى بين خلقه كلِّهم في الفِطْرة على الجِبِلَّة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك»[2]. وهذا من كَمال عَدْلِه سبحانه، الذي لا مَثيل له.

(٣٤) صفة الكمال (الكِتَابَة وَالْخَطّ) الجَليلة

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١٨١][3].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**لَمّا قضى الله الخلقَ كتب في كِتابه، فهو عندَه فوقَ العرش: إنَّ رحمتي تَغْلِبُ غَضَبي**»[4][5].

---

(١) كما في الحديث: «إنِّي خلقتُ عِبادي حُنَفاء، فاجْتالتهم الشياطينُ عن دِينهم». مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٨٥). ثم سرد ﷺ أحاديث في ذلك. منها: «ما مِنْ مولودٍ يولَدُ إلّا على الفِطْرَة، فأبواهُ يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه...» البخاري (٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) وقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥].

(٤) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٥) وفي رواية: «إنَّ الله ﷻ حينَ خلقَ الخلقَ، كتبَ بيده على نفسه، إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي». صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٤٣)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٤٢٩٥).

٣) حديث احتجاج موسى وآدم عليهما السلام: «... **قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده...**»(١).

❁ **الشَّرْح**: يوصَف رَبُّنا عز شأنُه بالكِتابة، وبالخط على الحَقيقة، كما يَليق بِجَلاله، وعظمة شأنه، فهو تعالى يكتب ويخط ما شاء، ولِمَن شاء، ومتى شاء، وكيف شاء سبحانه، على مقتضى حكمتِه، ولا نعلم كيفية هذه الأفعال، وإنما نؤمن بها كما جاءت، لأنها حق من عند رَبِّنا عز شأنُه، وقد تقدم ذِكْرُ الأدلة التي تُفيد أنه تعالى باشَر بنفسِه الكتابة والخط، لأن فعل الكتابة عُدِّيَ إلى اليد «وخطَّ بيدِه»، فلا يجوز صرفُه عن حقيقته، وقد تقدم عند صفة (اليد) أنه تعالى خلق أشياء بيده: (كالعرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن... ثم قال لِسائر الخلق: كن فكان)، وكتابته لها تدلُّ على تَشريفها على غيرِها، كما في قوله ﷺ: «**وكتبَ لكَ**» «**وخَطَّ لك**».. إلخ.

(٣٥) صفة الكمال (الصُّنْع) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: ١) قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كلَّ صانع، وصَنْعَتَه**»(٢).

❁ **اللغة**: **الصُّنع**: إجادة الفعل، وترتيب العمل، وإحكامه على ما تقدم من العلم به، وبما يوصل إلى المراد منه، والصنع: الاختراع والتركيب معًا(٣).

---

(١) البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٧) (٤/١٨١). وقال ﷺ: «لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إنْ شئت، اللهم ارحمْني إنْ شئت، لِيَعزم في الدعاء، فإنَّ الله صانع ما شاء، لا مكره له» البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) واللفظ له.

(٣) انظر: «عمدة الحفاظ» (٢/٣٥٥)، و«كتاب العين» (٢/٤١٧)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (١/١٥٨).

۞ **الشَّرْح**: الله سبحانه هو الصانع لِكلِّ شيء كما يشاء، وكيف شاء، فـ«كل مصنوعٍ من صنعه»[1]، وإتقانه، فهو تعالى الذي صنع وخلق، على غير مثال سبق.

فربُّنا ﷻ هو «المبدع للكون، وهو الذي صنع الكون بِذاته، وأبدعه»[2] من غير مِثال احتذاه، فأخرجه من العدم إلى الوجود، بعد أن لم يكن موجود.

ولهذا أخبر عن نفسه بقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: «إنَّ الله تعالى متقن لكلِّ شيء من الأفعال والأحكام؛ أي: متقن لكلِّ ما صنع، وشرع، ومن جملة إتقانِه سبحانه أنه: حينما كانت الأرض محتاجة إلى هذه الجبال صارت الجبال راسية، ورواس ترسي بها الأرض، وهي أيضًا في نفسها ثابتة، ويوم القيامَة تزول الحاجة إليها، بل تقتضي الضرورة زوالَها، فتُزال هذه الجبال العَظيمة، ولِهذا تعلم الفائدة والحِكمة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، فصار وجود الجبال (في الدنيا) إتقانًا، وزوالها يومَ القيامَة إتقانًا أيضًا»[3].

وأما عن شرعه ودينه، فهو غاية في الإتقان، ونعمة منه وامتنان، فقد أبدعه وأبرمه وأحكمه، بحيث لا يدخل فيه زلل، ولا تخالطه العلل، ولا يظهر فيه عيب أو خلل، فلا يستطيع أن يقدح فيه طرف أنملة أحد من الأنام، فقد جعله سبحانه صالحًا لكلِّ حالٍ، وآن، ومكان، مهما تتابعت السنين والأزمان.

---

(١) «الأسنى» (٤٢١).

(٢) من كلام ابن جبرين ﷺ في «الكنز الثمين» (١٧٣) بواسطة صفات الله الواردة لعلوي السقاف (٢٢٨).

(٣) «تفسير سورة النمل» لابن عثيمين (٦/٢٦٨ ـ ٢٧٤).

(٣٦) صفة الكمال (التَّسْخِير) الجَليلة

۞ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الحج: ٦٥][(١)].

٢) حديث رؤية الرَّبّ ﷻ، ومُخاطبة الرَّبّ للعبد: «... **فيلقى العبد فيقول: أي فُلْ[(٢)]! أَلَمْ أكرمكَ، وأسودك، وأزوجُكَ، وأسَخِّر لك الخيلَ والإبِلَ...**»[(٣)].

۞ اللغة: **التسخير**: التهيئة والتَّذْليل، وهو سياقه إلى الغرض المختص به قهرًا، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد: ٢]؛ أي: قهرهما[(٤)].

۞ **الشَّرْح**: جاءت هذه الصفة الكريمة في سِياق الامْتِنان، والتذكير بآلاء، وإنعام الله تعالى المتواصل على بني آدم في تهيئة وتذليل كل من في السموات والأرض له، وتسخيره سبحانه نوعان:

الأول: التسخير العام، وهو لِجَميع بني آدم من الإنس والجان، وهو نوعان كذلك: **الأول**: تسخير الآيات الكونية العلوية له، كالشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد: ٢]؛ أي: «لِمَصالح العباد، ومَصالح مَواشيهم، وثِمارهم»[(٥)]. وسخَّر النجوم كذلك: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فسخرها سبحانه لِما فيه من المَنافع

---

(١) وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

(٢) معناه: يا فلان.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٨).

(٤) «المفردات» (٤٠٢)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٨١).

(٥) «تفسير السعدي» (٤١٢).

في السير والسفر واهتداء المسافر بها إلى الوجهات، وكذلك لِما فيها من الزِّينة، وجمال المنظر.

وسخر السحاب: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الذي به حياة الأبدان للإنس، والجان، والحيوان... وغير ذلك من الآيات.

الثاني: تسخير الآيات الأرضية له، كتسخيره البحار، والأنهار، والفلك لتجري فيهما، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]؛ أي: «فهو الذي يسَّرَ لكم صنعتها (أي: السفن)، وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لِتَحملكم، وتحمل تِجاراتكم، وأمتعتكم إلى بلدٍ تقصدونه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ لِتَسقي حروثكم، وأشجاركم، وتشربوا منها»[1] صالحًا نافعًا لأبدانكم، وحرثكم، ودوابكم.

ويستخرج منها لحمًا طَرِيًّا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وجواهر نفيسة حِلْيَة وزينة: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

«وسخر لنا سبحانه وسائل النقل: كالجِمال، والخيول، والحمير قديمًا، والسيارات، والطائرات حَديثًا»[2]. وغيرها من التسخير الذي لا يُعدّ ولا يُحصى.

النوع الثاني: التسخير الخاص:

وهو ما سخّره سبحانه لبعض أنبيائه ﷺ، مثل: تسخيره سبحانه

---

(١) المصدر السابق (٤٢٦).

(٢) «أسماء الله الحسنى» د.عمر الأشقر (٢٥٩).

لِداود عليه السلام: كتسخير الجِبال، والطير للتسبيح، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال عز شأنه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

وسخر لسليمان الرِّيحَ تجري بأمره حيث شاء، قال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، «وتسخير الشياطين له، يبنون (له) ما يُريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدواء والحلي»[(١)] قال عليه السلام: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

(٣٧) صفة الكمال (النَّفع) الجَليلَة

۞ **الأدِلَّة: ١)** عن مصعب بن سعد عن أبيه أنَّ أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: **عَلِّمْني دُعاءً لعلَّ الله أن ينفعَني به! قال: «قل: اللهم لكَ الحمدُ كله، وإليكَ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّه»**[(٢)].

٢) كان من دُعاء النبي ﷺ: **«اللهم انْفَعني بِما علَّمْتَني، وعلِّمْني ما ينفعُني، وزِدْني عِلْمًا...»**[(٣)].

۞ **الشَّرْح:** من كمال ربنا سبحانه أنه انفرد بالأفعال الحسنة، فينفذ فيها مراداته في خلقه كما يشاء على مقتضى حكمته وعلمه، فلا نفع في الوجود إلا من عنده، ومصدرها منه تعالى، وإليه، «ونفعه تعالى يكون عامًّا

---

(١) «تفسير السعدي» (٧١٣).

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٢٤٧) (١٥٧٦).

(٣) «صحيح الترمذي» (٣٥٩٩).

وخاصًّا، عاجلاً وآجلاً، وظاهرًا وباطنًا، وأسباب منافعه لا تكاد أن تحصى، ولا يُمكن أن تُستقصى»[1].

وبالجملة: إن طرائق نفعه عزَّ شأنه نوعان: نفع دنيوي، ونفع أخروي:

* **أمّا الدُّنيوي فقسمان:**

القسم الأول: النفع الدنيوي: فإنَّ الله تعالى هو الذي يوصل النفع إلى مَنْ يَشاء من خلقه، «فكلّ نفع يدر على العبد في الدنيا فهو من الله تعالى، وكل عبدٍ صدر منه منفعة فهو مسخر من الله تعالى بها»[2] وأنواع، وألوان، وبسائط نفعه، لا تعد، ولا تُحصى، فكل ما تتقلب فيه الخَلائق من النِّعم، والصِّحَة، والسَّعادة، والهناء، والجاه، والملبس، والمسكن، والمركب، والزَّوْج، والذُّرِّيَّة، كلها من أفراد منافعِه التي لا تستقصى، وقد جعل الله سبحانه بِحكمته التامَّة أسبابًا منوطة بها، وسبلاً لتحصيلها «فمَنْ سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركَها، أو ترك بعضَها، أو فوت كمالها، أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب»[3] منها.

القسم الثاني: النفع الأخروي: وهي نفع الأرواح، وهو ما يخصه سبحانه من كُتبت لهم السعادَة الأبدية، وهي المنفعة الحَقيقية، الدائمة، الأبدية، الموصلة إلى جَنّاته العلية، بِما يسر وسهل لهم طَرائقها، والوصول إليها من الأعمال المرضية، وهذه هي «المنفعة الحَقيقية التي تنفعُك في

(١) انظر: «الأنباء» (٢/٨٣٦).
(٢) «الأسنى» (١/٣٥٤).
(٣) «توضيح الكافية» (١٣١).

الأخرى، وترفعُك إلى الذُّروة العليا، فحقك أن تحدق إليها عين قلبِك في الدنيا، حتي يُتيحها لك الله تعالى»[1].

* **والنوع الثاني: النفع الأخروي:**

وهو النفع الخالص، الصافي من كلِّ الشوائب، في دخول بلاد الأفراح، الخالية من النَّصَب، والأتراح.

(٣٨) صفة الكمال (التأليف) الجَليلَة

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢) دعاء النبي ﷺ: «**اللهم ألف بين قُلوبِنا، وأصلحْ ذاتَ بَيْنِنا...**»[2].

❁ **اللغة: التأليف**: من الأُلفة، وهي: الاجتماع مع الالتئام، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفًا[3].

❁ **الشَّرْح**: أفعال ربنا سبحانه من أعظم صفات الكمال، ولذلك فهو يفعل الأشياء كما يشاء، ويحدث الحوادث شيئًا بعد شيء، فكل يوم هو في شأن، يدبر الأمور، ويُحْدِث ما تقتضيه حكمته[4]، ولذلك فهو ﷻ يؤلِّف بين

---

(١) «الأنباء في شرح حقائق الصفات والأسماء» (٢/٨٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٩٦٩). والحاكم واللفظ له (١/٢٦٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٦٣٠).

(٣) «المفردات» (٨١)، و«مقاييس اللغة» (٥١).

(٤) «توضيح الكافية الشافية» (٤٨، ٥٠).

النفوس المُتَنافِرَة، والقلوب المُتَباغضة، والأجساد المتباعدة، ولِهذا كانت هذه الصفة من الصِّفات المحبوبة للأولياء، لأنَّها جاءت في سِياق الامتنان والتذكير بالإخاء، والمودَّة، والمحبَّة، وهي أعظم النِّعَم والآلاء.

فهو تعالى المؤلِّف الذي يؤلِّف «بين المتفرِّقات، والمتباينات، والمتماثِلات، والمتضادَّات»[1].

وتأليفه ﷻ معاشي، وديني:

أمّا المعاشي: فهو نوعان: معنوي، وحسي، فالأول: المعنوي الذي يشتركُ فيه كلُّ الخليقة، بِما يؤلفه سبحانه تعالى من المودَّة، والمحبة، بين الزوجَيْن، والأولاد، والأقارب، والأصحاب.

والثاني: التأليف الحِسِّي، كما ذكره تعالى في تذكير قريش بنعم الأمن، والأمان، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ الآية.

والتأليف الديني الشرعي: وهو: ما يؤلفه الله ﷻ بين عِباده الصالحين، من المودَّة، والمحبة، والألفة في الدِّين، كما ذكر سبحانه مُمْتَنًّا على الأوس، والخزرج بقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

❋ ❋ ❋

(١) «الأسنى» (١/٤٨٠).

(٣٩) صفة الكمال (الاطِّلَاع) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة**: حديث مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: (أما إنّا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أرواحُهم في جَوف طير خضر، لها قَناديل معلَّقة بالعرش، تسرح من الجَنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القَناديل، فاطلع إليهم ربّهم إطلاعه...**»[(١)].

❁ **اللغة: الاطلاع**: هو الظهور، والبُروز، والاستشراف من مكان مرتفع، وكل ما بَدا لك من علوٍّ فقد اطلعَ عليك[(٢)].

❁ **الشَّرْح**: الاطلاع من أوصاف الله تعالى الفعليَّة العُلا، والتي تقوم به متى شاءَ، واطلاعه تعالى كما يَليق به يكون في الدنيا، والآخرة:

أما في الدنيا: تقدم ذِكْر الأدلة السنية الشريفة التي أخبر بها النبي ﷺ: اطلاعه لأهل بدر، واطلاعه في ليلة النصف من شعبان، وكذلك للشهداء في الجنة، وهذه الصفة الكَريمة تتضمن البشارة: بالإكرام، والإنعام، والغُفْران.

وأمّا في الآخرة: في عرصاتها، حينَما يطلع سبحانه على جميع خلقِه،

---

(١) مسلم (١٨٨٧). وقال ﷺ: «يطلعُ الله إلى عبادِه ليلةَ النِّصف من شعبان، فيغفرُ للمؤمنين، ويُمهلُ الكافرين، ويدعُ أهلَ الحِقدِ بِحقدهم حتى يدعوه». «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/٥٤) (٢٧٧١). وقال ﷺ: «يجمعُ الله النّاسَ يومَ القِيامَة في صَعيدٍ واحد، ثم يطلعُ عليهم رَبُّ العالَمين...» أخرجه أحمد (٨٨١٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط (١٤/٤١٥)، والألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٥٧). وقال رسول الله ﷺ لِعلي بن أبي طالب ﷺ: «ما يُدريكَ لعلَّ الله اطلعَ على أهلِ بدر فقال: اعملُوا ما شئتم» البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥٣٥)، و«القاموس المحيط» (٨٠٨)، و«المصباح المنير» (٢١٧).

ولهذا ذكر ربوبيته للعالمين بقوله: «ثم يطلع عليهم رَبُّ العالمين»، فاطلاعه سبحانه هنالك على ضربين:

الأول: عام لكل أهل الموقف: كما في قوله: «**ثم يطلعُ عليهم رَبّ العالمين، فيقول: ألا ليتَّبع كلّ أناس ما كانوا يعبدون**».

والثاني: اطلاع خاص للمؤمنين، كما في قوله ﷺ: «**فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذُ بالله منك، الله ربّنا، وهذا مكانُنا، حتى نرى رَبّنا، وهو يأمرُهم، ويثبتهم...، ثم يَتَوارى ـ أي: يستتر عنهم ـ، ثم يطلع فيعرفهم نفسَه ثم يقول: أنا ربُّكم، فاتبعوني، فيقوم المسلمون، ويوضعُ الصِّراط...**».

يقول ابن العربي رحمه الله: «إنَّما استعاذوا منه أولًا، لأنهم اعتقدوا أن ذلك الكلام استدراج، لأنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ومن الفَحْشاء اتباعُ الباطل وأهله، ولِهذا وقع في الصَّحيح: «**فيأتيهم الله في صُوَرٍ**»؛ أي: بصورة لا يَعْرِفونها، وهي الأمر باتباع أهلِ الباطل، فلِذلك يقولون: إذا جاء رَبُّنا عرفناه؛ أي: إذا جاءنا بِما عهدناه منه من قول الحقِّ»[1].

وهذا اطلاع منه لأوليائه مزية خاصَّة بهم، خلاف غيرهم، كما في قوله: «**فيُعرِّفهم نفسه**»؛ «أي: يلقي في قُلوبهم علمًا قطعيًّا يعرفون به أنه رَبّهم»[2].

وكذلك في أمره لهم بقوله: «**أنا رَبُّكم فاتبعوني، فيقومُ المسلمون**».

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/٤٢٨).

(٢) المصدر السابق.

واطلاعه سبحانه من الأدلَّة الصريحة الدالَّة على علوه سبحانه فوق جَميعِ خلقه، سواء كان هذا الاطلاع في الدنيا أو في الأخرى، لأن الاطلاع كما تقدم لا يكونُ إلّا من علوّ، والله متصفٌ به على الدَّوام، لا ينفك عنه بِحال.

(٤٠) صفة الكمال (التَّقْليب) الجَليلة

۞ الأدِلَّة: ١) قال عز شأنه: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

٢) وقال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

٣) قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر. وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[(١)].

۞ الشَّرْح: صفة التقليب صفة تقوم بذاته تعالى بمشيئته على الحقيقة، فهو تعالى المقلب لِمَن شاء.

وقد جاء التقليب في فِعله إلى أربعة أقسام:

الأول: تقليب الجَنَان. **الثاني**: تقليب العينين.

الثالث: تقليب الأبدان. **الرابع**: تقليب الأزمان.

أما الأول: تقليب الجنان، فقد كان ﷺ يتوسل إليه بها في تثبيت قلبِه، الذي هو رأس الأركان، وموضع نظر الرحمن[(٢)].

---

(١) وفي لفظ: «... أقلب ليله ونهاره. فإذا شئت قبضتهما» البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/٥٧١)، و«نظم الدرر» (٥/٢٧٣).

كما في الحديث: «يا مُقَلِّب القلوب ثَبِّتْ قلبي على دِينِك»، بل كان أكثر دعواته، كما أخبرت بذلك أمُّ المؤمنين أم سلمة ﵂، وقد بيَّن ﷺ سببَ ذلك بقوله: «يا أمَّ سلمة! إنه ليس آدمي إلّا وقلبه=

والتقليب الثاني: تقليب العينين[1].

والتقليب الثالث: تقليب الأبدان، كما حكى تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]، «وهذا من حِفظِه لأبدانهم، لأن الأرض من طَبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله تعالى أنْ قلَّبهم على جُنوبهم يَمينًا وشِمالًا، والله تعالى قادرٌ على حِفظِهم من الأرض، من غير تقليبٍ، لكنه تعالى حَكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بِمُسَبباتها»[2].

والتقليب الرابع: تقليب الزمان: فهو تعالى يقلب الليلَ والنَّهار[3]، فيأتي هذا عقب هذا، ويطول كل واحد منهما في زمن، ويقصر الآخر في زمن آخر، فينشأ عن ذلك التقليب، من الحر والبرد، والنمو والينوع[4]، وغيرها من الأحوال، وما يترتب على ذلك من المَنافع الجلال للأنام.

(٤١) صفة الكمال (بَدِيعُ السَّمَواتِ وَالأَرْض) الجَليلَة

الأدِلَّة: قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إنِّي أسألُك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المَنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجَلال والإكرام. فقال النبي ﷺ: «**لقد دَعا الله باسمه**

= بين أصبعين من أصابع الله، فمَنْ شاءَ أقامَ، ومَنْ شاء أزاغ». «صحيح الترمذي» (٣٥٢٢).

(١) قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(٢) «تفسير السعدي» (٤٧٢).

(٣) كما في الآية (٤٤) في سورة النور، وكذلك في الحديث القدسي الذي تقدم ذكرهما.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/٥٧١). و«نظم الدرر» (٥/٢٧٣).

الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطى»[1].

❁ اللغة: البديع: الإبداع هو: خلق شيء على غير مثال سابق على سبيل المبالغة لإتقانه له، ويقال: «ابتدعه»: أنشأه وبدأه، قولاً كان، أو فعلاً[2].

❁ الشَّرْح: وصف ربنا نفسه بأنه بديع السموات والأرض، أي: أنه تعالى هو الخالق المخترع للسموات والأرض، والمنشئ والمحدث لهما بعد أنْ لم يكونا، فهو سبحانه أوجدَهما من غير أصل، ولا مِثال بعد العدم، وعلى غير مثال تقدم، ومن غير عَوين، ولا نَصير، ولا مساعد على أمر يكون، فأبدعَهما وما فيهما، بغاية الحسن من الخلق البَديع، والنِّظام العَجيب، المحكم المتقن[3]، الذي لا يَعتريه خلل، ولا زَلل، «فأظهر عَجائب صَنعته، وغَرائب حِكمتِه»[4].

(٤٢ ـ ٤٣) صفتا الكمال (المُعِز) (المُذِل) الجَليلَتان

❁ الأدِلَّة: ١) قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

٢) عن تميم الداري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هذا

(١) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٤٩٥)، وصحيح ابن ماجة (٣٨٥٨) وغيرهما.
(٢) «اللسان» (١/٢٢٩)، و«البحر المحيط» (١/٣٦٤).
(٣) انظر: «شأن الدعاء» (٩٦)، واشتقاق أسماء الله (٧٣)، و«تفسر ابن كثير» (٣/٢٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١/٥٨٠)، و«تفسير السعدي» (٥/٤٩٠).
(٤) تفسير «الأسماء الحسنى» للرازي (٣٣٥).

الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنَّهار، ولا يتركُ الله بيتَ مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلّا أدخلَه الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذَليل، عِزًّا يُعز الله به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفرَ»[1].

❁ **اللغة: المعزّ**: العِزّة هي: الشدَّة، والقوة، والغَلَبَة، والمنعة، والرفعة[2].

المذل: الذل: الخضوع، والاستكانة، واللِّين[3].

❁ **الشَّرْح**: الله ﷻ هو المعزّ المذلّ على الإطلاق في الدنيا ويوم المعاد:

(١) «الذي بيده العزة، والإذلال، الحسي، والمعنوي، (الدنيوي والأخروي)، مَنْ شاء أذلَّه، ومَنْ شاء أعزَّه»[4].

(٢) وهو المعزُّ: الذي يؤتي الملك من يشاء، والمذلُّ: الذي يسلبه عمن يشاء[5].

(٣) الذي يُعِزّ أنبياءه، ورسله، وأتباعَهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

(٤) وأعزَّ أولياءَه، وأظهرَهم على أعدائه في الدنيا، ودار الكَرامة في العُقْبى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

(٥) وأذلَّ أهلَ الظلمِ والطغيان في الدنيا: بأن ضربَهم بالرِّقّ والجزية،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٨٩٤) (٢٣٧٠٤)، وصحح إسنادهما محققو المسند (١٣/٢١١) (١٧/١٣٥).

(٢) «اللسان» (٥/٢٩٢٤)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤/٣٩).

(٣) «المفردات» (٣٣٠). و«اللسان» (٣/١٥١٣).

(٤) انظر: «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (١/١٦١).

(٥) «شرح أسماء الله الحسنى» للبيضاوي (٢٢٨).

والصَّغار، والهَوان، وسوء المآل في الأخرى.

(٦) الذي أعزَّ أولياءه بِمَدْحِهم، ورفع شأنَهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وأذلَّ أعداءهم بِذَمِّهم: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

(٧) وأعزَّ أولياءه بِطاعته، وعبوديته، وأذَلَّ العاصين بِخذلانِه حتى واقعوا المعصيةَ[١].

(٨) فإن المطيع لله عزيز، وإن كان فَقيرًا ليس له أعوان، والعاصي ذَليل، وإنْ ظهر بِمَظاهر العِزّ، فقلبه حشوه الذُّلّ، وإنْ لم يشعر به، لانغِماسِه في الشهوات[٢].

(٤٤) صفة الكمال (المباهاة) الجَليلة

الأدِلَّة: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟!» قالوا: جلسْنا نذكر الله ونحمدُه على ما هَدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا. قال: «آلله ما أجلسَكم إلّا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلّا ذاك. قال: «أما إنِّي لم أستحلِفْكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله ﷻ يُباهي بكم الملائكة»[٣].

---

(١) انظر: «شأن الدعاء» (٥٨)، و«المنهاج» (١/٢٠٨)، و«الأنباء» (٢/٧٣٨)، و«الأسنى» (١/٣٧٠)، و«شرح النونية» للهراس (١/١١٢).

(٢) «الحق الواضح» (٨٩).

(٣) مسلم (٢٧٠١). وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: صَلَّينا مع رسولِ الله ﷺ المغرب، فرجعَ مَن رجع، وعقَّب مَن عَقَّب، فجاء رسولُ الله ﷺ مسرعًا قد حفزه النَّفَس، قد حسر عن رُكْبَتَيْه، قال: «أبشِروا، هذا ربُّكم قد فتحَ بابًا من أبواب السماء، يُباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عِبادي، قد قضوا فريضةً، وهم ينتَظِرون أخرى» صححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٨٠١)، وفي «السلسلة الصحيحة»=

* اللغة: المُباهاة: المُفاخرة. وتباهوا: تفاخروا. وأصل البهاء: الحسن، والجَمال. وفلان يُباهي بِماله؛ أي: يفخر، ويتجمل بهم على غيرِهم، ويظهر حسنهم[1].

* الشَّرْح: الله ﷻ هو الذي يُباهي بإظهار المحاسن، والثناء على الأفعال الكوامل الفواضل مَنْ يَشاء من أوليائه، وأحبائه عند ملائكته، عند وجود أسبابه، ومتعلقاته، فمُباهاة الله ﷻ متعلقة بالمكان، والزَّمان، وكذلك بالأعمال، والأحوال.

تعلقه بالزمان، والمَكان: كما في يوم عرفة بعرفة كما تقدم ذِكْرُ ذلك.

تعلقه بالأعمال: الصلاة، وانتظار أختها.

والأحوال هو: الاجتماع في ذِكْره، والثَّناء عليه بما هو أهله، وذِكر سابِق إنعامِه وإحسانه، ومعنى قوله ﷺ: «إنَّ الله يُباهي بكم الملائكة» «معناه: يُظهر فضلكم لهم، ويُريهم حسنَ عملكم، ويُثني عليكم عندَهم»[2].

ومُباهاته سبحانه تقتضي الإنعام، والإحسان، والتقريب، والإكرام، فإذا كان أحدٌ مِنّا يذكره المُلوك، والعُظَماء، والوُجَهاء عند خَواصِّهم، فما ظَنُّك بما يتفضلون عليهم؟! وما ظَنُّك يا عبد الله ـ ولله المثل الأعلى ـ بِمَلك المُلوك، وعَظيم العُظَماء، ورب الأرض والسموات، فالأمر أجل، وأوسع من أن تُدركه العُقول، والأفهام، فينبغي للعبد الصادق أن يتقربَ

=(٦٦١). ومعنى «حفزه النفس»؛ أي: شاقَّه وتعَبَه من شدة سَعْيه «حسر»؛ أي: كشف عن ركبتيه. من كلام المنذري. «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٩/١).

(١) «القاموس المحيط» (١٣٩).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢٨/٩).

إلى الله بكل سببٍ ووسيلة شرعية، تقتضي هذه الصفة العليَّة.

(٤٥) صفة الكمال (الزَّارع) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤].

❁ **اللغة: الزرع:** هو: طرح البُذور في الأرض، والزرع أيضًا: الإنبات، وحقيقة ذلك يكون بالأمور الإلَهية، دون البَشَرية. يقال: زرعَه الله؛ أي: أنبتَه[(١)].

❁ **الشَّرْح:** وصف ربنا الجليل نفسه بالصفة الاختيارية بأنه هو الزارع على الحقيقة وحده، ولهذا أضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى، لأنَّ الحرثَ فعلهم، ويجري على اختيارِهم، والزرع من فعل الله سبحانه وينبت على اختياره، لا على اختيارهم، ولِهذا (نهى النبي ﷺ أن يضيف الزرع إلى نفسِه)، فقال: «**لا تقولنّ: زرعْتُ، ولكن قل: حرثتُ**»[(٢)]، فالله تعالى الزارع، والمنبت، والفرق بين الزرع والحرث: أن الحرث أوائل الزَّرْع ومقدماته من كراب الأرض، وإلقاء البُذور، وسقي المبذور، والزَّرع هو آخر الحرث من خُروج النَّبات، واستغلاظه، واستوائه على السّاق[(٣)].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؛ أي: ما تبتدئون منه من الأعمال، أأنتم تُبَلِّغونها المقصود أم الله؟ ولا يشك أحدٌ في أن إيجاب

(١) «المفردات» (٣٧٩)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٣٨)، و«الصحاح» (٤٤٩).

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٠١).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/١٨١)، وتفسير الرازي (٢٩/١٨١).

الحَبّ في السنبلة ليس بفعل النّاس، وليس بفِعْلِهم، إن كان سوى إلْقاء البَذْر والسَّقْي[1].

ولِهذا جاء السِّياق بالاستفهام الإنكاري بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ..﴾[2].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يوصَف الله ﷻ بأنه الزّارع، ولا يُسمَّى به، ثم ذَكَر رحمه الله الآية»[3].

(٤٦) صفة الكمال (الصَّبْر) الجَليلة

❁ **الأدِلَّة:** قال رسول الله ﷺ: «**لا أحد أصبر على أَذًى يسمعُه من الله ﷻ، إنه يُشرَكُ به، ويُجعَلُ له الولدُ، ثم هو يُعافيهم، ويَرْزُقُهم**»[4].

❁ **اللغة: الصبر:** الحَبْس، وهو نقيض الجزع[5]، والصبر أعالي الشيء[6].

الأذى: هو ما خفّ أمره، وضعف أثرُه من الشر والمكروه، بِخلاف الضّرر، فقد أخبر سبحانه أن العِبادَ لا يضرُّونه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦][7].

---

(١) تفسير الرازي (١٨٢/٢٩).

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور (٣٢١/١٣).

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين (٢٥/١).

(٤) البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم واللفظ له (٢٨٠٤).

(٥) «القاموس المحيط» (٧٢٥).

(٦) «اللسان» (٢٦٧/٥).

(٧) من كلام شيخ الإسلام بواسطة «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (٧٣/١).

الشَّرْح: الله ﷻ هو الصبور: الذي لا أصبر منه على الإطلاق، كما وصف بذلك أعرف الخلق به ﷺ، وجاء وصفُه بأكمل وأبلغ وأعلى صيغ الثَّناء عليه: «لا أحد أصبر» «ما أحد أصبر» «ليس أحد أصبر» «بصيغة التفضل من الصَّبْر»[1]، وكذلك النكرة في سِياق النفي، والتي تفيد العموم كما هو معلوم، فصبر رَبِّنا تعالى أكمل صبر، وأجمله، وأحسنه، لأنه عن كَمال القُوَّة، والاقتدار، وعن كَمال الغِنى عن كل الورى، مع إنعامِه عليهم بالليل والنَّهار، وفي السِّرِّ والجهار، مع الفُجار أو الكفّار، فضلاً على الأبرار، فإنَّ العِباد يتبغضون إليه بالمَعاصي، ويُبارزونه بالذُّنوب العِظام، وهم مُضطرُّون إليه في كل الأحوال، فيتحبَّب إليهم بالآلاء والنِّعَم، ويصرف عنهم الآفات والنِّقَم، كأنَّهم لم يعصوه في أي أوان، يَتمادَوْنَ في الطغيان، والله تعالى لا يَزيده ذلك إلّا صبرًا، وحلمًا، وكرمًا بالأنام[2].

ومن كمال صبر رَبِّنا الذي ليس له فيه شبيه، ولا عديل، أن الكُفّار والمُعاندين يَسبونَه بأشدّ السّباب، ويجعلون معه الشُّرَكاء والأنداد، «فلا يُزعجه ذلك كله إلى تَعجيل العِقاب، بل يصبر على عبده ويمهله، ويستصلحه، ويرفق به، ويحلم عنه، فإذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال، والرِّفْق، والحلم، من باب البَلاء والنِّقم، أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، بعد غاية الإعذار إليه، وبذل النَّصيحة إليه، ودُعائه مع كل باب[3].

(١) «فتح الباري» (١٣/٤٤١).

(٢) «توضيح الكافية» (١٢١)، و«الحق الواضح» (٥٧)، و«فتح الرحيم» (٤٣) بتصرف.

(٣) «عدة الصابرين» (٢٨٢).

القسم الثاني من الصفات الفعلية

الصفات الفعلية المقيدة

وهي تنقسم كذلك إلى قسمين:

أولاً: صفات فعلية مقيدة على جهة المقابلة في الجزاء بالمثوبة.

ثانيا: صفات فعلية مقيدة على جهة المقابلة في الجزاء في العقوبة.

ولكل قسم نوعان: الأول: من جنس الفعل ونوعه، والثاني: من غير جنس الفعل ونوعه[1].

وسنبدأ بتوفيق من الله تعالى بالقسم الأول من النوع الأول[2]، وهي: الصفات الفعلية المقيدة على جهة المقابلة بالمثوبة من جنس الفعل ونوعه ونظيره.

(١) وهذا القسم لن نتطرق إليه في هذا الكتاب.

(٢) أما القسم الثاني من الصفات الفعلية المقيدة على جهة العقوبة سنذكر النوعين.

القواعد والضوابط

القاعدة الأولى: (كل فعل صدر من الله تعالى مما يتعلق بإرادته ومشيئته في مقابل العبد على سبيل الجزاء فهو من الصفات المقابلة).

إن اتصاف ربنا العظيم الجليل بصفات الكمال وتنوعها يدلُّ دلالة جلية على كماله الأعلى المطلق، ومن أنواع هذا الكمال: صفات وردت على سبيل المقابلة لأفعال المخلوقين جزاءً عدلاً وفضلاً عليها (مما اتفق لفظهما واشتركا في المعنى العام)[1].

القاعدة الثانية: (من عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة).

من أفعال الله الحميدة أنه يفعل ما يحمد عليه عدلاً منه، وحكمة، بل وفضلاً منه ومِنَّةً، ومن ذلك: أنه يجازي العامل بمثل عمله، فهو سبحانه يجازي عبده بحسب ما تقوم به من الصفات والأفعال وجودًا وعدمًا، ومدحًا وقدحًا، وبالجملة: (الله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه).

فمن عفا: عفا الله عنه، ومن غفر: غفر الله له، ومن سامح: سامحه، ومن رفق بعباده: رفق به... وهكذا[2].

«فالجزاء من جنس العمل» قاعدة متقررة في مجازاة الله تعالى لعبيده[3]

---

(١) إلا عند الإضافة والتخصيص تتميز عن بعضها، فما يثبت لله تعالى منها يليق بجلاله وعظمته. وما يثبت للعبد منها يليق بعجزه ونقصه وحاله، وهذا ينطبق على جميع صفات ربنا كما تقدم. انظر: «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (٧٦ ـ ٨).

(٢) ينظر: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (٥٣)، و«مدارج السالكين» (١/٤٥٣)، و«تعليق الشيخ ابن باز على فتح الباري» (٣/٣٠٠).

(٣) «الصفات والواردة على سبيل المقابلة» (٨٤).

عدلاً منه وإحسانًا.

❁ **القاعدة الثالثة: (كل صفات الله على جهة المقابلة بالمثوبة صفات كمال على الإطلاق).**

كل ما جاء في أفعال الله المقيدة من هذا النوع صفات كمال على الإطلاق من جميع الوجوه كالصفات المطلقة لربنا ﷻ، فهي خلاف الصفات المقيدة على سبيل العقوبة[1]: بأنها صفات كمال في حال التقييد فقط وليست على الإطلاق.

❁ **الضابط الأول: (يجوز الإخبار عن الله تعالى بأفعاله على سبيل المقابلة وإن لم يرد بنص من الشرع بشروط).**

يجوز الإخبار عن الله تعالى بالصفات المقيدة على جهة المقابلة بجميع أنواعها كباقي صفاته سبحانه المطلقة كما تقدم، وذلك بشروط: الأول: أن يكون اللفظ قد ورد معناه في الشرع، الثاني: ألا يكون لفظه سيئًا. الثالث: ألا يكون فيه شائبة ذم أو نقص بوجه من الوجوه، كقول القائل: «من رحم الناس: ﷺ، ومن جاد عليهم: جاد عليه، ومن نفعهم: نفعه الله تعالى»[2]، أو كقولك على سبيل العموم: (الله يعاملك كما تعامل الناس).

❁ **الضابط الثاني: (أن الصفات على سبيل المقابلة بالمثوبة منها: صفات فعلية فقط، ومنها ذاتية وفعلية).**

هذا النوع منه صفات فعلية فقط مثل: التنفيس، والتيسير[3]، والتجاوز،

(١) بنوعيها كما ستأتي في القسم الثاني من الصفات المقيدة.
(٢) «الوابل الصيب» (٥٣).
(٣) «الصفات الواردة على سبيل المقابلة» (٨٥).

والإقالة، والتوبة، والإعفاف وغير ذلك.

«ومنها صفات فعلية ذاتية: كالرحمة»[1] المشتقة من اسمه (الرحمن) وكذلك صفة الصدق من اسمه (الصادق) والإغناء من (الغني)، والتسليم من (السلام)، والإكرام من اسميه (الكريم، الأكرم).

* القاعدة الرابعة: (إثبات حقيقة الصفة يوجب إثبات لوازمها).

* الضابط الثالث: (يجب أن يفرق بين الصفة ولوازمها).

تقدم في القاعدة الرابعة: (أن الواجب إبقاء الصفات على ظاهرها على الحقيقة) وإضافة على هذه القاعدة: أنه ينبغي أن يعلم أن للصفات آثارًا وموجباتٍ لا تنفكُّ عنها، وهو: الجزاء والثواب بحسب أنواعه في الدارين.

وبيان ذلك: أن الحقيقة لا تكون منفكة عن لوازمها بأي حال، وكذلك إثبات اللوازم من دون إثبات حقيقة الصفة ممتنع كذلك[2]، وبالأمثلة توضح المفاهيم: قال تعالى: «﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، (فالرحمة) و(الرضوان) صفتان لله تعالى والجنة هي (ثوابه)، فإرادة الإحسان (والإنعام) هي من لوازم الرحمة، فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان إلى المرحوم»[3] لا أن الرحمة هي الإحسان، فالرحمة: صفة، والإحسان: الأثر واللازم لها.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٨٧٩)، و«عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (٥٩١، ٦٠٥).

(٣) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٨٧٨ ـ ٨٧٩).

ومثال آخر: صفة (المحبة): يقول ابن القيم ﷺ: «محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه وإعطائه، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها، فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب»[1].

وكذلك صفة (الإيواء)[2]: فمن آواه الله ﷻ حصل له من الخير والنعيم والرحمة والكرامة بقدر إيوائه إلى الله تعالى، فالخير والرحمة والنعيم ثمرة وأثر الإيواء، وليس هو الإيواء[3].

وكذلك صفة (الوصل)[4]: فمن لوازمها وثمراتها: لطفه تعالى لمن وصل الرحم، ورحمته إياهم، وعطفه، وإحسانه، وإنعامه، أو إيصاله بأهل ملكوته الأعلى[5].

وهذا باب جليل يجب أن يستصحب في جميع الصفات الفعلية لرب العالمين بجميع أقسامها وأنواعها وأفراداها، وبذلك تفوز يا رعاك الله الفوز العظيم.

(١) «مدارج السالكين» (١٤/٣).
(٢) انظر هذه الصفة رقم (٦).
(٣) «الصفات الواردة على سبيل المقابلة» (٥٩١).
(٤) انظر هذه الصفة رقم (٩).
(٥) «الصفات المقابلة» (٦٠٤ ـ ٦٠٥).

الصفات المقيدة على وجه المثوبة

(١) الصفة المقيدة (التَّيْسِير) العليَّة

❁ **الأدلة**: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن يسَّر على مُعسرٍ في الدنيا يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة**»[١].

❁ **اللُّغَةِ**: **التيسير**: من اليسر، وهو ضدُّ العُسر، وهو السهولة (واللين)، وحقيقته: التمكين بغير كثير مشقة[٢].

❁ **الشرح**: إن من فضل الله وسعة إحسانه وآلائه، أنه يجازي عبده بالخير بجنس عمله بلا حدٍّ ولا قيد، من المضاعفة في المثوبة، ومن ذلك: التيسير على أخيه المسلم: «**ومن يسَّر على مُعسرٍ في الدنيا**»، «أي: سهَّل على ذلك إعسار»[٣]، ويكون ذلك من عدة أوجه: «بإبراءٍ، أو هبةٍ، أو صدقةٍ، أو نَظِرةٍ إلى ميسرة، أو نحو ذلك بأن يكون واسطة في ذلك»[٤].

ولما كانت العادة أن الجزاء من جنس العمل ثوابًا وعقابًا، ومنه: اليسر باليسر[٥]: قال: «**يسَّر الله عليه**»، أي: أموره ومطالبه، «**في الدنيا والآخرة**»: مجازاة له عليه من جنس عمله[٦]، ويشمل هذا التيسير: تيسير المال، وتيسير

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «المفردات» (٨٩١). و«تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد» (٢/٦١٨).

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، «شرح الأربعين النووية» لابن عثيمين (٣٩٣).

(٤) ينظر: «الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية» للمحدث برهان الدين الشبرخيتي (٦٠٩).

(٥) «المعين على تفهم الأربعين» للعلامة ابن ملقن (٤٠٧).

(٦) «الفتوحات الوهبية» (٦٠٩).

الأعمال، وتيسير التعليم وغير ذلك، أيَّ نوعٍ من أنواع التيسير[1].

وهنا ذكر الجزاء في موضعين: الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة[2]، والتيسير "في الآخرة: بتسهيل الحساب، وما يتبعه من مشاقٍّ يوم القيامة"[3].

وهذا يدُلُّ على أنَّ الإعسار قد يحصل في الآخرة، وقد وصف الله يوم القيامة بأنه يومٌ عسير، وأنه على الكافرين غير يسير[4]، فدلَّ على أنه يسير على غيرهم[5].

(٢) الصفة المقيدة (الرَّدّ) العليَّة

❁ **الأدلة:** قال رسول الله ﷺ: «**من ردَّ عن عرضِ أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[6].

❁ **اللغة: الردُّ:** صرف الشيء بذاته، أو بحالةٍ من أحواله عما هو عليه، **فمن الأول:** ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، **ومن الثاني:** ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، والردُّ: الرجوع، يقال: ردَّه إلى منزله، أي: رجع[7].

---

(١) كما دلَّ التنكير في سياق الشرط، والذي يفيد العموم والشمول كما هو عند أهل الأصول معلوم.

(٢) «شرح النووية» لابن عثيمين (٣٩٣).

(٣) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة» عز الدين الصابري (١٢٣).

(٤) كما قال ربنا: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

(٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (٢/٢٨٩).

(٦) «صحيح الترمذي» (١٩٣١).

(٧) «عمدة الحفاظ» (٢/٨٢)، و«الصحاح» (٤٠٠).

❁ الشرح: أفعال ربنا سبحانه بكل أنواعها وأفرادها كمال محض يُحمد عليها، لأنها أفعال: هدى ورحمة، وفضل وحكمة، لا تخرج عن ذلك البتة، ولهذا فإن من محامد الله تعالى محبته للألفة بين المؤمنين، وقطع دابر الخصومة والفرقة أمام الشَّاقين، ولهذا جاء على لسان نبيِّه ﷺ الأمين بقوله: «**من ردَّ عن عرض أخيه**»، "في الدين، أي: ردَّ على من اغتابه وشان من آذاه وعابه"(١).

وسواء ردَّ عن عرضه وهو غائب أو حاضر، والأول أفضل، وهذا في الردِّ عن عرضه، وبه يعلم أنَّ المنع عن ماله، ودمه أفضل وأعظم عند الله أجرًا(٢).

قوله: «**ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»، أي: صرف الله عن وجهِ الرَّادِّ نارَ جهنم(٣)، جزاءً بما فعل(٤).

وهذا يدُلُّ على كمال جزاء الله تعالى لتضمُّنه الفضل، والعدل، وهذا غاية الكمال، ولهذا كما تقدَّم أنه أفعاله تعالى كلها مقترنة بسعة العلم، وكمال الحكمة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فانظر يا رعاك الله إلى عظم الجزاء أمام هذا العمل اليسير.

❁ ❁ ❁

(١) «فيض القدير» (٦/١٣٥).

(٢) «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (١٠/٢٣٣).

(٣) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٥/٣٤٥).

(٤) «فيض القدير» (٦/١٣٥)، يقول المناوي ﷺ: «وذلك: لأن عرض المؤمن كدمه، فمن هتك عرضه فكأنما سفك دمه، ومن عمل على صون عرضه فكأنما صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه عن النار».

(٣) الصفة المقيدة (الذِّكر) العليَّة

۞ الأدلة: ١) قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٢) قال ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم..**»(١).

۞ اللُّغَةِ: الذكر خلاف النسيان، والذكر: العلا والشرف، والذكر ذكران: ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللسان(٢).

۞ الشرح: قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾: تنوَّعت أقوال السلف في معنى الآية، فقيل: اذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي، فيما أمرتكم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي ومغفرتي لكم.

وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، وقيل: إن ذكرني عبدي بالتنزيه والتقديس سِرًّا، ذكرته بالثواب والرحمة سِرًّا، وقيل: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وغيرها من الأقوال والتي بمجموعها ترجع إليها(٣).

وذكر العبد ربَّه تعالى في نفسه نوعان:

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، وقال ﷺ: «لا يقعد قومٌ يذكرون الله ﷻ إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» مسلم (٢٧٠٠).

(٢) «مقاييس اللغة» (٣٢١)، و«المفردات» (٣٢٨).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (٤٣٣/١)، و«البغوي» (١٦٧/١)، و«ابن كثير» (٧٩/١)، و«شرح السنة» للبغوي (٢٦/٥)، و«فتح الباري» (٤٧٢/١٣).

أحدهما: في نفسه من غير حروف يسمعها هو.

الثاني: ذكر بلفظ خفي يسمعه هو دون غيره.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وذكر العبد في نفسه يتناول القسمين جميعًا(١).

وعليه: فإن العبد إذا ذكر الله تعالى في نفسه وهو: إما أن يكون سِرًّا بلسانه لا يسمعه أحد، أو قلبيًّا غير شفاهيًا، فإن الله يذكره في نفسه، ويثيبه ثوابًا مخفيًّا عن عباده، وأعطاه عطاءً لا يطَّلع عليه غيره(٢).

وكذلك إذا ذكر الله تعالى العبد عند جماعة، فإن الله يذكر العبد في ملإٍ خيرٍ منهم، أي: في ملأ من الملائكة يذكره عندهم، ويعلي ذكره، ويثني عليه عندهم، (وينبغي أن يعلم) أن الإنسان إذا ذكر الله في ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه(٣).

ومعنى النفس «ذكرته في نفسي»: "عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته العلا، ليس المراد بها ذاتًا منفكَّةً عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات"(٤).

"والذكر المضاف إليه تعالى هو من الصفات الفعلية، إذ هو فردٌ من

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/٤٨٥).

(٢) انظر: «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٤/٣٠). وتحفة الذاكرين للشوكاني (١١).

(٣) انظر: «شرح رياض الصالحين» (٤/٣٠)، وإنما صار الذكر في ملأ الثاني خيرًا من الذكر في الأول، لأن الله هو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملأ الذين يذكرون الله وليس الله فيهم، فيذكره سبحانه عندهم بما يعظم به شأنه ويرتفع به مكانه، بالثناء الجميل، وإعطاء الأجر الجزيل، وحسن القبول، وتوفيق الوصول. ينظر: «الفتح» (١٣/٤٧٣)، و«التحفة» (١٢)، و«مرقاة المفاتيح» (٥/١٤٠).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٩/٢٩٢).

أفراد الكلام الثابت له سبحانه، فصفة الكلام ذاتية لله تعالى، ومنها أفراد وآحاد تكون فعلية متى شاء ﷻ، ومن هذه الأفراد ذكره سبحانه لعبده، فهو ذكر مخصوصٌ بمن ذكره"[1].

ولذلك فهذا الذكر يختصُّ بمن ذكره تعالى، فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر[2].

وما أجمل أن يستحضر العبد حين يذكر ربه تعالى بأن الله يذكره في حاله وآنه، فقد جاء عن أحد كبار التابعين وهو: عثمان النهدي ﷺ أنه قال: "إني لأعلم حين يذكرني ربي، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: إن الله يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، فإذا ذكرت الله ذكرني"[3].

(٤) الصفة المقيدة (الإِفْسَاح) العليَّة

❁ **الأدلة: ١)** قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**لا يُقيم الرجل الرجل من مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم**»[4].

❁ **اللغة: الفسح**: الواسع من المكان، والتفسُّح: التوسُّع، يقال:

---

(١) «عقيدة أهل السنة في صفات الله تعالى» (٢٥٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/١٣٤).

(٣) «الصحيح المسبور من التفسير المأثور» (١/٢٥٩).

(٤) رواه أحمد (٨٤٦٢) (١٠٦٦) وحسن إسنادهما شعيب الأرنؤوط (١٤/١٧٣) (١٦/١٨٦) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٨).

"فسحت مجلسه فتفسح منه"[1].

* الشرح: أمر ربنا تعالى خلقه الذي أوامره كلها خير ورشد ومصلحة التي تعود على عباده بالمنافع والخيرات العاجلة والآجلة بأدبٍ سامٍ رفيع، وهو: أنهم "إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسُّح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود، وليس ذلك بضارٍّ الجالس شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسَّحَ الله له، ومن وسَّع لأخيه وسَّع الله عليه"[2]، كما في قوله سبحانه: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أطلق سبحانه الوعد بالجزاء على الفاسح ولم يقيِّده بزمان، ولا مكان، ولا حال، ليفيد العموم في الدارين، أي: يفسح الله له في عيشه، وقبره، وجنته.

قال الطاهر بن عاشور ﷺ: "وحذف متعلق ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: ليعلم كل ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة، من مكانٍ أو رزقٍ، أو جنَّة عرضها السموات والأرض على حسب النيات[3]"[4].

(١) «المفردات» (٦٣٥،) و«النهاية» (٧٠٥).

(٢) «تفسير السعدي» (٨٤٦).

(٣) «التحرير والتنوير» (١١) (٢٨/٣٨).

(٤) ومما جاء في معنى هذه الصفة الكريمة صفة (السعة) قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ وسَّع على مكروب في الدنيا وسَّع الله عليه كربه في الآخرة...» رواه أحمد (٧٧٠) وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (١٣/١٣٠).

(٥) الصفة المقيدة (الإخلاف) العليَّة

❁ الأدلة: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم! أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها**»(١).

❁ اللغة: **الخلف**: بالتحريك والسكون: كل من يجيء بعد من مضى، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر، والخلف: العوض(٢)(٣).

❁ الشرح: إن العبد في هذه الدار لا ينفكُّ من المصائب والنكبات، ولما كان ذلك له وقعًا شديدًا عليه، جعل الله تعالى له عوضًا وأجرًا عظيمًا إذا صبر واحتسب، ولم يشكو لأحد، لأنه سبحانه عطوفٌ شفوقٌ على أوليائه برٌّ بهم في كل أحوالهم.

قوله: «**فيقول ما أمره الله: إنا لله وإليه إليه راجعون**»: "كلمة اعترافٍ بالملك لمستحِقِّه، وتسليمٌ له فيما يجريه في ملكه، وتهوينٌ للمصيبات بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتب عليها، وتذكير المرجع والمآل الذي حكم به ذو العزة والجلال"(٤).

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (٩١٨)، وتكملة الحديث: أنَّ أم سلمة ﵂ قالت: «أيُّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ـ ثم إني قلتُها ـ فأخلف الله لي رسول الله ﷺ».

(٢) كما في الحديث: «اللهم أعطِ منفقًا خلفاً» البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).

(٣) النهاية (٢٧٩).

(٤) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/٤٥٤).

(٦) الصفة المقيدة (الإيواء) العليَّة

❁ **الأدلة:** قال رسول الله ﷺ: «**... ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله...**»(١).

❁ **اللغة:** آوى: انضمَّ، ورجع إليه، يقال: آوى إلى كذا: انضمَّ إليه، وأويتُ له: رحمتُه وضممته(٢).

❁ **الشرح:** هذه الصفة كأخواتها من الصفات المقيدة على وجه الجزاء بالمثوبة، والتي تتضمن: كمال رحمة الله، وفضله، وإحسانه، وعدله، وإرادته للخير للعبد، وعلى هذا "فإن الله تعالى يقابل إيواء العبد إليه بأن يؤويه، (ويقربه) إليه، حيث إنه لما آوى العبد إلى ربه ﷻ ولجأ إليه، قابله ربُّه وجزاه بقبول ذلك الإيواء منه، بأن ضمَّه وألجأه إليه.

ومن كانت هذه حاله، حصل له من الخير والنعيم والفضل من الله تعالى، ما يكون جزاءً له وثوابًا على إيوائه"(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد والناس معه، إذا أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقفنا على رسول الله. فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم. وأما الثالث فأدبر ذاهبًا. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال...» البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) «المفردات» (١٠٣)، و«النهاية» (٥٣).

(٣) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١٥٠).

(٧) الصفة المقيدة (الإقالة) العليَّة

۞ **الأدلة:** قال رسول الله ﷺ: «**من أقال مسلمًا أقال الله عَثْرَتَه يوم القيامة**»(١).

۞ **اللغة: أقاله:** أي رفعه من سقوطه، والمعنى هنا: وافقه على نقض البيع أو البيعة وأجابه إليه، والإقالة تجري في البيعة والعهد أيضًا(٢).

۞ **الشرح:** أخبر النبي ﷺ على أنَّ الله ﷻ يقابل إقالة العبد لأخيه المسلم في الدنيا، بأن يقيل عثرته في الدنيا والآخرة، إقالةٌ بإقالة، إلا أنَّ الجزاء أعظم من العمل، إذ الجزاء يوم القيامة في وقت العثرة الكبرى، في وقتٍ لا يمكن لأحدٍ أن يقيل أحدًا، إلا مالك الملك، فهو يقيل من يشاء من عباده رحمة منه وفضلاً، إلا أنَّ إقالة الله ليست من جنس إقالة العباد لبعضهم، وإن اتفقتا في المعنى العام، وهو رفع الساقط بعد عثرته، إلا أنه عند الإضافة لله تعالى لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين(٣).

وقوله ﷺ: «**من أقال مسلمًا**» أي: وافقه في فسخ البيع، وصور إقالة البيع: إذا اشترى أحدٌ شيئًا من رجل، ثم ندم على اشترائه، إما لظهور الغبن فيه، أو لزوال حاجته إليه، أو لانعدام الثمن، فردَّ المبيع على البائع، وقبل البائع(٤).

---

(١) صحيح ابن ماجه (٢١٩٩).

(٢) «فيض القدير» (٦/٧٩)، و«إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه» (٥/٤٨٥)، و«جامع الأصول» (١/٤٤١).

(٣) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١١٨، ١٢٠ ـ ١٢١).

(٤) «إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه» (٥/٤٨٥).

«**أقال الله عثرته**»: أزال الله تعالى مشقَّته وعثرته يوم القيامة[١]، وذلك لما فيه من إدخال المسرَّة على المستقيل، فإنه لا يستقيل إلا نادمًا، فإقالته تفريج لكربته وإزالة لندامته[٢].

وقد جاء في بعض الروايات من غير زيادة «**يوم القيامة**»[٣]، ليدلَّ على أنَّ إقالة الله تعالى لعبده المقيل قد تعمُّ الدنيا كذلك، وهذا فيه عظيم فضل الله تعالى على عباده، إلا أنه لا مقارنة بين عثرة الدنيا وعثرة الآخرة، فالإقالة في نشر الصحف ووضع الموازين أعظم نفعًا للعبد من إقالة الدنيا[٤].

أما تفسير إقالة الله لعباده بغفران الذنوب والتجاوز والصفح عنه، فهذا ليس تفسيرًا لمعناها، وإنما هو تفسير لها بلازمها وأثرها وما يترتب عليها، وإلا فمعناها الحقيقي: هو رفع من سقط في الذنب والمعصية إثر عثرة زلت به، وأثرها أن يعفو عنه ، ويغفر له زلته[٥].

(٨) الصفة المقيدة (الوَصْل) العليَّة

❁ **الأدلة: ١)** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصِلَ من وصلكِ...، قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك**»[٦].

---

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٦/٣١٥).

(٢) «التنوير شرح الجامع الصغير» (١٠/١٣٠).

(٣) كما في صحيح أبي داود (٣٤٦٠).

(٤) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١٢٠).

(٥) المصدر السابق (١٢١).

(٦) قال رسول الله ﷺ: «فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» [محمد: ٢٢]. البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

٢) وقال ﷺ: «**من وصل صفًّا وصله الله...**»[١].

* **اللغة: الوصل**: الاتصال والبلوغ، وهو يدُلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيء حتى يعلقه، وكل شيءٍ اتصل بشيء فما بينهما وصلة[٢].

* **الشرح**: من حكمة الله تعالى ولطفه محبته لكل ما يقرب بين المؤمنين ويشد سبل الألفة والتآزر فيما بينهم، حتى يكونوا كالجسد الواحد، ولذلك يقابل ويجازي عبادة بمقتضى أفعاله الحميدة والتي منها: (الوصل)، وجاءت هذه الصفة على جهة المقابلة بحسن الجزاء على نوعين:

الأول: في صلة الأرحام، كما في قوله: «**أما ترضين أن أصِلَ من وصلك**»: أي: «أن الله تعالى يصل عبده مقابلة له على وصله لرحمه»[٣]، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل، كان الله له أوصل[٤]، وصلة العبد لرحمه تكون: بالإحسان إليهم والعطف والسؤال.

الثاني: في وصل الصف في الصلاة: «**ومن وصل صفًّا وصله الله**»: أي: "من انضمَّ إلى صفٍّ ليصله بالحضور فيه وسدِّ الخلل منه، وبوقوفه فيه"[٥]، «**وصله الله**»، أي: ضمَّه وقرَّبه إليه، ولم يذكر متعلق الوصل، لإفادة العموم من كل وجه في الدنيا والآخرة، أي: وصله الله "برحمته، وغفرانه، ورفع درجته، وقربه من منازل الأبرار، ومواطن الأخبار"[٦].

---

(١) صحيح أبي داود (٦٦٦).

(٢) «الصحاح» للجوهري (١١٤٣)، و«مقاييس اللغة» (٩٥٧).

(٣) «عقيدة أهل السنة في صفات الله» (١٦١).

(٤) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٢/١٠٩).

(٥) «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٣/٢٥)، «عون المعبود» (٢/٧٥)، و«فيض القدير» (٢/٣٤١).

(٦) «فيض القدير» (٢/٣٤١)، و«التنوير» (٣/٢٥).

فمن وصله الله، وصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا، والآخرة، ولا بُدَّ أن تكون نهايته مجاورة ربِّه في الفردوس، لأن الوصل لا ينتهي إلا إلى هناك، فينظر إلى وجه ربه الكريم[1].

(٩ ـ ١٠) الصفتان المقيدتان (التنفيس) و(التفريج) العليَّتان

❁ **الأدلة: ١)** قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرَب الدنيا، نفَّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة**»[2].

٢) وقال ﷺ: «**... ومن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرَّج الله عنه كُربةً من كربات يوم القيامة**»[3].

❁ **اللغة: نفَّس**: كل شيء يفرج به عن مكروب، يُقال: "نفَّس الله عنه كربته"، أي: فرَّجها، والتنفيس هو الترويح، يقال: "نفَّس الله عنك الكرب"، أي: أراحك منه[4]، وفرَّج: كشف، يقال: "فرَّج الله الغمَّ" بالتشديد: كشفه، والفرج: انكشاف الكرب، وذهاب الغم"[5].

❁ **الشرح**: بين هاتين الصفتين "عمومٌ وخصوصٌ، فكلُّ تفريجٍ تنفيس، وليس كل تنفيسٍ تفريجًا، وذلك: أنَّ تفريج الكروب أعظم من تنفيسها، إذ التفريج إزالتها بالكلية، فتفرج عن المكروب كربته، ويزول همه وغمه، وأما

---

(١) «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» للعلامة عبد الله الغنيمان (٢/٦٧٧).

(٢) مسلم (٢٦٩٩).

(٣) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٤) «مقاييس اللغة» (٩١٠)، و«الصحاح» (١٠٥٨)، و«مدارج السالكين» (٣/١٣٩).

(٥) «لسان العرب» (١٠/٢٩)، و«المصباح المنير» (٢٦٩).

التنفيس فهو تخفيفها.

وهذا كما تقدَّم يرجع إلى أنَّ الجزاء: من جنس العمل، فجزاء التنفيس التنفيس، وجزاء التفريج التفريج جزاءً وفاقًا"[1].

قوله: «**فرَّج الله عنه من كرب يوم القيامة**»: خُصَّ التنفيس والتفريج يوم القيامة، إذ كُرَبه لا تقارن بكرب الدنيا[2]، "لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة كلا شيء، فادَّخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده، لينفس به كرب الآخرة"[3].

لأنها هي الدار الباقية، ودلَّ كذلك على "أنَّ المجازاة قد تكون في الآخرة من جنس الطاعة في الدنيا"[4].

والجزاء الموعود في يوم الخلود في تفريج الكروب من المخلوق إلى المخلوق، بأي نوعٍ يكون التفريج من الخطوب، كما دلَّ على ذلك: النكرة في سياق الشرط، والتي تفيد العموم، فـ"تعمُّ جميع الكرب المالية، والنفسية، والبدنية"[5]، فيدخل في "تفريجها: من أزالها بعلمه، أو ماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بالنصيحة، وإشارته، ورأيه، ودلالته وغير ذلك"[6].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/٢٨٥ ـ ٢٨٧)، و«دليل الفالحين» (٣/١٩).

(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١١٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٨٧).

(٤) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٨/٣٨٠) (٩/٢٨).

(٥) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة» (١١١).

(٦) «عمدة القاري» (١٢/٤٠٦).

القسم الثاني من صفات ربنا الفعلية العظيمة المقيدة:

الصفات الفعلية المقيدة على وجه العقوبة

هي الصفات الفعلية المقيدة الاختيارية على وجه المقابلة في الجزاء بالعقوبة، وتنقسم هذه الصفات إلى نوعين:

* **النوع الأول: العقوبة من جنس الفعل ونوعه**، أي: أن الله تعالى يجازي العامل بمثل عمله[1].

* **النوع الثاني: العقوبة من غير جنس الفعل ونوعه**[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: «هذا باب واسعٌ جدًّا، عظيم النفع، فمَنْ تدبره يجده متضمنًا لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصوده شرعًا وقدرًا، دنيا وأخرى»[3].

(١) فمن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة كما سيأتي.

(٢) كالخزي، والانتقام، والختم، والطبع، والاستدراج، عقوبة للكافرين والمعاندين والعاصين.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٤٤٦).

القواعد والضوابط

* القاعدة الأولى: (أن الصفة إذا كانت كَمالًا في حال، ونقصًا في حال، فما يثبت لله تَعالى منها هو حال الكمال المُقَيَّد)[1].

* الضابط الأول: (لا يوصف الله بهذا النوع إلا ومقرونًا بسببه).

هذا النوع من صفات الأفعال لا تطلق على الله على وجه الإطلاق بل على وجه المُقابلة وذكر السبب، هذا هو كمالها، «فإن الله تعالى لم يصف نفسه بها إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه؟ لأن هذا النوع من الصِّفات فيها نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لِمَنْ لا يستحقّه، وحسن: وهو إيصالُه إلى مَنْ يستحقّه، عقوبة له، فالأول: مذموم، والثاني: ممدوح، والرَّبُّ سبحانه إنَّما يفعل من ذلك ما يُحمد عليه عَدْلًا منه، وحكمة.

وهو سبحانه ينسب إلى نفسه أحسن هذه المعاني، وما هو منها حكمة وصواب وجزاء للمسيء، وذلك غاية العدل والحق، كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٦]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]...، فهذا منه سبحانه في أعلى مراتب الحسن، وإن كان من العبد قبيحًا سيئًا لأنه ظالم فيه وموقعه بمن لا يستحقه، والرب تعالى عادل فيه موقعه بأهله ومن يستحقه»[2].

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى (٧/١١١)، و«الفوائد» (١٨٢)، و«بدائع الفوائد» (٤/١٥٢)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٩١)، و«الوابل الصيب من الكَلِم الطَّيِّب» (٥٤)، و«شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (٣٠).

(٢) «إعلام المُوَقِّعين عن رَبِّ العالمين» (٣/٢١٨)، و«إغاثة اللهفان» (٢/١٤٥)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٧٤٦).

وبذلك كانت هذه الصفات على وجه التقييد كمالًا لأنها على وجه المجازاة والعُقوبة بنفس الفعل جزاءً وفاقًا لِمَن اتصف بها، لأن الله ﷻ يُجازي عبادَه بحسب ما يقوم بهم من الصِّفات مدحًا، وقبحًا، وهذا غاية العدل والقسط، والحكمة «فمن مكر: مكرَ به، ومن خادعَ: خادعَه... فمكره سبحانه الذي وصف به نفسَه: هو مُجازاته للماكرين بأوليائِه، ورسله، فيُقابل مكرُهم السيئ بمكره الحَسن، يكون المكر منهم: أقبح شيء، ومنه: أحسن شيء، لأنه عدلٌ ومجازاة، وكذلك المُخادعة منه: جزاء على مخادعة رسلِه وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة، والمكر»[1].

قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي: «نسب الله ﷻ المكر والكيد والاستهزاء إلى نفسه في عدة مواضع من القرآن الكريم، وبالرغم من أن هذه الخصال غير حميدة في حق غير الله، ويشوبها الظلم والعيب، إلا أنها تليق بالله وحسنة في حقه تعالى، فهي حقٌّ، وعدلٌ، ونزيهة من كل عيب وعارٍ وظلم»[2].

القاعدة الثانية: (يجب أن يفرق بين الصفة وأثرها وموجبها).

تقدم بيانُ[3] أنَّ لصفات ربنا الفعلية أثارًا ولوازم لا تنفك عنها، وأن هذه الآثار واللوازم لها موجبات، وهي: نتيجة الصفة وأثرها، وهو ما يسمى ويطلق عليها: بالجزاء بألوانه وأنواعه، وهو في الحقيقة ليس الصفة بذاتها وعينها.

---

(١) انظر: «الفوائد» (١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) «كشف الأسرار وعدة الأبرار» (٨١/١) نقلاً من «مناهج اللغويين في تقرير العقيدة» د. محمد الشيخ (٤٠١).

(٣) في القسم الأول من الصفات المقيدة على جهة المقابلة بالمثوبة.

وهذا الفهم الدقيق يجب العناية به جيدًا، لأنه من العلم الجليل الموروث من العلماء الراسخين الذين هم ورثة الأنبياء والمرسلين، فيما يجب أو خلافه في حق ربِّ العالمين.

قال الإمام الحافظ الأوحد أبو مظفر السمعاني في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]: «المكر من العبد: الخبث والخداع، ومن الله تعالى: أن يأخذ العبد بغتة من حيث لا يعلم، وإنما سماه مكرًا على المقابلة، لأنه جزاء مكرهم»[١].

فالمجازاة هي نتيجة: المكر، والخداع، والسخرية، والاستهزاء، لا هي ذواتها[٢]، وكذلك (اللعنة، والغضب، والمقت) هي أمور مستلزمة للعقوبة[٣]، وكذلك في صفة (القطع)[٤] فإن من موجباتها «وآثارها ولوازمها: حرمان الإحسان»[٥] والخير والإنعام، وقل كذلك في باقي هذا النوع من الصفات الفعلية المقيدة.

القاعدة الثالثة: (الصفات المقابلة تطلق كلها على الحقيقة وليست من باب المشاكلة أو المجاز).

صفات ربنا العظيم بجميع أنواعها تطلق على الحقيقة لا على المجاز، وهذا أصل مقرر عند جميع أهل السنة والجماعة[٦].

---

(١) «تفسير القرآن» (١/٣٢٣).

(٢) «منهج اللغويين في تقرير العقيدة» (٤٠١).

(٣) «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٨٧٩).

(٤) انظر هذه الصفة رقم (٩).

(٥) «الصفات الواردة على سبيل المقابلة» (٦٧٣).

(٦) قال الإمام الحافظ قوام السنة التيمي: «من حمل اللفظ على ظاهره وعلى مقتضى اللغة حمله على حقيقته، ومن تأوله عدَلَ به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى».=

ومن أنواع المجاز المشاكلة عند جمع من اللغويين[1].

والمشاكلة: المماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي: مثله[2]، وهو: أن يأتي المتكلم في كلامه باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فتشاكل إحدى المشاكلتين اللفظتين الأخرى في الخط واللفظ، ومفهومهما مختلف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، فإن مقابلة الاعتداء بمثله لا يسمى في الأصل اعتداء، ولكن سَوَّغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة، وليعطي اللفظ معنى المماثلة في تطبيق العقوبة دون زيادة، لأن معنى كلمة (اعتدى) في الأصل تجاوز حدود الحق، ومن العدل أن يقابل التجاوز بمماثل له[3].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ولكنها سميت للجزاء[4].

وهذا لا يقع في صفات ربنا المقيدة لأنه منافي لكمالها الأعلى، كما سيأتي بيانه في الضابط الثاني.

*** الضابط الثاني: (تطلق هذه الصفات باسمها على الحقيقة، لا على جزاء الذنب باسمه).**

هذا الضابط الجليل هو تأكيد وتوضيح للقاعدة المتقدمة، وكذلك للتي قبلها، وبيان ذلك: أن تسمى هذه الصفات المقيدة على حقيقتها

= «الحجة في بيان المحجة» (١/٤٨٢).

(١) انظر هذه الأقوال في «عقيدة أهل السنة في صفات الله على سبيل المقابلة» (٥٦٢).

(٢) «مقاييس اللغة» (٤٥٥).

(٣) انظر: «الصفات الواردة على سبيل المقابلة» (٥٦٠).

(٤) «تهذيب اللغة» (١٠/٢٤٠).

التي قَصَدَها وأرادها الشارع الحكيم، دن الادعاء أنها من باب: المشاكلة، أو المجاز، أو المجازاة[1]، فإن ذلك صرف عن أصلها، وهو: الحقيقة، وهو ينافي ما جاءت به في سياق الكمال على جهة المقابلة بالحق والعدل والإنصاف، الذي يدلّ على أن صفات ربنا كلها جارية على سنن الهدى والحكمة، والحمد والرحمة والفضل والعدل، قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

* **الضابط الثالث: (أن آثار هذه الصفات لا يشعر من تتعلق به).**

فالكيد من الله هو: أن يوقع الله من يكيد في دينه بشؤم أفعاله من غير أن يشعر المكيد به، والاستهزاء من الله هو: أن يظهر الله للمستهزَأ به ما يرضيه، ويتسبب في غفلته، فيقع في شؤم فعله، (وبالجملة): إن الله تعالى ينزل العقوبات مقابلة من اتصف بها دون أن يشعر بها[2][3]، هذا في الغالب، والله أعلم.

* **القاعدة الرابعة: «أن الصفة إذا كانت نقصاً في كل حال، فإنها لا تطلق على الله في أي حال».**

---

(١) كما ادعى في ذلك بعض أهل العلم في جملة من الصفات وهي: (المكر، والخداع، والكيد، والاستهزاء...) بقوله: «وسُمّي جزاء الذنب باسمه لازدواج، وليُعلم أنه عقاب عليه، وجزاء به»، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/٩٦، ٩٧، ٤٠٨) (٢/٢٢١) (٣/٢٣٧)، وكما قال الأزهري: «المكر من الله جزاء، سمي باسم المكر المجازي...». «تهذيب اللغة» (١٠/٢٤٠)، وانظر: (٦/٣٧٠).

(٢) «العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية» د. سلطان العميري (١/٣٤٠) بتصرف يسير.

(٣) قال شيخ المفسرين ابن جرير بعد أن ذكر الأقوال المتعددة في هذه الصفات: «الصواب في ذلك بين القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قِيله وفِعْله مورِدُه مساءةً باطنًا، كذلك معنى الخداع والسخرية والمكر». «جامع البيان» (١/١١٨).

مثل صفة الغدر والخيانة، فإنها مذمومة من كل وجه، لأن الخيانة معناها: الخديعة في مقام الائتمان، ولهذا فإن النبي ﷺ قال: «**ولا تخن من خانك**»[1]. ولذا: لما ذكر سبحانه خيانة الكافرين له، لم يقابلهم بنفس صنيعهم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧١][2]، وكذلك (الظلم) وكل الصفات المنفية.

(١) صحيح أبي داود (٣٥٣٥).

(٢) انظر: «تفسير سورة البقرة» (١/٥٨)، و«شرح الواسطية» (١/٢٦٢) لابن عثيمين.

النوع الأول: العقوبة من جنس الفعل ونوعه

(١) الصفة المقيدة (المَكْر) الكمالية

۞ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

٢) كان من دُعاء النبي ﷺ: «رَبِّ أعِنِّي ولا تُعِن عليّ، وانصُرْني ولا تَنْصُر عليّ، وامْكُرْ لي ولا تمكر عَلَيَّ»[(١)].

۞ اللغة: المكر في الأصل: إخفاء الحِيلة، وهو الخديعة، وهو التوصل بالأسباب الخَفِيَّة إلى الإيقاع بالخَصْم، دون أن يشعر ويعلم[(٢)].

۞ الشرح: هذه أول الصِّفات الكَمالية المقيدة التي يوصَف الله تعالى بها على وجه المُقابلة على من عامل الله تعالى بها، فهو تعالى يمكر حيث لا يقدر الماكرون على معرفة مكره، وهم يمكرون تحت سمعه، وبصره، لا يخفى عليه أمرهم[(٣)]، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾؛ أي: أقواهم، وأقدرهم مكرًا، فكون الله تعالى أشدّ مكرًا منهم، فهذا صفة كمال، ولهذا يتبين أن الله تعالى أعلى وأعظم من هؤلاء الماكرين على الإطلاق.

وبهذا القيد يكون كمال من كل وجه، لأنه سبحانه لم يقل: أمكر الماكرين، بل قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فيكون مكره خيرًا، ولهذا يصح أن نصفَه سبحانه بذلك، فنقول: هو خير الماكرين، أو نصفه بصفة المكر

---

(١) «صحيح أبي داود» (١٥١٠).

(٢) «عمدة الحُفّاظ» (٤/١٠٣)، و«القاموس المحيط» (١٢٣٧)، و«لسان العرب» (٥/١٨٣)، و«إعلام الموقعين» (٣/٢١٨).

(٣) «المنحة الإلَهية في أدلة الصفات الربانية» (٦٦٢).

في سبيل المُقابلة، أي: مقابلة من يمكر به، فنقول: إنَّ الله تعالى ماكر بالماكرين، لقوله سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبهذا علم أن الله تعالى يتصف بالمَكْر الحسن الذي لا أحسن ولا أكمل منه، وهو إيصال ما يُريد لِمَن يستحقه على وجه الجزاء العادِل الذي لا جور فيه، ولا ذَمّ، بخلاف غيره من خلقِه، فإنَّ مكرهم شيء مذموم، لأنهم يضعونه في غير محلِّه أي: بمن لا يستحقُّه، فهو خيانة وغدر(١).

ولهذا ينبغي أن يُعلم: أن الله سبحانه كما يمكر بأعدائه عدلاً جزاءً وفاقًا، أنه كذلك يمكر لأوليائه فضلاً منه وإحسانًا، كما في دعاء النبي ﷺ: «**ربِّ أعني ولا تُعِنْ عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ**»(٢).

(٢) الصفة المقيدة (الكَيْد) الكمالية

❁ الأدِلَّة: قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٦].

❁ اللغة: الكيد: ضرب من الاحتيال فيما يقصده الإنسان، وغلب في المكر، وقد يكون مذمومًا، وممدوحًا، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر، فمن الممدوح: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقوله: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣](٣).

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» (٦٩/٢) و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٨٨) لابن عثيمين، و«اللآلئ البهية» (٤٥٢/١)

(٢) «صحيح الترمذي» (٣٥٥١).

(٣) «المُفْرَدات» (٧٢٨)، و«عمدة الحُفّاظ» (٤٤١/٣).

❁ الشرح: هذه الصفة المقيدة كسابقتها ولاحقها من الصِّفات التي لا يجوز إطلاقُها في حَقِّ الله تعالى إلا على جهة الجَزاء، وليست من النوع الذي يُمدح فاعله على الإطلاق، لأنها في مُقابلة من يعامل الفاعل بِمِثل فعله، وهي تدلُّ على أن فاعلَها قادرٌ على مقابلة عدوه بِمِثل فعله أو أشد[1]، ولهذا كانت في هذا المقام كمال ما بعده كَمال.

وقد قَصَّ لنا رَبُّنا ﷻ كيف يكيد كفار مكة للرسول ﷺ كيدًا عظيمًا كما دل التنكير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، ولكن الله تعالى يكيدُ بهم كيدًا أعظمَ وأشدَّ من كيدهم جزاءً وفاقًا، عدلًا منه عزَّ شأنُه، فقال: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، ومن كيدهم ومكرهم به ﷺ ما ذكره في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[2].

فقابل سبحانه كيدَهم بكيدٍ لا نظير ولا مثيلَ له، كما دلَّ التنكير في قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ «والتنكير فيها: للتعظيم، وهكذا يكيد الله ﷻ لكلِّ من انتصر لِدينه، فإنه يكيد له، ويؤيِّده، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، يعني: عملنا عملًا حصل به مقصودُه دون أن يشعر به أحد، وهذا من فضل الله ﷻ على المرء: أن يقيَه شَرَّ خصمِه على وجه الكيد، والمكر على هذا الخصم الذي أراد الإيقاع به»[3].

فالرب يكيد لمن يواليه، ويكيد من يعاديه، «فكيده لا يخرج عن نوعَيْن:

---

(١) «القواعد المُثْلَى» لابن عثيمين (٢٩).

(٢) الأول: (ليثبتوك) يعني: يحبسوك. الثاني: (يقتلوك) يعني: يعدموك. الثالث: (يخرجوك) يعني: يطردوك. «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/٧٠) بتصرف يسير.

(٣) المصدر السابق (٢/٧١).

أحدهما ـ وهو الأغلب ـ: أن يفعل تَعالى فعلًا خارجًا عن قدرة العبد الذي كاد له، فيكون الكيدُ قدرًا زائدًا محضًا، ليس هو من باب الشرع، كما كاد أعداء الرسل بانتقامه منهم بأنواع العُقوبات، وكذلك كانت قصة يوسف.

والنوع الثاني من كيدِه سبحانه لِعبده المؤمن: هو أن يُلهمه تَعالى أمرًا مُباحًا، أو مستحبًّا، أو واجبًا يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون على هذا: إلهامه لِيوسف أن يفعل ما فعلَ، هو من كيده تعالى أيضًا، وقد دَلَّ على ذلك قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦]...»[(١)].

قال شيخ الإسلام ﷺ: «فكاد له (أي الله تعالى) كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥][(٢)]، أي: كادوا له ﷻ بأنواع المكايد، فكادهم الله عقابًا لهم «وكان هذا من أعدل الكيد، بل وغاية الإحسان من الرب»[(٣)].

وصور كيده سبحانه لأعدائه، وأعداء رسله، وأصفيائه كثيرة ومتنوعة، منها: أنه يستدرجهم من حيث لا يعلمون، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣]؛ أي: أنه تعالى يواتر نعمَه عليهم مع انهماكهم في الغَيّ، حتى يغترُّوا بما هم فيه من الخير، ظانِّين أن النِّعَم عليهم أثرة من الله تعالى وتقريب، وإنما هو خُذْلان وتبعيد، لأنه من كيدِه سبحانه القوي الشَّديد[(٤)].

---

(١) انظر: «إعلام الموقّعين» (٣/٢١٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/١١١).

(٣) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٧٤٣) بتصرف يسير.

(٤) «تفسير النَّسَفي» (٣٩٧)، وابن كثير (٢/٣٦٩) بتصرف.

(٣) الصفة المقيدة (الإزاغة) الكمالية

۞ الأدِلَّة: ١) قال رَبُّ العالمين: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

٢) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أكثر دعائه ﷺ: «**يا مُقَلِّب القلوب ثَبِّت قلبي على دِينِك**»، فقالت: يا رسول الله! ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دِينك؟ قال: «**يا أُمّ سلمة! إنه ليس آدمي إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمنْ شاء أقام، ومَن شاء أزاغ**»، فتلا معاذ قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨][1].

۞ الشَّرْح: الزَّيغ: المَيْل عن الاستقامة والجور عن الحق[2].

وصف رَبّنا نفسه بفعل الإزاغة مقابلة لِمَن زاغ من الورى، عن اتِّباع الهُدى، واتبعَ الهَوى، فكان عقوبة وجزاء عدلًا منه تعالى أن يزيغ قلبه.

وقد جاء هذا الفعل المقيد الحق في إخباره سبحانه لِنَبِيِّه ﷺ عن قول موسى عليه السلام لِقومه مُوَبِّخًا لهم على صَنيعهم، ومُقَرِّعًا لهم على أذيته وهم يعلمون أنه رسول الله إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، وكان من المُفترض أن يكون للرسول الإكرام والتوقير، والتَّعظيم، والانقياد لأوامِرِه التي جاء بها عن رَبِّه ﷻ، فلمّا قابلوا ذلك بالزيغ وهو العُدول عن اتِّباع الحَقِّ مع علمهم به ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عقوبة

(١) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٢٢)، و«في ظلال الجنة» (٢٢٣).
(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/١٥٧)، و«القاموس المحيط» (٥٨٣).

لهم على زَيْغِهم الذي اختاروه لأنفسهم، ورضوه لها، ولم يُوفقهم الله تعالى لِلهُدى، لأنهم لا يَليق بهم الخير، ولا يصلحون إلّا لِلشَّرِّ[1].

وهذه العُقوبة على الذنب بالذنب[2]، جزاءً وِفاقًا بالحق.

(٤) الصفة المقيدة (الخِدَاع) الكمالية

۞ **الأدِلَّة:** ١) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

٢) عن الزُّبير بن العَوّام أنه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة، فقالت له وهي حامل: طيب نفسي بتطليقة، فطلَّقها تطليقة، ثم خرج إلى الصلاة، فرجع وقد وضعت، فقال: ما لها خدعَتْني، خدعَها الله، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: «**سبق الكتاب أجله، اخطُبْها إلى نَفْسِها**»[3].

۞ **اللغة:** **الخداع** هو: إنزال الغير عَمّا هو بصدده بأمر يبديه على خِلاف ما يُبطنه، ويُخفيه، أي: إنزال المكروه من حيث لا يعلم[4].

۞ **الشَّرْح:** وصف ربنا عز شأنه نفسه بالخداع على من يُخادعه، وهذا على جهة المُقابلة، يدل كما تقدَّم على المدح، والكمال، «لأنه يدلُّ على قوة المُخادع، لأنه أشد مكرًا من عدوِّه، وأشد خِداعًا، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، أما إذا

(١) انظر: «تفسر ابن كثير» (٤/٤٧٣)، وتفسير السّعدي (٨٥٩).
(٢) تفسير ابن عطية (٥/٣٠٢).
(٣) صحيح ابن ماجه (٢٠٢٦).
(٤) «المفردات» (٢٧٦)، و«مختار الصحاح» (١٠٣).

كانَ ليس له سبب، وكان خداعًا في موضع الائتمان، فإنه لا يُسمَّى خداعًا، وإنما يُسَمَّى خِيانة، وهذا ذَمٌّ وعيب بكل حالٍ، ولهذا لا يوصَف الله ﷻ بالخائن مطلقًا، حتى الذين يخونون الله لا يُقابلهم بالخيانة كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانَهم، حتى أن الرسول ﷺ قال: «لا تَخُنْ مَنْ خانَكَ[1]»[2].

وخِداعه سبحانه لأعدائه واقعٌ في الدُّنيا، وكذلك في يوم القِيامة، ففي الدنيا: كما قاله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ «يعني: أنَّ الله يُقابل خداعَهم بِخِداع من عنده، ومخادعته إياهم أنه يُملي لهم حتى يستمرُّوا على هذا ويستمرئوه، فيبقون كُفَّارًا مع شَياطينهم، ومسلمين مع المؤمنين، ويعصمون بهذا النِّفاق دِماءهم، وأموالَهم، وهذا هو خِداع الله تعالى لهم، أنه يُملي لهم ليستمرُّوا في نِفاقهم، ثم يختم لهم بِسُوء الخاتمة»[3].

والثاني: خِداعه لهم يوم القِيامة[4]»[5]، فقد جعلَ الله تعالى خِداع أوليائه خِداعًا له سبحانه، لِعِظَم شأنهم عنده تعالى، فهو سبحانه الذّابّ والدافِع عنهم، الناصر لهم في الدُّنيا والآخرة، فينبغي لكلِّ عبدٍ أن يحمدَ

---

(١) صحيح الترمذي (١٢٦٤).

(٢) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (٢/٣٦١).

(٣) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(٤) وهو ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٤].

(٥) «تفسير السعدي» (٢١١).

الله تعالى في الليل والنَّهار، وفي السِّرِّ والجهار أن جعلَه من المؤمنين، ولم يجعله من الكافرين والمنافقين، وأن يسألَه سبحانه أن يثبته على الإسلام[1].

(٥) الصفة المقيدة (الاِسْتِهْزَاء) الكمالية

❁ الأدِلَّة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

❁ اللغة: الهزء: السُّخرية. والهزو: الاستخفاف، يقال: استهزأ به يستهزئ؛ أي: استخفَّ به[2].

❁ الشَّرْح: وصف الله تعالى نفسه كما في الآية المتقدمة بالاستهزاء على حقيقته التي تليقُ به، وهو على قاعدة أهل السنة والجماعة السلفية يجرى على ظاهره، وهو: أن الله ﷻ يستهزئ بِمَن يستحق الاستهزاء، فهو استهزاء حق، ليس استهزاء يتضمن نقصًا، لأن الله تعالى كل ما وصف نفسه بوصف فهو وصف كَمال لا يتطرَّق إليه عيب، ولا مذَامّ.

ولهذا إن الله لا يصف نفسَه بالاستهزاء على وجه الإطلاق، وإنَّما وصف نفسَه بالاستهزاء في مُقابلة المستهزئين بِعباده المؤمنين، وهذا دالٌّ على كَماله، وقوته، وعدم عجزه عن مُقابلتهم، وأنه سبحانه أقوى، وأعظم، وأشد منهم، فالله يستهزئ بِمَن يستهزئ به، أو بِرُسله، أو بشرعه،

(١) كما كان يسأله خير الأنام ﷺ: «يا وليّ الإسلام وأهله ثَبِّتني على الإسلام حَتّى ألْقاكَ عليه». «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (١٤٧٦).

(٢) «لسان العرب» (٩/٨٥)، و«عمدة الحفاظ» (٤/٢٤٩).

جزاءً وِفاقًا، وهذا من كَمال حكمته سبحانه: حيث جعل سبحانه الجزاء من جنس العمل، (فكل من عامل عِبادَه بصفة عامله الله بِمِثلها) وهذا (أيضًا) من عدل الله ﷻ، وهو ثابت في الدنيا وفي الآخرة، بل إن جَزاء الله تعالى عُمومًا، دائر بين: العدل، والفضل، فهو بالنسبة لِلعُصاة عدل، وبالنسبة لِلطائعين فضل، وعلى هذا فمعنى قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يعني: أنه ﷻ يستهزئ بهم، ويتخذهم هُزُوًا[1].

واستهزاءه الحقُّ بأعدائه سبحانه متنوع في الدّارين:

ففي الدنيا: «أنه يُملي لهم، ويمهل لهم، ويمدهم، ويدعهم في هذا الطغيان يضيعون، ويتيهون»[2]، وهذا من استهزائه تعالى بهم جزاء لهم على استهزائهم بِعباده.

ومن استهزائه تعالى بهم: أن زيَّنَ لهم ما كانوا فيه من الشّقاء، والحالة الخبيثة، حتى ظَنُّوا أنهم مع المؤمنين، لما كف أيدي رسول الله وأصحابه عن قتلهم، مع أنهم في الآخرة في الدَّرك الأسفل من النار[3].

ومن استهزائه سبحانه (الكامل العدل) بهم يوم القِيامة: أنه يُعطي المؤمنين نورًا ظاهرًا، فإذا مشى المؤمنون بِنُورهم طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظُّلْمَة بعد النُّور متحيرين، فما أعطاهم اليأس بعد الطمع[4].

قال مجاهد رحمه الله: «ويعطون النور جميعًا (أي: المؤمنون والكافرون)

---

(١) انظر: «أحكام من القرآن» (١/٩٩ ـ ١٠١)، و«تفسير سورة البقرة» (١/٥٤ ـ ٥٧) لابن عثيمين بتصرف يسير.

(٢) «أحكام من القرآن الكريم» (١/٩٨).

(٣) «تفسير السعدي» (٤٣)، و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٥٤).

(٤) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. «تفسير السعدي» (٤٣).

يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز (أي: يفترق) بينهم حينئذٍ»[1]. وهذا من أشد الاستهزاء، والعياذ بالله تعالى.

قال قوَّام أهل السنة الأصبهاني ﷺ: «وتولى الذَّبّ عنهم (أي: المؤمنين) حين قالوا (أي: المنافقين): (إنما نحن مستهزئون) فقال: (الله يستهزئ بهم)، وقال: (فيسخرون منهم سخر الله منهم)، وأجاب عنهم فقال: (ألا إنهم هم السفهاء)، فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيب، وتولى المجازاة لهم، فقال: (الله يستهزئ بهم)، وقال: (سخر الله منهم)، لأن هاتين الصِّفتين إذا كانتا من الله، لم تكن سفهًا، لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السَّفه، بل ما يكون منه، يكون صوابًا وحكمة»[2].

ومن استهزاء الله القولي بهم: «هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه...، وهذا كله حق، وهو استهزاء بهم حقيقة»[3].

(٦) الصفة المقيدة (الإِعْرَاض) الكمالية

❁ **الأَدِلَّة:** قال ﷺ: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة... وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**»[4].

❁ **الشَّرْح:** الإعراض هو: التولي والصد، جاءت صفة الإعراض

---

(١) «التفسير الصحيح» (٤/٤٤٧).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨١).

(٣) «كتاب الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤).

(٤) البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦). وأصل الحديث أنه ﷺ: (بينما هو جالس في المسجد والناس معه فأقبل اثنان إليه، وذهب الآخر، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا).

المقيدة على الوجه المُقابلة لِمَن اتصف بها، وهذا من عدله سبحانه، وحكمته، وكمال قدرته، فإنَّ رَبَّنا ﷻ يُعامل عباده بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، على الوجه الأكمل، فمن أعرضَ عن الله ﷻ، وآياته، ورسولِه، وسبيلِ أوليائه، عامله جزاءً وِفاقًا بالإعراض عنه.

«وإعراضه تعالى عن عبده في الدنيا: بأن يتركه ويكله إلى نفسه وإلى ما تولاه»[1].

وأما في الآخرة: الإعراض عن رحمته وثوابه وفضله، والله أعلم.

(٧) الصفة المقيدة (العَدَاوة) الكمالية

❁ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**عادى الله من عادى عليًّا**»[2].

❁ **الشَّرْح:** أثبت الله ﷻ لِنَفسِه صفة العداوة، أي: أن الله تعالى يُعادي، لكن لا يُوصَف بها على الإطلاق وإنَّما يوصَف بِكَمالها، وحسنها، وهو: في مُقابلة من يُعاديه، ويعادي ملائكته، ورسله، كما ذكرهم تعالى في

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. انظر «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (٣٣٥).

(٢) وفي لفظ: «من كنت مولاه، فهذا مولاه (أي: علي ﷺ)، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه» صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٦٦)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠)، وقال ﷺ: «من عادى عمارًا عاداه الله..» صحيح الجامع (٦٣٨٦).

الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾؛ «أي: من عاداني، وملائكتي، ورسلي ـ ورسله تشمل: رسله من الملائكة، والبشر، وجبريل، وميكال، وهذا من باب عطف الخاص على العام»[1] إذ هُما داخلان في الملائكة لِعِظَم شأنهما.

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: هذا جواب الشرط: من كان عدوًّا لله، فالله عدوٌّ له، ومن كان عدوًّا للملائكة فإن الله عدوٌّ له، ومَن كان عدوًّا لرسله فإن الله عدوٌّ له، ومَن كان عدوًّا لجبريل فإن الله عدوٌّ له، ومن كان عدوًّا لميكائيل فإن الله عدوٌّ له، وهنا أظهر في موضع الإضمار (أي: ذكر اسم الجلالة (الله)، ولم يقل: فإنه عدو للكافرين)، لِفائدتَيْن: إحداهما: لفظية، والثانية: معنوية:

أما الفائدة اللفظية: فمُناسبة رؤوس الآي.

وأما الفائدة المعنوية: فهي تتضمَّن ثلاثة أمور:

الأول: الحكم على أن مَن كان عدوًّا لله ومن ذُكر، بأنه يكون كافِرًا، يعني: الحكم على هؤلاء بالكُفْر.

الثاني: أن كلَّ كافرٍ سواء كان سبب كُفْره مُعاداة الله أو لا، فالله عدوٌّ له.

الثالث: بيانُ العِلَّة، وهي في هذه الآية: الكُفر، فكل كافِر فالله عدوٌّ له.

وفي الآية: إثبات صفة العَداوة من الله تعالى؛ أي: إن الله يُعادي (مَن يُعاديه، ويُعادي أولياءه)، وهي صفة فعلية، كالرِّضا، والغضب،

(١) «تفسر ابن كثير» (١/١٩٥).

والسُّخْط، والكَراهة، والمُعاداة ضِدّها المُوالاة الثابتة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٧٥][١].

(٨) الصفة المقيدة (الإيعاء) الكمالية

❁ الأَدِلَّة: عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ: أنها جاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبي الله! ليس لي شيء إلّا ما أدخل عليَّ الزُّبَيْر، فهل عليَّ جناح أن أرضخ مما يُدخل عليّ؟ فقال: «**ارضخي**[٢] **ما استطعت، ولا توعي، فيوعي الله عليك**»[٣].

❁ اللغة: الوعي: الجمع، والحفظ، يقال: أوعيت الشيء في الوعاء: إذا أدخلت فيه، ووعيت الشيء: حفظته[٤].

❁ الشَّرْح: جاءت الصفة الاختيارية المقيدة الوعي في سياق إخبار النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر ﷺبقوله: «**ارضخي ما استطعت**» فيه: «الحَثّ على النفقة في الطّاعة، والنَّهي عن الإمساك والبخل، وعن ادِّخار المال في الوعاء[٥]، والمعنى: أنفقي بغير إجحاف، ما دمت قادرة مستطيعة»[٦].

ثم نَهاها ﷺ بقوله: «**ولا توعي**»؛ أي: «لا تجمعي ولا تشحي

---

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٣١٣ ـ ٣١٨).

(٢) ارضخي: أي: أعطي بغير تقدير. «المفهم لِما أشكل من تلخيص مسلم» (٣/٥٧).

(٣) البخاري (١٤٣٤)، ومسلم (١٠٢٩).

(٤) «النهاية» (٩٨١)، و«معجم «الصحاح» (١١٤٩).

(٥) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٤/١٢٨).

(٦) «فتح الباري» (٣/٣٧٩).

بالنَّفَقَة»[1] خشية النفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لِقَطع مادَّة البركة، لأن الله تعالى يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء، لا يحسب عليه عند العطاء[2].

ثم حذَّرها بأن الله تعالى سَيُعاقبها ويُعاملها بنفس الصفة، فقال لها: «**فيوعي الله عليك**»؛ أي: «يمنعك كما منعت، ويقتر عليك كما قترت، ويمسك فضلَه عنك كما أمسكته»[3] جزاءً عدلًا، حسنًا، ممدوحًا، كاملًا، لأنه كان في مُقابلة الوصف بالمِثْل، ولم يكن ظُلْمًا منه، ولا جَوْرًا.

قال إمام الدنيا علامة الزمان الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ، فيه: «إثبات وصف الله بذلك حقيقة، على الوجه اللائق به سبحانه، كسائر الصِّفات، وهو سبحانه يُجازي العامل بمِثْل عمله، فمن مَكَرَ مكرَ به، ومن خادَع خدعَه، وهكذا من أوعى أوعى الله عليه، وهذا قول أهل السنة والجماعة، فالزمْهُ تَفُزْ بالنجاة والسلامة، والله الموفق»[4].

(٩) الصفة المقيدة (القَطْع) الكمالية

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال رب العالمين: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٣].

٢) قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَة بالعرش، تقول: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ**

(١) «النهاية» (٩٨٢).
(٢) «الفتح» (٣/٣٧٩).
(٣) «شرح صحيح مسلم» (٤/١٢٩).
(٤) تعقيب الشيخ ابن باز على ابن حجر في الحاشية على فتح الباري (٣/٣٧٩).

الله، ومَنْ قطعَني قطعَه الله»[١].

۞ **اللغة**: القطع هو: فصل وإبانة شيء من شيء، وهو ضربان: ١) يدرك بالبصر، ٢) يدرك بالبصيرة، والقطيعة: الهجران[٢].

۞ **الشَّرْح**: جاءت صفت القطع المقيدة في القرآن الحكيم في عقوبة المكذبين «باستئصالهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحدًا»[٣]، وجاءت بالسنة الشريفة في مقابلة بالعقوبة لمن قطع ومنع خيرًا عظيمًا في مقصدين جليلين:

الأول: من أجل الحقوق الخلقية، وهي: صلة الرحم.

الثاني: من أجل الحقوق الربانية، وهي: الصلاة.

وقطع الرحم: يكون بالهجران: بعدم السؤال، وإيصال الخير لهم والإحسان. وقطع الصف في الصلاة: يكون بعدة أوجه منها: «بأن يخرج منه بغير حاجة، أو بأن يراه محتاجًا إلى الوصل فلم يصله»[٤] وغير ذلك.

وقوله ﷺ: «**قطعه الله**»: لم يبين نوع القطع ليدلَّ على العموم والشمول، أي: «أبعده من ثوابه، ومن رحمته الشاملة، وعنايته الكاملة»[٥].

وفي الاجتماع بينهما[٦] اجتماعٌ وصف الكَمال في الجَزاء بِنَوْعَيْه، إذ إن الجزاء إما أن يكون: بالفضل، وإما أن يكون بالعدل:

---

(١) البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٤٦٣٥)، وقال ﷺ: «من وصل صفًّا وصله الله. ومن قطع صفًّا قطعه الله». صحيح أبي داود (٦٦٦).

(٢) ينظر: «عمدة الحفاظ» (٣/٣٢٢)، و«القاموس المحيط» (١٠٧٠)، و«المعجم الوسيط» (٧٧٩).

(٣) «تيسير الكريم المنان» (٢٩٤).

(٤) «التنوير» (٣/٢٥)، و«فيض القدير» (٢/٣٤١).

(٥) «عون المعبود» (٢/٧٥)، و«فيض القدير» (٢/٣٤١).

(٦) أي: في الوصل والقطع.

الجزاء بالعدل والفضل: دَلَّ عليه صفة (الوصل)

والجزاء بالعدل: دَلَّ عليه صفةُ (القطع) والله تعالى أعلم.

(١٠) الصفة المقيدة (النِّسْيَان) «بمعنى التَّرْك» الكمالية

❁ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف:٥١]

٢) حديث رؤية مُخاطبة الله تعالى الكافر يومَ القيامة، فيقول له: «**أفظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنِّي أنْساكَ كما نَسيتَني...**»[(١)].

❁ اللغة: النسيان يأتي بمعنيَيْن: الذّكر، والحفظ، والغفلة.

ويأتي بمعنى: التَّرك عن عمدٍ وقصدٍ، وهذا المعنى هو المَقْصود في حَقِّ رَبِّ العالمين[(٢)].

❁ الشَّرْح: يوصف به ربنا سبحانه على جهة العقوبة، النسيان بمعنى: الترك والإهمال على وجه المُقابلَة، والجَزاء، من قبيل المُعاملَة بالمِثْل لِمَنْ نَسِيَه في الدُّنيا؛ أي: نسي أوامرَه، ونَواهيه، وحقوقه في العبوديَّة، ونسي لِقاءَه يوم القيامة، وهذا من كَمال العَدْل، لأن كمالَ الجَزاء وحسنه أن يكون من جِنْسِه، ونوعه.

وهذا المعنى هو الذي نَصَّ عليه أئمةُ الهُدى[(٣)].

---

(١) مسلم (٢٩٦٨).

(٢) انظر: «المفردات» (٨٠٣)، و«عمدة الحُفَّاظ» (١٧٤/٤)، و«لسان العرب» (٥٤٤/٨)، وكتاب «العين» (٢١٩/٤)

(٣) ينظر: «الرد على الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد (٢١)، و«تفسير السعدي» (٦٥٥)، وغيرهم الكثير.

قال إمامُ أهل السنة والجَماعة أحمد بن حنبل ﷺ في رَدِّه على الزَّنادِقَة، الجَهْمِيَّة: «أما قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يقول: نترككم في النّار، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ كما تركتم العمل لِلقاء يومكم هذا»[1].

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: «معناه: تركوا الله أن يُطيعوه، ويتبعوا أمرَه، فتركهم الله تعالى من توفيقه، وهِدايته، ورحمتِه، وقد دَلَلْنا فيما مَضى على أنَّ معنى النسيان: الترك...»[2].

(١١) الصفة المُقَيَّدة (السُّخْرِيَة) الكمالية

❁ **الأدِلَّة**: قال تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

❁ **اللغة**: **السخرية**: الاحتقار، والاستذلال، والاستهزاء، يقال: سخرت منه، وبه: هزئت منه، وهزئت به[3].

❁ **الشَّرْح**: من كمال ربنا وجلاله وعظمته: أنه يسخر بمن يسخر بأوليائه وأصفيائه، فهو يغار عليهم، ويدفع عنهم كل ما يسوؤهم من أعدائهم، بالأقوال والأفعال، كما قال تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..﴾ الآية.

---

(١) «الرَّدّ على الزَّنادقة والجَهمية» (٢١).

(٢) «التفسير» (٥/٥١٠).

(٣) «مقاييس اللغة» (٤٣٣). و«عمدة الحُفّاظ» (٢/١٨٢)، و«معجم «الصحاح» (٤٨١).

وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآية، أنه قال: «لَمّا نزلت آية الصدقة، كُنّا نحمل على ظُهورنا، فجاء رجلٌ فتصدَّق بشيء كثير، فقالوا (أي: المنافقون): مُرائي، وجاء رجل فتصدق بِصاعٍ، فقالوا: إنَّ الله لَغَنِيٌّ عن صدقة هذا»(١).

فقابلهم الله تعالى (ونِعْمَ المُقابلَة بجنس) صنيعهم بأن: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم، واستهزائهم بالمؤمنين، لأن الجزاء من جنس العمل...»(٣).

ومن «السخرية من الله تعالى لهم: هي أن يظهر لهم من المعاملة في الدنيا ما يظنون معها أنهم في أعداد المؤمنين مع أنه قد أعد لهم في الآخرة العذاب الأليم انتصارًا للمؤمنين»(٤).

وبالجملة: إن الله تعالى جازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين بمثل ذلك، فسخر الله منهم بأن أهانهم وأذلهم وعذَّبهم(٥).

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٢) «تفسير السعدي» (٣٤٦).

(٣) «التفسير» (٢/٥١١).

(٤) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (٤٦٨)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٥١١).

(٥) انظر: «فتح البيان في مقاصد القرآن» (٣/١٥١).

(١٢) الصفة المقيدة (الإِهَانَة) الكمالية

❁ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

٢) وقال ﷺ: «مَنْ أهانَ سلطانَ الله في الأرض أهانَه الله»(١).

❁ اللغة: الهون: الذُّلّ، والاستخفاف، يقال: رجل فيه مَهانة؛ أي: ذُلّ وضعف، واستهان به: استحقره، والهونُ بالضم: الخزي(٢).

❁ الشَّرْح: قوله ﷺ: «مَنْ أهانَ سُلطان الله في الأرضِ»، أي: «مَنْ أهانَ مَنْ أعزَّه الله وألبسه خلعة السلطنة، و(في الأرض) متعلق بِسُلطان الله تعلقها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، والإضافة في سلطان الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله»(٣).

قوله: «أهانه الله»: أي: أذله الله، وألبسه لباس الهوان والخزي عقوبة له من جنس فعله، وهذا يشمل في الدنيا والآخرة، لأنه ﷺ لم يقيده بزمان ولا مكان، فدلَّ على العموم، والله أعلم، فليحذر العبد أن يُهين وليَّ الأمر سواء كان بالقول: كالغيبة، والاستهزاء، والازدراء، والبهتان، أو بالفعل: كالوِشاية، والتحريض بالخُروج عليه سواء كان: بالسلاح، أو بالكلام أو بالحشد كما في هذا الزَّمان من البدعة المحدثة: المُظاهَرات، والاعتصامات، والتي ما أنزل الله بها من سلطان. والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) حسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٢٢٤)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٧).

(٢) انظر: «الصحاح» (١١١٣)، و«القاموس» (١٣٧٠)، و«عمدة الحفاظ» (٤/٢٦٦).

(٣) «تحفة الأحوذي» بشرح جامع الترمذي» لِلمُباركفوري (٦/٨٦).

(١٣) الصفة المقيدة (الاِحْتِجَاب) الكمالية

۞ **الأدِلَّة**: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَلّاهُ الله شيئًا من أمرِ المسلمين، فاحتجبَ دونَ حاجتِهم وخلتِهم وفَقْرِهم، احتجبَ الله عنه دونَ حاجتِه، وخلتِه، وفقرِه**»[(١)].

۞ **اللغة**: **الحَجْبُ والحِجاب**: المنعُ من الوصول، ويأتي بمعنى: الحاجز الذي يفصل بين شيئين[(٢)].

۞ **الشَّرْح**: إنَّ من كَمال أفعال رَبِّنا ﷻ أنها تأتي على أوجهٍ متعددة، وأنواع مختلفة، وأحوال متنوعة، لِتَدل على كمالِه المطلق الذي يُحمد ويُثنى عليه، كما في هذه الصفة الفِعْلِيّة، وهي: الاحتجاب في مقابلة من احتجب من الوُلاة، والأمراء، والحُكّام، على من ولاهم على عِباده المسلمين، كما في قوله ﷺ: «**فاحتجب دون حاجتهم**»؛ أي: امتنعَ من الخُروج عند احتياجهم إليه.

وقوله: «**وخَلَّتهم**»: أي: الحاجة الشديدة، والمعنى: مَنَعَ أرباب الحَوائج والمُهِمّات أن يدخلوا عليه، ويعرضوا حَوائجَهم عليه، فيعسر عليهم إنهاؤها.

قوله: «**احتجب الله عنه دون حاجته، وخلته، وفقره**»؛ أي: أن الله تعالى يقابل احتجاب الوالي عن رعيته بأن يحتجب عنه عقوبة له[(٣)]، وصورُ ذلك:

---

(١) «صحيح أبي داود» (٢٩٤٨). وقال ﷺ: «من ولي من أمر الناس شيئًا، فاحتجبَ عن أولي الضعفة، والحاجة، احتجبَ الله عنه يوم القِيامة». رواه أحمد في المسند (٢٢٠٧٦)، وصححه لغيره شعيب الأرنؤوط (٣٦/٣٩٤)، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٥٢٧).

(٢) «عمدة الحفاظ» (١/٣٧٣)، و«مقاييس اللغة» (٢٤١).

(٣) «عقيدة أهل السنة في صفات الله على سبيل المقابلة» (٥٠٦).

بأن يبعده، ويمنعه عَمّا يبتغيه من الأمور الدينية، أو الدنيوية، فلا يجد سَبيلًا إلى حاجة من حاجاته الضرورية، (ومن ذلك): أن لا يُجيب دعوته، ويخيب آماله[1]، جزاءً وفاقًا منه تعالى لأولئك الوُلاة الظَّلَمة، لما في ذلك من كمال العدل، والقسط، والحَقّ، والنصرة للرَعية الذي احتجب عنهم أولئك، وهذا يدلُّ على تمام حمده، وكَمال أفعاله سبحانه، إذ إنها مبنية على الحكم، من جميعِ وُجوهها.

(١٤) الصفة المقيدة (الإشقاق) الكمالية

❁ **الأدِلَّة: ١)** قال رسول الله ﷺ: «... **ومَنْ شاقَّ شَقَّ اللهُ عليه يومَ القِيامة**»[2].

٢) وقال ﷺ: «**اللهم مَنْ وليَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومن وَلِيَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فرفقَ بهم، فارْفُقْ به**»[3].

❁ **اللغة: المشقَّة**: الشِّدَّة، والمنازعة، والانكسار الذي يلحق النفس، والبدن[4].

❁ **الشَّرْح**: إنَّ الله سبحانه يُعامل عباده بِمُوجب أسمائه، وصفاته، التي يُعامِلون بها عبادَه، ولِهذا كان أحب الخلق إليه من اتصفَ بِمُقتضيات صِفاته، فهو سبحانه رحيم: يحب الرُّحَماء، وهو سِتِّير: يحب من يستر على عِباده، فهو تَعالى يُجازي عبدَه بحسب هذه الصفات فيه وجودًا، وعدمًا،

---

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٥/٣٤٦). وإتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي» (٤/٢٣٠). وانظر: «فيض القدير» (٥/٤٧١) (٦/٢٣٨)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/٤٤٦).

(٢) البخاري (٧١٥٢).

(٣) مسلم (١٨٢٨).

(٤) «المفردات» (٤٥٩)، و«النهاية» (٤٨٧)، و«مقاييس اللغة» (٤٥٤)، و«فتح الباري» (١٣/١٦٢).

فمن عَفا: عفا عنه، ومن غفر: غفر له...، ومن تتبع عوراتِهم: تتبعَ عورتَه، ومن شاقّ: شاق الله تعالى به، ومن عامل خلقه بصفة: عامله الله تعالى بتلك الصفة بِعَينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده، على حسب ما يكون العبد لِخَلقه،...، فكما تدين تُدان، وكن كيف شئت، فإنَّ الله تعالى لك كما تكون أنتَ لِعِباده[1].

قوله ﷺ: «**ومَنْ شاق**»: أي: من أدخل على الناس المشقة، سواء كانت في أمور معاشهم ومعادهم، وفي كل أحوالهم، كما دلَّ ذلك التنكير في سياق الشرط والذي يفيد العموم والشمول.

«**شقَّ الله عليه يوم القيامة**»، أي: يقابل تلك المشقة بمشقة أعظم منها، وهو ما يلحقه من العذاب والشدة يوم القيامة «فمن أدخلَ على الناس المشقةَ، أدخل الله عليه المشقة، فهو من الجزاء بجنس العمل»[2].

وهذا من حكمة الله تعالى التي يُحمد عليها سبحانه[3].

وقوله ﷺ في دعائه: «**اللهم من ولي من أمرِ أمَّتي شيئًا...**» دلَّ قوله ﷺ: «**من أمرِ أمَّتي شيئًا**»: (شيئًا) أن هذه المشقة تشمل القليلَ والكثير كما دلَّ التنكير، وهذا يشمل أي نوعٍ من الوِلاية، الولاية العامة (وهي الوِلاية الكبرى)، أو الولاية الخاصة، حتى مدير المدرسة في مدرسته، وحتى الرجل في أهله، وكل من وليَ شيئًا، فالواجبُ عليه أن يرفُقَ بِمَن ولّاه الله عليهم[4].

---

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم (٥٣ ـ ٥٦).

(٢) «فتح الباري» (١٣/١٦٠).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (٦٢).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٦/١٧٤)، و«شرح صحيح البخاري» (٨/٢٤) لابن عثيمين.

قوله: «فاشقق عليه»: أي: بأيّ شيء يكون: إما بآفات في بدنه، أو في أهله، أو في غير ذلك، لأن الحديث مطلق[1].

وفي هذين الحديثين دلالة واضحة على من شقَّ على العباد في الدنيا، فإن الله تعالى يعاقبه ويجازيه من جنس فعله بأن يشقَّ عليه في الدارين حقًّا وصوابًا

وقوله: «فاشقق عليه»: هذا دُعاء عادل، لا دعاء عدوان، وظلم، وبغي، وإنَّما هو انتِصاف من الظالم جزاءً وِفاقًا، عدلًا، وحَقًّا، بل وفضلًا منه ﷻ.

(١٥ ـ ١٦) الصفتان المقيدتان (الفَضح) و(التتبع) الكماليتان

❁ الأدِلَّة: ١) قال ﷺ: «من انتفى من ولده ليفضحه في الدينا، فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، قصاصٌ بقصاص»[2].

قال رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ مَنْ آمنَ بلِسانه ولم يدخل الإيمانُ في قلبِه، لا تَغْتابُوا المسلمين، ولا تَتَبَّعُوا عوراتِهم، فإنَّه من اتبع عوراتِهم يَتَّبعُ الله ﷻ عورتَه، ومن يتبع الله عورتَه يفضحه في بيتِه»[3].

❁ اللغة: الفضح: انكشاف الشيء وبيانه للأعين، والفضيحة العيب، وفضحه: كشف مساويه[4].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٦٣٤/٣).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٣٤٨٠).

(٣) «صحيح أبي داود» (٤٨٨٠)، و«الترمذي» (٢٠٣٢).

(٤) «النهاية» (٧٠٩)، و«القاموس» (١٠٠٠)، و«المصباح المنير» (٢٧٤).

التتبع: التالي والمتابعة واللحاق، يقال: «تبعت فلانًا إذا: تلوته ولحقت به». «وتتبع الشيء: تطلبه متتبعًا له»(١).

۞ **الشَّرْح**: قوله ﷺ: «**من انتفى من ولده...**»، أي: انقطع عنه بأن نفى نسبه عنه، وقال: إنه ليس مني(٢).

وقوله: «**فضحه الله...**» أي: إن الله تعالى بعدله الحق يكشف مساوئه وعيوبه في يوم هو في أشدُّ الحاجة إلى العفو والستر والتجاوز، وهو يوم القيامة، وقوله: «**قصاص بقصاص**»: «أي: أنه في ذلك اليوم يفعل به قصاص، أي: فعل يساوي فعله، يعني: من جنس فعله»(٣)، وهذا والله غاية العدل وأحسنه منه سبحانه، «فكما أراد هو فضيحة ولده في الدنيا، جازاه الله تعالى من جنس فعله»(٤).

وفي الحديث الآخر: ثبتت هذه الصفة المقيدة «التتبع» الجَليلة عن أعلم الخلق بالرَّبِّ سبحانه، في تحذيره ﷺ لِلمُنافقين الذين من شأنهم لمزُ المؤمنين، والوقوع في انتقاصهم، وذِكْر مَعايِبهم، فـ«فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شِعار المُنافقين، لا المؤمنين.

وقوله: «**ولا تتبعوا عوراتهم**»؛ أي: لا تجسسوا عيوبَهم، ومساوئهم، «**فإنه**»؛ أي: الشأن «**يتبع الله عورته**»؛ أي: يكشف عيوبَه، «**ومن تتبع الله عورته يفضحه**»؛ أي: يكشف مساوئه «**في بيته**»؛ أي: ولو كان في بيتِه

(١) «كتاب العين» (١/١٩٧). و«مقاييس اللغة» (١٣٣). و«مختار الصحاح» (٥٢).

(٢) «حاشية السندي على المسند» (٨/٤١٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) «عقيدة أهل السنة في صفات الله» (٤١٩).

مخفيًّا عن النّاس»[1].

فإن الله سبحانه سيكشف عيوبه ومساوئه قِصاصًا وفاقًا، جزاءً عدلًا، حسنًا، لا أحسن منه، والعورة هي: «كل ما يُسْتَحْيا منه إذا ظهرَ»[2].

(١٧ ـ ١٨) الصفتان المقيَّدتان (التَّسْمِيع) و(الرِّياء) الكماليتان

❁ **الأدِلَّة:** قال رسول الله ﷺ: «**من سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به، ومن يُرائي يُرائي الله به**»[3].

❁ **اللغة: التَّسميع:** من السمعة، وهو ما يسمع به من صيت أو ذكر حسن أو سيئ، وسمَّعت بالرجل تسميعًا وتَسَمَّعة إذا شهرته، ونددت به، وسمَّع فلان بعملِه إذا أظهرَه ليُسْمَع[4].

الرياء: مشتق من الرؤية، وهي: أريته على خِلاف ما أنا عليه[5].

والرياء في الاصطلاح هو: إظهار العِبادة لقصد رؤية الناسِ لها، فيَحْمَدوا صاحبَها.

والسُّمعة نحو ما في الرِّياء، لكنها تتعلَّق بحاسَّة السمع، والرياء بحاسَّة البصر[6]. فالرؤية للفعل، والسمع يكون للقول[1].

---

(١) «عون المعبود» (٨/٢٤٠).

(٢) «النهاية» (٦٤٩).

(٣) وفي لفظ: «من يُسَمِّعْ يُسَمِّعُ الله به». البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦) (٢٩٨٧). وقال ﷺ: «... ومَنْ قامَ برجلٍ مسلمٍ مقام سُمعةٍ ورياء، فإنَّ الله ﷻ يقومُ به مَقامَ سمعة ورِياء يوم القِيامة». «صحيح أبي داود» (٤٨٨١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٣٤).

(٤) «النهاية» (٤٤٥)، و«المعجم الوسيط» (٤٧٥).

(٥) «لسان العرب» (١/١٠٩٤).

(٦) «الفتح» (١١/٤٨).

❁ الشَّرْح: الرِّياء والسُّمعة من الشِّرك الأصغر كما ذَكَره أهلُ العلم، وأنواعهما متعددة، وخطرهما عظيم، إذ إنهما وسيلة قد تفضي بصاحبها إلى الشرك الأكبر، وإنَّهما يُحبطان العمل، وغير ذلك من المَفاسد والأضرار الجَسيمة(٢).

ولهذا فإنَّ الله ﷻ يُقابل فاعلهما بالجَزاء العادل، الحسن، الذي يحمد عليه، بالقواعد الحميدة، والسنن الرشيدة، وهي: أن «الجزاء من جنس العمل»، و«كما تَدينُ تُدان» وهو أنه تعالى «يقابله بعقوبة يوم القيامة بأن يُشهره، ويفضحه، ويظهر ما كان يُبطِنه أمام رؤوس الخلائق»(٣)، ولهذا قال: «سَمَّعَ الله به» يعني: أظهر الله تعالى حالَه للناس، حتى أسمع الناس بعضهم بعضًا بِحاله، فصار الناس يتحدَّثون به، وقوله: «يُرائي الله به»؛ أي: يبين عيبه للناس ويفضحه ويظهر أمرَه حتى يتبين أنه مرائي(٤).

يقول ابن القيم ﷺ: «مَنْ يُظهر للخلق خِلاف ما يعلمه الله تعالى فيه، فإنَّ الله سبحانه يظهر له في الدنيا والآخرة أسبابَ الفلاح، والنجاح، والفوز، ويبطن له خِلافها، وفي الحديث: «من رَاءى: راءى الله به، ومن سمع: سمع الله به»(٥).

❁ ❁ ❁

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٣٠٥).
(٢) انظر: «الشرك بالله أنواعه وأحكامه» ماجد محمد علي شبالة (٦٥٨، ٦٦٩).
(٣) «فتح الباري» (١١/٤٠٩).
(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٣٠٥)، و«شرح رياض الصالحين» (٦/٣٥١) له.
(٥) «الوابل الصيب» (٥٦).

(١٩) الصفة المقيدة (التشديد) الكمالية

❁ الأدِلَّة: قال رسول الله ﷺ: «لا تُشَدِّدُوا على أنفسِكم، فيُشَدَّد عليكم، فإنَّ قومًا شَدَّدوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بَقاياهم في الصَّوامع، والدِّيارات ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»[١].

❁ اللغة: الشَّدَّ: العقد القوي، يقال: شددت الشيء: قويت عقده، والشدة هي: القوة، والمغالبة، والصلابة، وتستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب، كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فاطر: ٤٤]، وتأتي الشدة بمعنى: السرعة، يقال: وشدَّ فلان واشتدّ: إذا أسرع[٢].

❁ الشَّرْح: جاءت هذه الصفة المقيدة في السنة في نهي النبي ﷺ عن التشديد على النفس في العِبادة، وهذا له حالتان:

الأول: التشديد في الطاعة والعِبادة «بالأعمال الشاقة: كصوم الدهر، وإحياء الليل كله، واعتزال النِّساء»[٣].

الثاني: الابتداع فيها بِما لم يفرضه الله تعالى، كما وقع لأهل الكتاب، كما في الحديث المتقدم: في قوله «(في الصوامع): جمع صومعة، وهي: موضع عبادة الرُّهبان، (ورهبانية): نصب بفعل يفسره ما بعده؛ أي: ابتدعوا رهبانية، ما فرضْناها عليهم»[٤]، وفي هذا بَيان أنه ينبغي للعبد أن يكونَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٤)، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» (٢٠)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣١٢٤).

(٢) انظر: المفردات (٤٤٧) و«معجم الصحاح» (٥٣٨)، و«النهاية» (٤٦٩)، ومعجم الصحاح (٥٠١).

(٣) «عون المعبود» (٨/٢٥٦).

(٤) المصدر السابق.

على حَذَرٍ من الابتداع في الدِّين، ما ليس له أصل قويم، وكذلك القيام بالعِبادة فوق الطاقَة، فيُعاقب بخِلافه، «بأن يفوت عنكم بعض ما وجبَ عليكم، بسبب ضعفكم من تحمل المَشاق»[1].

(٢٠) الصفة المقيدة (التَّفْرِيق) الكمالية

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷺ: «**مَنْ فَرَّقَ بين والدةٍ وولدها، فَرَّقَ الله بينَه وبين أحبَّته يومَ القِيامَة**»[2].

❁ **اللغة: الفرق:** الفصل، يقال: فرقت بين الشيء فرقًا: فصلت أبعاضه، والتشديد في (فرَّق) للمبالغة[3].

❁ **الشرح:** أخبر الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى أنَّ «**من فرَّق**» بتشديد الرّاء «**بين الوالدة وولدها**»؛ أي: ببيع، أو هبة، أو خديعة بقطيعة وأمثالها، وفي معنى الوالدة: الوالد، بل وكل ذي رحم محرم، (ويدخل كذلك): التفريق بين الجارية وولدها بالبيع، والهبة، وغيرها[4].

قابله سبحانه عقابًا له من جنس فعله يوم الدِّين: «**فرَّقَ الله بينه وبين أحبته**»؛ أي: «من أولاده، ووالدَيْه، وغيرهما «**يوم القِيامَة**»؛ أي: في موقف يجتمع فيه الأحباب، ويشفع بعضُهم بعضًا عند رَبّ الأرباب»[5].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «صحيح الترمذي» (١٢٨٣) (١٥٦٦).

(٣) «المصباح المنير» (٢٧٢)، و«المفردات» (٦٣٢).

(٤) «تحفة الأحوذي» (٤/١٧٩).

(٥) المصدر السابق.

(٢١) الصفة المقيدة (اللَّوْيُ) الكمالية

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷺ: «**إن الله لا يُحب هذا وضربه**[١]، **يلوُون ألسنتهم للناس ليَّ البقر لسانها بالمرعى! كذلك يلوي الله ألسنتهم ووجوههم في النار**»[٢].

❁ **اللغة: اللوي:** الإمالة، يقال: ألوى برأسه ولواه: إذا أماله من جانب إلى جانب[٣]، ولوى بلسانه كذا: كناية عن الكذب أو تخرص الحديث[٤].

❁ **الشَّرْح:** أن من محامد الله السنيَّة، ومدائحه الكريمة، ومن سننه المليحة، التي لا يستطيع أحدٌ من الخليقة أن يغيرها أو يبدلها، سواء بالحسنى أو بالسوأى: المجازاة من جنس الفعل.

ومن ذلك: من يميلون ألسنتهم عن الحقيقة بالكذب، والتلوُّن عن الحق والهدى بالباطل والصدّ.

فإن من أبشع الأوصاف والخلال لوي اللسان عن الحق بجميع أصنافه وألوانه، كما في قوله ﷺ: «**إن الله لا يحبُّ هذا وضربه يلوون ألسنتهم للناس**»، «أي: من يتكلف ويُكثر الكلام ويتفاصح به، ويتشدق

---

(١) أي: صنفه ونوعه «السلسلة الصحيحة» (٣٤٢).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/٢٥٠) برقم (٣٢٠٧)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٧/١٢٦٢) برقم (٣٤٢٦).

(٣) قال تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]. أمالوها.

(٤) «المفردات» (٧٥٣)، و«النهاية» (٨٤٦).

على الناس بغير الحق.

ولما كان كثرة كلامه وتشدقه يقلب لسانه في فمه وبين أسنانه ويفخمه تلذذًا بالكلام، شبههم النبي الأمين بأبشع الوصف الذميم: بالبقر، والتي تقلب وتميل لسانها بالأكل في المرعى، ولهذا فإن الله تعالى الحكيم يجازيهم بالعقاب الأليم يوم الدين، أن يميل ألسنتهم، ووجوههم في الجحيم، فقابل سبحانه الباطل وسوء الطوية، بالجزاء العدل الحسن، بعد الإمهال والروية.

وفي هذا الزجر الشديد للخطباء والوُعَّاظ وغيرهم عن كثرة الكلام دون تحرُّز، وعن التكلُّف والتشدُّق»[1].

❁ ❁ ❁

(١) من موقع «الموسوعة الحديثية بالدرر السنية» كما في أحد المواقع العنكبوتية. بتصرف.

الصفات المقيدة على وجه العقوبة:

النوع الثاني: العقوبة من غير جنس الفعل ونوعه

(١) ٢٢ ـ الصفة المقيدة (الخِزْي) الكمالية

❁ الأدِلَّة: قال ﷻ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].

❁ اللغة: الخِزي: الذُّل، والهَوان، والانكسار، وأخزاهُ الله: أذَلَّه، وأهانه، وخزى الرجل: لحقه انكسار، وهو ضرب من الاستخفاف[١].

❁ الشَّرْح: الله تعالى يُخزي الكافرين ومَن يشاء من الظّالمين، حكمة منه تعالى، وعدلًا، وجزاءً وفاقًا بفعلِهم.

والخزي كما تقدَّم هو الذُّلّ والهوان، وهو من أشد العقوبات النفسية، والجسدية، والعياذ بالله تعالى.

وخزيه سبحانه لأهل الكفران في الدنيا والآخرة، حسيًّا ومعنويًّا:

في الدنيا: أنه مذلهم ومهينهم، ومورثم العار بالقتل والأسر والتشريد، على أيدي المؤمنين، قال الله العظيم: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤][٢]، وهذا العذاب يشمل العذاب الحسِّي والمعنوي.

---

(١) «المفردات» (٢٨١)، و«المصباح المنير» (١٠١).

(٢) «انظر: «تفسير الطبري» (٤/٧٨)، و«فتح البيان» (٣/٧٠).

وفي الآخرة: بفضحهم على رؤوس الخلائق، ببيان كذبهم وافترائهم على الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧][1].

وهذا لونٌ من العذاب المعنوي.

أما عذاب النار وبئس المآل، فهو شامل لكل أجناس وأنواع العذاب والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

(٢) ٢٣ ـ الصفة المقيدة (الِانْتِقَام) الكمالية

❁ **الأدِلَّة**: قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]

❁ **اللغة: الانتقام**: العقوبة بإنكار، إما باللسان، وإما بالعقوبة[2].

❁ **الشَّرْح**: وصف الله تعالى نفسَه بالانتقام بِمَن يستحق الانتقام من الكافرين، والمجرمين، والمعتدين، وهذا وجه الكمال فيه، فإنَّ صفة الانتقام «ليست صفة كَمال بِذاتِها، إلّا إذا كانت بِمَن يستحقُّ الانتقام، ولهذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقوله: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ أي: صاحب انتقام، ولم يقل: (ذو الانتقام)، وفي الرحمة قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ولم يقل: (ذو رحمة)، لأن الانتقام ليس من

(١) «تيسير الكريم المنان» (٤٣٨).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٤/٢١٦).

أوصافِ الله تعالى المُطلقة، وليس من أسماء الله المنتقم، فـ(المنتقم) لا يوصَف الله به إلا مُقَيَّدًا، فيقال: المنتقم من المُجرمين، أما (ذو انتقام) فهي لا تعطى معنى الانتقام المطلق لأن (انتقام) نكرة[1][2].

وانتقام الله تعالى يكون معجلاً ومؤجلاً:

فأمَّا تعجيله: فهو يقصم ظهور العتاة، وينكل أشدَّ التنكيل بالجناة، ويشدد العقاب على الطغاة، بعد الإعذار والإنذار، فما يحلُّ في الدنيا بأعدائه أثر مخالفته[3].

وأما تأجيله: فإنه يمهل عدوَّه ويُرخي له طوله، حتى يقدم عليه في الأخرى، فينتقم منه النقمة العظمى[4].

(٣ ـ ٤ ـ ٥) ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ الصفات المقيدة (الخَتْم) و(الطَّبْع) و(الغِشَاوة) الكمالية

❁ **الأدِلَّة:** ١) قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

٢) وقال ﷻ: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

٣) وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

---

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٥٦).

(٢) وهذا الذي رَجَّحَه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ «وإنّما جاء المنتقم في القرآن مقيدًا كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، وجاء معناه مُضافًا إلى الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾» «مجموع الفتاوى» (١٧/٩٥).

(٣) «الأنباء في شرح حقائق الصفات» (٢/٧٧٧)، و«المقصد الأسنى» (١٢٤)، و«المنهل العذب» (١٧٢).

(٤) «الأنباء» (٢/٧٧٧).

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

الشَّرْح: وصف رَبّنا العظيم نفسَه بأفعال جليلة على وجه العُقوبة لِمَن يستحقُّها، من الكافرين والمعاندين الصادِّين عن طريق الصراط المستقيم، فكانت هذه الأفعال: «الختم، والطبع، والغشاوة المجعولة على أسماعهم، وأبصارهم وقلوبهم، كل ذلك عِقاب من الله تعالى لهم على مبادرتهم للكُفْر، وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم، فعاقَبَهم الله تعالى بعدم التوفيق جَزاءً وِفاقًا»(١).

يقول ابن القيم ﷺ: «والقرآن مملوءٌ من أوله إلى آخره، إنما يدلُّ على أن الطبع، والختم، والغشاوة، لم يفعلها الرَّبُّ سبحانه بعبدِه من أول وهلة حين أمره بالإيمان، وبيَّنَه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه، والتأكيد في البَيان والإرشاد، وتكرر الإعراض منهم، والمُبالغة في الكُفْر والعِناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها، فلا تقبل الهُدى بعد ذلك.

والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختيارًا، فلمّا تكرَّرَ منهم صار طبيعة، وسجيَّة، فتأمَّل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧]، ومعلوم أن هذا ليس حكمًا يعمُّ جميعَ الكُفّار، بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كُفّارًا قبل ذلك، ولم يختم على قُلوبهم، وأسماعهم...»(٢).

---

(١) «دفع إيهام الاضطراب في آيات الكِتاب» للشنقيطي (١٠)، وانظر: «تفسر ابن كثير» (٨٤/١).

(٢) «شفاء العليل» (٢٦٠/١).

(٦) ٢٧ ـ الصفة المقيدة (الاستِدْرَاج) الكمالية

❁ الأدِلَّة: ١) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

٢) قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتَ الله يُعطي العبد من الدُّنيا على مَعاصيه ما يُحب، فإنَّما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][(١)].

❁ اللغة: استدرجه: خدعَه، وأدناه منه على التدرج، والمُراد أخذه على التدريج يعني قليلًا قليلًا ولا يباغته، فكلما فعل معصية قابلَها بنعمة[(٢)].

❁ الشَّرْح: أخبر سبحانه أنه «سيستدرج الذين كَذَّبوا بآياته، والاستدراج: أن يُدنيهم من بأسه قليلًا قليلًا من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم ولا يجاهرهم»[(٣)].

كلما جددوا خطيئةً جدَّدَ الله تعالى لهم نعمَه، وأنساهم استغفارَه وأوبته، ولهذا قال سبحانه: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: «أنه يفتحُ لهم أبواب الرِّزق ووجوه المَعاش في الدُّنيا، حتى يَغترُّوا بما هم فيه، ويعتقدون أنَّهم على شيء، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٣١١)، وحسنه شعيب الأرنؤوط (٢٨/٥٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤١٤)، وفي «صحيح الجامع» (٥٦١).

(٢) «معجم «الصحاح» (٣٣٧)، و«القاموس المُحيط» (٤٢٢)، و«فيض القدير» (١/٣٥٥).

(٣) «تأويل مشكل القرآن» (١٦٦).

كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]»[(١)].

وقد ذكرَ الإمام الجليلُ البغوي عن السَّلَف صورًا وأنواعًا من استدراج الله تعالى: «قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون، وقيل: نأتيهم من مأمنِهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾، قال الكلبي: يزين لهم أعمالَهم، ويهلِكهم، وقال الضحاك: كلَّما جدَّدُوا معصيةً جَدَّدْنا لهم نعمةً، قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النِّعمة، وننسيهم الشُّكْرَ...»[(٢)].

وكل هذه الأقوال حقٌّ وصحيحة، فهي داخلة في تفسير التنوع.

(٧) ٢٨ ـ الصفة المقيدة (اللَّعْن) الكمالية

۞ **الأدِلَّة: ١)** قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

٢) قال ﷺ: «لعنَ الله الواصلةَ، والمُسْتَوْصِلَةَ»[(٣)].

۞ **اللغة:** اللعن: الطَّرْد والإبعاد على سبيل السّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قَبول رحمته، وتوفيقه، يقال: لعنه الله: أبعدَه[(٤)].

۞ **الشَّرْح:** اللَّعْن من صفات أفعال الله تعالى الاختيارية (المقيدة)، القائمة بِذات الله سبحانه العلية، بِمَشيئته، وقدرته، ومعنى أنها قائمة بِذات

(١) «تفسر ابن كثير» (٢/٣٦٩).
(٢) «معالم التنزيل» (٣/٣٠٨).
(٣) البخاري (٥٩٣٤)، ومسلم (٢١٢٢).
(٤) «المفردات» (٧٤١)، و«كتاب العين» (٤/٩٠).

الله بِمَشيئته وقدرته: أنه تعالى لعنَ المُعَيَّن بعد أن لم يكن لاعنًا له[1].

واللعنة من الله تعالى: هي الطرد والإبعاد والإقصاء عن رحمته سبحانه، والتي تقتضي العقاب والعذاب في الدنيا ويوم المعاد.

وصفة اللعنة كَباقي صفات الله تعالى الفعلية تتعلق بالأسباب، وهذه الأسباب منها ما يتعلق بأشخاص، أو أوصاف، أو أعمال، أو أقوال، وهي تتفاوت، فلعنة الله تعالى على الكافر أشد من لعنته للمؤمن السّارق، أو للكاسية العارية، أو الراشي والمرتشي، وغير ذلك من المعاصي، والله أعلم.

(٨) ٢٩ ـ الصفة المقيدة (الدَّمْدَمَة) الكمالية

❁ **الأدِلَّة:** قال ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤ ـ ١٥].

❁ **اللغة: الدمدمة:** الهلاك والإزعاج، وإطباق العذاب، يقال: دممت على الشيء: أطبقت عليه، فإذا كررت الإطباق قلت: دمدمت عليه[2].

❁ **الشَّرْح:** جاءت هذه الصفة الاختيارية في إخبار الله تعالى إهلاك ثمود بعد ذبحهم الناقة عقرًا، فأهلكهم الله ﷻ شرَّ هلَكة، بقوله الحق: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أي: أطبق عليهم الأرض جميعًا بالهلاك، فجعلها مستوية عليهم لا تظهر فيها أجسادهم، ولا بلادهم، فكان العذاب بالصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فلم يفلت منهم أحد.

---

(١) انظر: «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِمَعالي الشيخ صالح آل الشيخ (١/٣٦٧).

(٢) «المفردات» (٣١٧)، و«عمدة الحفاظ» (٢/٢٣)، و«مختار الصحاح» للرازي (١٢٤).

وقوله: (فدمدم): مكرر للمبالغة مثل: كبكب.

وقوله: (بذنبهم): أي: بسبب ذنوبهم، لأن الله ﷻ لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون[1].

(٩) ٣٠ ـ الصفة المقيدة (المخالف) الكمالية

■ **الأدِلَّة**: ١) قال رسول الله ﷺ: «**لَتُسَوُّنَّ صفوفكم، أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم**»[2].

٢) وفي رواية: «**أو ليخالفنَّ الله بين قلوبكم**»[3].

■ **اللغة**: الإخلاف: من الخُلْف، وهو: العِوَض، يقال: خلف الله عليك، أي: أبدلك بما ذهب منك وعوَّضك عنه[4].

■ **الشَّرْح**: جاءت هذه الصفة في "الوعيد على من لم يسوِّ الصف، واختلف العلماء ﷭ في معنى مخالفة الوجه، فقال بعضهم: أن الله تعالى يخالف بين وجوههم مخالفة حسيَّة، بحيث يلوي الرقبة، حتى يكون وجه هذا مخالف لوجه هذا، والله على كلِّ شيء قدير، فهو ﷻ قلب بعض بني آدم قردة، قال لهم سبحانه: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾. فكانوا قردة، فهو قادر على أن يلوي رقبة إنسان حتى يكون وجهه من عند ظهره، وهذه عقوبة حسيَّة.

وقال بعض العلماء: بل المراد بالمخالفة المعنوية، يعني: مخالفة

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (٩٢٦)، و«التحرير والتنوير» (٣٧٤/٣٠)، و«تفسير سورة (الشمس)» لابن عثيمين (٢٢٨).

(٢) البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦)، وفي لفظ له: «يا عباد الله لتسون صفوفكم...».

(٣) «صحيح أبي داود» (٦٦٢): «أقيموا صفوفكم (ثلاثًا)، والله لتُقيمُنَّ صفوفكم...».

(٤) «النهاية» (٢٧٩).

القلوب، لأن القلب له اتجاه، فإذا اتفقت القلوب على وجهة واحدة حصل في هذا الخير الكثير، وإذا اختلفت تفرقت الأمة، وهذا التفسير أصح[1]، لأنه قد ورد في بعض الألفاظ[2]: «**أو ليخالفن الله بين قلوبكم**»[3].

(١٠) ٣١ ـ الصفة المقيدة (الطَّمْسُ) الكمالية

❁ الأدِلَّة: ١) قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

٢) وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧][4].

٣) عن عبد الله بن عمر ﷺ أنّه قال: (**إنَّ الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله ﷻ نورهما، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب**)[5].

❁ اللغة: الطمس: إزالة الأثر بالمحو، ومنه طُمس الأثر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]، وقوله ﷺ في صفة الدجَّال: «**إنه**

---

(١) وهذا ما رجَّحه النووي (٢/٣٩٤)، قال ﷺ: (قيل معناه: يمسخها ويحولها عن صورها، لقوله ﷺ: «يجعل الله تعالى صورته صورة حمار»، وقيل: يغير صفاتها، والأظهر ـ والله أعلم ـ أن معناه: يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب...). وانظر الفتح (٢/٢٦٨).

(٢) كما في رواية أبي داود المتقدمة.

(٣) «شرح صحيح البخاري» (٢/٣٥٤)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/١٩٩)، و«شرح رياض الصالحين» (١/٤٦٢) لابن عثيمين.

(٤) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

(٥) رواه أحمد في المسند (٧٠٠٠) وصححه شعيب الأرنؤوط (١١/٥٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٨٧٨) كلاهما موقوفًا، وحكمه حكم الرفع.

مطموس العين»، أي: ممسوحها من غير بخص(١).

۞ الشَّرْح: الطمس من أفعال ربنا الرشيدة، لاشتمالها على حكم حميدة، لأنها في مقابلة شر الخليقة، فيطمس منهم من شاء طمس خلقه، وبصيرة، "كما في دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيأتها، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها"(٢).

ثبت عن قتادة أنه قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: "بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة"(٣).

كما توعَّد سبحانه بني إسرائيل بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]، أي: من قبل أن نطمس أبصارها، ونمحو آثارها فنسويها كالأقفاء، وقوله: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: فنجعل أبصارها في أدبارها، يعني بذلك: فنجعل الوجوه في أدبار الوجوه، فيكون المعنى: فنحول الوجوه أقفاء، والأقفاء وجوهاً، فيمشون القهقرى(٤).

وأخبر سبحانه أنه طمس أعين قوم لوط حينما أرادوا الفاحشة في أضيافه، فقال: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، أي: فطمسنا على أعينهم حتى صيَّرناها كسائر الوجه، لا يُرى لها شق(٥). وهذا قول أكثر المفسِّرين(٦).

(١) «المفردات» (٥٢٤)، و«النهاية» (٥٦٨).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/٢٣٧).
(٣) «التفسير الصحيح» (٣/٣١).
(٤) «تفسير الطبري» (٢/٤٧).
(٥) المرجع السابق (٧/١٧١).
(٦) «تفسير البغوي» (٦/٤٣٣).

فهرس

تقريظ الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ٣
المقدمة ٥
خطة البحث ١٠
منهج البحث ١١
معنى الصفات لغة ١٤
معنى الصفات اصطلاحًا ١٤
تعريف القواعد والضوابط ١٢
أهمية القواعد والضوابط في صفات الله ١٣
القواعد والضوابط العامة في صفات الله ١٥
«ذاتُ الله» سبحانه العَلِيَّة ٥٠
الصفات الثبوتية ٥١
القواعد والضوابط ٥٢
القسم الأول: الصفات الذاتية ٥٤
(١) صفة (الوَجْهُ) ٥٤
حجاب وجهه الأعلى ﷺ ٥٧
النَّظر إلى وجه الله تبارك وتعالى هو أعظمُ وأعلى نعيمٍ في الجِنان .. ٥٩
(٢) صفة (اليَدَانِ) ٦١
الأشياء التي خلقها الله بيده تعالى . ٦٤
(٣) صفة (اليَمِينِ) ٦٥
كلتا يديّ رَبِّنا تعالى يمين مباركة ... ٦٦
(٤) صفة (الكَفّ) ٦٧
(٥) صفة (الأَصَابِع) ٦٨
(٦) صفة (الأَنَامِل) ٧١
(٧) صفة (الإِبْهَام وَالْخِنْصِر) ٧٢
(٨) صفة (القَدَم والرِّجْل) ٧٤
(٩) صفة (السَّاق) ٧٦
(١٠) صفة (العَيْنَيْن) ٧٧
(١١) صفة (الإِحَاطَة) ٨١
(١٢) صفة (رُؤْيَة الله) جلَّ جلاله ... ٨٢
(١٣) صفة (الصُّورَة) ٨٥
(١٤) صفة (الكبرياء) ٨٧
(١٥) صفة (الفَوْقِيَّة) ٩٠
القسم الثاني: الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية ٩٢
(١) صفة (الكَلَام) ٩٤
(٢) صفة (ذي الطول) ٩٨
(٣) صفة (رَفِيعُ الدَّرَجَات) ١٠٠
(٤) صفة (البَرَكَةُ وَالتَّبَارُك) ١٠٣
(٥) صفة (النُّور، ونُورُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ) ١٠٤
(٦) صفة (المَعِيَّة) ١٠٦
(٧) صفة (الصِّدْق) ١٠٨

(٨) صفة (ذُو المَعَارِج) ١٠٩
(٩) صفة (الطَّبِيب) ١١٠
(١٠) صفة (المُحْصِي) ١١١
(١١) صفة (الجَلَال) ١١٣
(١٢ - ١٣) صفتا (الإِرَادَة)
و(المَشِيئَة) ١١٤
(١٤) صفة (الفِعْل، وَالعَمَل) ١١٨
(١٥) صفة (الأَمْر) ١٢٠
القسم الثالث: الصفات الفعلية ١٢٤
القواعد والضوابط ١٢٤
أقسام الصِّفات الفِعْلِيَّة ١٣٣
(١) صفة (الاِسْتِوَاءُ عَلَى العَرْشِ) ١٣٤
عظم العرش وحملته ١٤٠
(٢) صفة (النُّزُول، وَالهُبُوط،
وَالتَّدَلِّي)(١) إلى السماء الدنيا ١٤١
أنواع النزول الإلهي ١٤٣
فوائد مهمة في صفة النزول ١٤٥
صفات الكمال ١٥٠
(المَحَبَّةُ، الرِّضا، الفَرَحُ، الضَّحِكُ،
وَالعُجْبُ، وَالبَشْبَشَةُ) ١٥٠
(١) صفة (المَحَبَّة) ١٥٢
(٢) صفة (الخُلَّة) ١٥٤
(٣) صفة (الرِّضا) ١٥٥
رضى الرب هو أعظم ما يدركه
المؤمنون في جنات النعيم ١٥٧
(٤) صفة (الفَرَح) ١٥٨
(٥) صفة (الضَّحِك) ١٥٩
(٦) صفة (العُجْب) ١٦٢
(٧) صفة (البَشَاشَة) ١٦٤
صفات الكمال (الغَضَب،
والأَسَف، والسُّخْط، والغَيْظ) ... ١٦٦
(٨) صفة (الغَضَبُ) ١٦٨
(٩) صفة (السُّخْط) ١٧٠
(١٠) صفة (الغيظ) ١٧١
(١١) صفة (الكُرْه) ١٧٢
(١٢) صفة (البُغْض) ١٧٣
(١٣) صفة (المَقْت) ١٧٤
(١٤) صفة (العَتْب) ١٧٥
(١٥) صفة (الغَيْرَة) ١٧٦
(١٦ - ١٧) صفتا (الإِتْيَان)
و(المَجِيء) ١٧٩
(١٨) صفة (العَدْل) ١٨٢
(١٩) صفة (اسْتِطَابَةُ الرَّوَائِح) ... ١٨٤
(٢٠) صفة (التَّجَلِّي) ١٨٥
(٢١) صفة (الحَنْو) ١٨٨
(٢٢) صفة (الطَّيّ) ١٨٩
(٢٣) صفة (السُّرْعَة) ١٩٠

(٢٤ ـ ٢٥) صفتا (الرَّفع)
و(الخَفْض) ١٩٢
(٢٦) صفة (المَسْح) ١٩٤
(٢٧) صفة (الأَذَنُ) «بمعنى
الاستماع» ١٩٥
(٢٨) صفة (الدَّفْع) ١٩٧
(٢٩) صفة (الصَّلَاة) «بمعنى
الثناء» ٢٠١
(٣٠) صفة (المُعَافِي) ٢٠٢
(٣١) صفة (الهَادِي) ٢٠٣
(٣٢) صفة (المُغِيث) ٢٠٦
(٣٣) صفة (الفَاطِر) ٢٠٧
(٣٤) صفة (الكِتَابَة وَالْخَطّ) ٢٠٩
(٣٥) صفة (الصُّنْع) ٢١٠
(٣٦) صفة (التَّسْخِير) ٢١٢
(٣٧) صفة (النَّفع) ٢١٤
(٣٨) صفة (التأليف) ٢١٦
(٣٩) صفة (الاطِّلَاع) ٢١٨
(٤٠) صفة (التَّقْلِيب) ٢٢٠
(٤١) صفة (بَدِيعُ السَّمَواتِ
وَالأَرْض) ٢٢١
(٤٢ ـ ٤٣) صفتا (المُعِز) (المُذِل) ٢٢٢
(٤٤) صفة (المباهاة) ٢٢٤
(٤٥) صفة (الزَّارع) ٢٢٦
(٤٦) صفة (الصَّبْر) ٢٢٧
القسم الثاني من الصفات الفعلية . ٢٢٩
الصفات الفعلية المقيدة ٢٢٩
القواعد والضوابط ٢٣٠
الصفات المقيدة على وجه المثوبة ٢٣٤
(١) صفة (التَّيْسِير) ٢٣٤
(٢) صفة (الرَّدّ) ٢٣٥
(٣) صفة (الذِّكْر) ٢٣٧
(٤) صفة (الإِفْسَاح) ٢٣٩
(٥) صفة (الإخلاف) ٢٤١
(٦) صفة (الإيواء) ٢٤٢
(٧) صفة (الإقالة) ٢٤٣
(٨) صفة (الوَصْل) ٢٤٤
(٩ ـ ١٠) صفتا (التنفيس)
و(التفريج) ٢٤٦
القسم الثاني من صفات ربنا الفعلية
العظيمة المقيدة ـ الصفات الفعلية
المقيدة على وجه العقوبة ٢٤٨
القواعد والضوابط ٢٤٩
النوع الأول: العقوبة من جنس
الفعل ونوعه ٢٥٥
(١) صفة (المَكْر) ٢٥٥
(٢) صفة (الكَيْد) ٢٥٦
(٣) صفة (الإزاغة) ٢٥٩

(٤) صفة (الخِدَاع) ٢٦٠
(٥) صفة (الاِسْتِهْزَاء) ٢٦٢
(٦) صفة (الإِعْرَاض) ٢٦٤
(٧) صفة (العَدَاوة) ٢٦٥
(٨) صفة (الإيعاء) ٢٦٧
(٩) صفة (القَطْع) ٢٦٨
(١٠) صفة (النِّسْيَان) «بمعنى
التَّرْك» ٢٧٠
(١١) صفة (السُّخْرِيَة) ٢٧١
(١٢) صفة (الإِهَانَة) ٢٧٣
(١٣) صفة (الاِحْتِجَاب) ٢٧٤
(١٤) صفة (الإشقاق) ٢٧٥
(١٥ ـ ١٦) صفتا (الفَضْح)
و(التتبع) ٢٧٧
(١٧ ـ ١٨) صفتا (التَّسْمِيع)
و(الرِّياء) ٢٧٩
(١٩) صفة (التشديد) ٢٨١
(٢٠) صفة (التَّفْرِيق) ٢٨٢
(٢١) صفة (اللَّوْيُ) ٢٨٣
النوع الثاني: العقوبة من غير جنس
الفعل ونوعه ٢٨٥
(١) ٢٢ ـ صفة (الخِزْي) ٢٨٥
(٢) ٢٣ ـ صفة (الاِنْتِقَام) ٢٨٦
(٣ ـ ٤ ـ ٥) ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ صفات
(الخَتْم) و(الطَّبْع) و(الغِشَاوة) ... ٢٨٧
(٦) ٢٧ ـ صفة (الاستِدْرَاج) ٢٨٩
(٧) ٢٨ ـ صفة (اللَّعْن) ٢٩٠
(٨) ٢٩ ـ صفة (الدَّمْدَمَة) ٢٩١
(٩) ٣٠ ـ صفة (المخالف) ٢٩٢
(١٠) ٣١ ـ صفة (الطَّمْسُ) ٢٩٣
فهرس ٢٩٥